

كِتَابُ

تَلْبِيسِ ابْلِيسَ

لِلْإِمَامِ أَبِي الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْجَوَازِيِّ

مِنْ أَوَّلِ الْكُتُبِ إِلَى مُنْتَصَفِهِ

رِسَالَةٌ دَكْتُورَاهُ

دِرَاسَةٌ وَتَحْقِيقٌ

د/ أَحْمَدُ بْنُ عَثْمَانَ الْمَرْيَدِيِّ

إِسْتِشْرَافٌ

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ الْبِرَاكِ

مَدَارُ الْوَطَنِ لِلنَّشْرِ

کتاب
تَلْبِيسِ ابْلِيسَ

حقوق الطبع محفوظة

تنبيه : يحظر نسخ أو استعمال أي جزء من أجزاء هذا الكتاب بأي وسيلة من الوسائل - سواء التصويرية أم الالكترونية أم الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي أو التسجيل على أشرطة أو سواها، وكذلك حفظ المعلومات واسترجاعها - دون إذن خطي من الناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

دار الوطن للنشر الرياض - المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٢٠٤٢-٤٧٩٢ - فاكس: ٤٧٢٣٩٤١ - ص.ب: ٣٣١٠ - الرمز البريدي: ١١٤٧١

pop@dar-alwatan.com
www.dar-alwatan.com

□ البريد الإلكتروني :
□ موقعنا على الانترنت :

أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها الباحث
لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن
سعود الإسلامية - كلية أصول الدين - قسم العقيدة
والمذاهب المعاصرة . وكانت هذه الرسالة تحت
إشراف : فضيلة الشيخ/عبد الرحمن بن ناصر البراك .
وناقشها : أ.د/ناصر بن عبد الكريم العقل.
وأ.د/ أحمد بن سعد الغامدي.
وقد منح صاحبها درجة الدكتوراه مع مرتبة
الشرف الأولى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ، ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١] .
 ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة. ثم إن نعم الله تعالى على عباده كبيرة، وآلاءه عليهم جسيمة لا تعد ولا تحصى، ومن تلك النعم أن فطرهم على الإقرار بربوبيته، وأشهدهم على ذلك وهم في عالم الذر فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ

تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وهذه الفطرة هي الدين الحنيف والإسلام لله تعالى، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَدِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزوم: ٣٠]. ومن رحمة الله تعالى بهذا المخلوق أنه لم يكله إلى نفسه بعد أن أوجده في هذه الحياة، بل أرسل إليه الرسل تترًا تذكّره بذلك الميثاق وبتلك الفطرة التي فطره عليها، حتى يزول ملء ران عليها من غشاوة النسيان وانحراف الهوى، وحتى تقوم حجة الله على العبيد، كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

فإن أصرّ الإنسان بعد ذلك على الإعراض، ولم يتعرض لأسباب الرحمة؛ فقد استحق الهلاك، ولا يهلك على الله إلا الشقي الهالك، لعظم رحمة الله تعالى وسعة إفضاله.

ومن أكبر أسباب هلاك ابن آدم ومحادثه لربه وخالفه، تسلطُ عدو الله إبليس عليه، ومكره به الذي توعد هذا المخلوق الذي فضل عليه، بأن لا يفتأ يفتنه ويزين له الشهوات والضلال حتى يهلكه، كما قال الله تعالى عنه: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَتِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: «إني خلقت عبّادي حنفاء وإهم أتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرّمت عليهم ما أحللت لهم،

وأمرهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا» (١).

من أجل ذلك حذرنا منه ربنا أشد تحذير، فقال تعالى: ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تِهْمَاتِهِ إِنَّهُمْ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].. وغير ذلك من التحذيرات.

ولإبليس طرق كثيرة لإضلال بني آدم، وذلك من طبيعة عمله الذي لا يفتري عن إغواء الإنسان، واستعمال شتى الطرق والوسائل لإهلاكه، ولذلك فهو لا يكتفي بطريقة واحدة بل يعدد وينوع أساليبه حتى ينال مطلوبه في النهاية وهو هلاك الإنسان على يديه، وقد صور القرآن العظيم مختلف تلك الأساليب، هتكاً لإبليس وكشفاً لغروره، بياناً لخطره كي يبالغ الإنسان في الحذر منه.
من تلك الأساليب ما جاء ذكره في القرآن العظيم :

— الوسوسة: كقوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَ تِهْمَاتِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٠]، وقوله: ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥].

(١) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٤/٢١٩٧ برقم ٢٨٦٥)، وأحمد في المسند (٤/١٦٢).

— الغرور والوعد الكاذب : كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴾ [النساء: ١١٩-١٢٠].

— التزيين : كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٨]، وقوله : ﴿ تَأْتِيهِمْ لَيْلٌ مَوَّجَةٌ وَكُلٌّ فِيهَا لَأَوَّلِيَّتَةٌ ﴾ [النحل: ٦٣].

— الإيحاء : كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَوْحُونَ إِلَيْكَ أَوَّلِيَّاتِهِمْ لِيُجَدِّ لَوْكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢١]

إلى غير ذلك من الصور والأساليب التي تتطلب من الإنسان شدة الحذر، وذلك بدوام الصلة بالمولى عزّ وجلّ ، لأن عدو الله ليس له سلطان على المؤمنين المستمسكين بحبل الله تعالى، والمداومين على ذكره، والمستحضرين لعظمته التي توجب الخوف منه، والحياء من جلاله العظيم، وهذا من أعظم ما يغيظ إبليس ويجعل كيدته في نحره، ولذلك قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل: ٩٩].

وما أجمل ذكره في القرآن الكريم من صور تضليل إبليس لبني آدم، فإن السنة المطهّرة فصّلته وبينته، أذكر من ذلك على سبيل المثال قول الصادق المصدوق

ﷺ : « لا يزال الشيطان يأتي أحدكم فيقول : من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول : من خلق الله؟ فإذا وجد ذلك أحدكم فليقل : آمنتُ بالله »^(١).

وما ذكر في هذا الحديث من أعظم ما دخل به إبليس على البشر، وهو إضلالهم وإفساد عقائدهم في رهم عز وجل، فأنحرفوا وكانوا نحلا وطوائف وفرقا، وشانوا أنفسهم بعقائد سولها لهم إبليس، ظهر على إثرها من أنكر وجود الباري تعالى، ومن أشرك معه غيره، ومن ألحد في أسمائه وصفاته، كما ظهر من أعرض عن حكم الكتاب والسنة إلى غيره من مصادر للتلقي، ومن ترك التوسط والاعتدال إلى الغلو والإفراط إما في تمجيد العقل وتقديمه على نصوص الشرع، وإما في التزهّد وترك المباحات، وإما في التكفير بالمعاصي، أو الغلو في الإرجاء وترك العمل.

وقد كان من دأب العلماء والوعاظ التحذير من مكائد إبليس وصنوف غروره، وكان من أول ما ألف بهذا الشمول كتاب « تلبس إبليس » للإمام ابن الجوزي - رحمه الله - المتوفى سنة ٥٩٧هـ. فكان من أجمع ما كتب في هذا الباب، وبخاصة في باب التلبس على الناس في العقائد .

ونظرا لما احتواه هذا الكتاب من موضوعات، ولما له من قبول عند المسلمين، ولما اعتري طبعاته المختلفة من نقص، رأيتني متحمسا لخدمته والاعتناء به، فسارعت إلى تسجيله موضوعا لأطروحتي لنيل درجة الدكتوراه من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة.

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب بيان الوسوسة (١٢٠/١ برقم ١٣٤)، وأحمد في المسند (٣٣١/٢)

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

وتفصيلاً لما أجملتُ آنفاً من سبب رغبتي في خدمة كتاب « تلبس إبليس »

للإمام ابن الجوزي - رحمه الله - فإنني أذكر أهم ما حدا بي لذلك من أسباب :

١- كون هذا الكتاب لإمام مشهور من أئمة المسلمين، واسع الاطلاع،

كثير التصنيف، ذائع الصيت في باب الوعظ.

٢- أن الكتاب مهم جداً في بابه، حيث يُعد من أول ما أُلّف هذا الشمول

في بيان مكائد الشيطان، فقد أتى على ذكر أغلب صور التلبس التي يكيد بها

إبليس بني آدم، ومن ذلك ما كاد به الطوائف الخارجة عن الإسلام، وكذلك

الفرق التي انتسبت إلى الإسلام، والفرق الإسلامية.

٣- من حيث مضمون الكتاب ومنهج مؤلفه فيه، ومن ذلك :

◀ اهتمام ابن الجوزي - رحمه الله - برواية الأحاديث والآثار والأخبار

بأسانيده الخاصة، مما يضيف على الكتاب صفة الأصالة والأمانة العلمية.

◀ أن هذا الكتاب يُعد نموذجاً للعلماء المهتمين بالمقالات ومذاهب

الفرق، حيث اتبع فيه مؤلفه أسلوب العرض والنقد؛ فقد كان يعرض

أصل الشبهة التي لبس بها إبليس على الطائفة المعينة، ثم ينقدها في ضوء

المنقول والمعقول من الأدلة المعتمدة.

◀ اهتمام المؤلف بصورة خاصة بهتك بعض الفرق والمذاهب التي ما زال

المسلمون يعانون من انحرافاتهم إلى يومنا هذا، من ذلك :

فرقة الباطنية التي فضح مكائدها، وبيّن خطرهم على الإسلام والمسلمين. على

ذكرة من آرائهم الضالة، وطرقهم في استدراج الناس إلى مذهبهم.

فرقة الرافضة التي تدور حقيقة مذهبهم على الطعن في أصل الدين والنبوة.

فرقة الخوارج التي ركّز على ذكر انحرافهم في فهم القرآن، وتسرعهم في

تكفير المسلمين، وتقديمهم لرأيهم على حكم الكتاب والسنة.

فرقة الصوفية ونقد هذه الفرقة في عقائدها، وعبادتها، ورجالها، وكتبها.. كان قطب رحي هذا الكتاب، ويجمع محاسنه.

فقد فضح هذه الطائفة وهي في أوج حظوتها عند الحكام وعند العوام في عصره، وبيّن أن مذهبهم يقوم على تميع العقيدة، وتعطيل الشريعة، كل ذلك مدعم بالأدلة والشواهد من سير القوم وأخبارهم.

كما نقد بعض كتبهم : كإحياء علوم الدين للغزالي، والرسالة للنقشبيري، والحلية للأصفهاني، وطبقات الصوفية للسلمي، وقوت القلوب للمكي، وصفوة التصوف للمقدسي... وغيرها.

◀ ذكر ابن الجوزي -رحمه الله- حدود وضوابط بعض المصطلحات، ومنها: معنى السنة والبدعة، وأهل السنة والابتدعة، فرّق بين الزهد والتصوف، وتكلم عن معنى القدر وصلته بالتوكل.

٤- كثرة مصادر الكتاب، وبخاصة تلك التي فقدت، فبذكرة لها يكون قد حفظ لنا بعض النصوص من الضياع والفقدان، وهذه فائدة يدرکها كل من عاجل كتاباً مخطوطاً، أو أراد توثيق نص معين.

٥- توفر نسخ الكتاب الخطية، مما يدل على أهميته، ويحث على الاعتناء به بدل بقائه على صورته المطبوعة التي هي في حاجة إلى كثير من الإصلاح.

٦- طبعات الكتاب الموجودة كلها ترجع إلى الطبعة المنيرية التي اجتهد صاحبها - جزاه الله خيراً - في إخراجها في صورة أقرب إلى الكمال حسب إمكانيات ذلك الزمن، فقد طبعت قبل نحو خمسين سنة! وسقط منها - في الجزء الذي حققته فقط - تسعون سنداً، وتحرفت فيه وسقطت مائة عبارة وجملة.

٧- رغبتني في المشاركة في خدمة تراث الأسلاف رحمهم الله، وبخاصة إذا كان الكتاب - كما هو حال كتاب تليس إبليس - مما اهتم باقتنائه ومطالعته الخاص والعام من المسلمين.

خطة البحث :

قسمتُ العمل في هذا البحث إلى مقدمة وقسمين:
أما المقدمة : فقد خصصتها للحديث عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره،
وخطة البحث ومنهجي فيه.

القسم الأول : الدراسة :

وتشتمل على أربعة فصول :

الفصل الأول : ترجمة المؤلف، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : حياته الشخصية، وفيه مطالب :

المطلب الأول : اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه.

المطلب الثاني : مولده ونشأته.

المطلب الثالث : محنته ووفاته.

المطلب الرابع : ثناء العلماء عليه.

المبحث الثاني : حياته العلمية، وفيه مطالب :

المطلب الأول : طلبه للعلم.

المطلب الثاني : شيوخه.

المطلب الثالث : تلاميذه.

المطلب الرابع : مذهبه الفقهي.

المطلب الخامس : ذكر مؤلفاته.

الفصل الثاني : عقيدته، وفيه أربعة مباحث.

المبحث الأول : منهجه العام في العقيدة.

المبحث الثاني : عقيدته في التوحيد. وفيه مطالب.

المطلب الأول : توحيد الربوبية

المطلب الثاني : توحيد الألوهية

المطلب الثالث : عقيدته في صفات الله تعالى

المبحث الثالث : عقيدته في الإيمان، وفيه مطالب.

المطلب الأول : مسائل في الإيمان

المطلب الثاني : الإيمان باليوم الآخر

المطلب الثالث : الإيمان بالرسول

المطلب الرابع : الإيمان بالقدر.

المبحث الرابع : موقفه من الفرق، وفيه مطالب.

المطلب الأول : الملل والنحل الخارجة عن الإسلام.

المطلب الثاني : الفرق المنتسبة للإسلام وليست منه.

المطلب الثالث : الفرق الإسلامية.

الفصل الثالث : التعريف بالكتاب، وفيه أربعة مباحث.

المبحث الأول : اسم الكتاب ونسبته للمؤلف، وفيه مطالب.

المطلب الأول : اسم الكتاب.

المطلب الثاني : توثيق نسبة الكتاب للمؤلف.

المطلب الثالث : موضوع الكتاب.

المبحث الثاني : مصادر المؤلف ومنهجه في الكتاب، وفيه مطلبان.

المطلب الأول : مصادر المؤلف في الكتاب.

المطلب الثاني : منهجه في الكتاب.

المبحث الثالث : قيمة الكتاب العلمية.

المبحث الرابع : وصف النسخ الخطية. وفيه مطلبان.

الفصل الرابع : دراسة لأهم موضوعات الكتاب، وفيه مبحثان.

المبحث الأول : وجوب لزوم السنة واجتناب البدعة، وفيه مطالب.

المطلب الأول : تعريف السنة والبدعة.

المطلب الثاني : الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب

لزوم السنة واجتناب البدعة.

المطلب الثالث : البدعة الفعلية والبدعة التركيبية.

المطلب الرابع : خطورة البدعة.

المطلب الخامس : قاعدة « كل بدعة ضلالة ».

المطلب السادس : أشهر ما استدل به المقسمون

للبدع.

المطلب السابع : حكم البدع.

المبحث الثاني : نقد التصوف والمتصوفة، وفيه مطالب.

المطلب الأول : نسبة التصوف واشتقاقه.

المطلب الثاني : الأصل التاريخي للتصوف.

المطلب الثالث : نقد أصول التصوف وآرائه.

القسم الثاني : النص المحقق.**منهجي في التحقيق :**

١- في توثيق النص وضبطه، والمقابلة بين النسخ. وقد اتبعت في ذلك ما يلي :

— اعتمدتُ في تحقيق هذا القسم على أربع نسخ خطية - سيأتي وصفها -

جعلتُ النسخة المغربية أصلاً، لما لها من ميزات سيأتي ذكرها ، وقابلتها ببقية

النسخ الأخرى، وقيمت بإثبات الفروق بينها في الهامش.

— جعلتُ لكل نسخة من هذه النسخ رمزاً خاصاً بها، فرمزتُ للمغربية بـ "الأصل"، وللأحمدية بـ "أ"، وبـ "ت" للتركية التامة، ورمزت بـ "ك" للتركية الناقصة.

— ما أضفته على "الأصل" من النسخ الأخرى، فإنني أضعه بين معقوفين هكذا [] .

— إذا وقع بـ "الأصل" خطأ، أو تحريف، أو طمس، أو سقط، أصلحته من النسخ الأخرى، وجعلته بين معقوفين.

فإن أجمعت النسخ على الخطأ، كنتحريف في اسم راوٍ مثلاً، فإنني أثبت الصواب في الأصل وأضعه بين معقوفين، وأشير إلى مصدر التصويب في الهامش.

— تجنبتُ إيراد بعض الفروق التي تتكرر كثيراً، مثل: "حدثنا" و "ثنا"، و "أخبرنا" و "نا" ونحوها من صيغ التحمل ومختصراتها، حتى لا أثقل الحواشي.

١— كتبتُ النص طبقاً لقواعد الإملاء الحديثة، مع مراعاة علامات الترقيم لتساعد على فهم النص، وتوضيح عباراته.

— بينتُ وجه كل ورقة من مخطوطة الأصل.

— رَقمتُ الأحاديث والآثار المسندة ترقيماً متسلسلاً، وجعلت الرقم بين معقوفين.

— قسمتُ الصفحة إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول كتبتُ فيه متن الكتاب، والثاني جعلته لفروق النسخ، والثالث للتعليق على النص.

٢— عزوت الآيات إلى سورها وأرقامها، وجعلت ذلك في أصل النص بين معقوفين، تجنبا لإتقال الحواشي.

٣— نحرّجت الأحاديث والآثار:

- فما كان منها مسنداً؛ فإني أبدأ بمن ساقه المؤلف من طريقه، ثم أخرجـه من بقية المصادر الأخرى.

- إذا كان الحديث موجوداً في الكتب الستة أو بعضها، فإني ألتزم بذكرها مع إضافة مسند الإمام أحمد.

- التزمت ذكر اسم الكتاب والباب عند التخريج من الكتب الستة فقط، وما عداها فلم ألتزمه.

- حرصت في تخريج الآثار على كتب العقيدة المسندة.

- بالنسبة إلى الحكم على الأحاديث، فما كان منها في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما، فإذا لم يكن فيهما حرصت على ذكر أقوال العلماء في ذلك إن وجدتها.

٤- أورد المصنف - رحمه الله - نصوصاً كثيرة جداً تتعلق بالعقيدة والفرق، والفقه، والحديث، والتاريخ، واللغة وغيرها، وثقتها من مصادرها المعتمدة.

فإن نص المؤلف على اسم الكتاب التزمت بذكره - ما لم يكن مفقوداً - وإن عزاه إلى مؤلف بحثت في مصنفاته، فأذكر الأقرب إلى النص الذي أورده المصنف، وإن تعذر ذلك وثقته من مصادر أخرى.

- ترجمت لرواة الأسانيد، فأذكر اسم الراوي، ونسبه، وكنيته، وسنة وفاته إن وجدت، وإلا فطبقتة كما هو في تقريب التهذيب.

فإن كان الراوي من رجال الكتب الستة ذكرت حكم الحافظ ابن حجر عليه في تقريب التهذيب.

وإن كان من غيرها بذلت جهدي في التعريف به من كتب الرجال والتواريخ، مع ذكر قول أو أكثر من أقوال أهل العلم فيه.

— إذا تكرر اسم الراوي في الأسانيد، فإني أترجم له في الموضع الأول، وأحيل عليه في بقية المواضع بذكر رقم الحديث أو الأثر الوارد في سنده.

٥— عرفت بالأعلام الواردين في المتن تعريفاً وسطاً في الغالب.

٦— عرفت بالفرق والطوائف الواردة في المتن.

٧— عرفت بالقبائل والجماعات.

٨— عرفت بالأماكن والبلدان.

٩— عرفت بالكتب التي ذكرها المؤلف.

١٠— شرحت المفردات الغريبة، وعزوت الأبيات الشعرية إلى مصادرها.

١١— عرفت بالمصطلحات العقدية، والعلمية، والفلسفية، والمنطقية،

والصوفية وغيرها.

١٢— علق على المسائل التي رأيت أنه من المناسب التعليق عليها، موافقاً أحياناً أو مستدركاً ومتعقباً أحياناً أخرى. ثم أذكر في نهاية التعليق جملة من المراجع في الموضوع.

١٣— وضعت فهرس تفصيلية للكتاب، وهي كالتالي :

◀ فهرس الآيات القرآنية.

◀ فهرس الأحاديث.

◀ فهرس الآثار.

◀ فهرس رواة الأسانيد.

◀ فهرس الأعلام.

◀ فهرس الأماكن.

◀ فهرس الفرق والطوائف.

◀ فهرس القبائل والأقوام.

◀ فهرس غريب اللغة والأثر.

- ◀ فهرس المصطلحات.
- ◀ فهرس أسماء الكتب الواردة في المتن.
- ◀ فهرس الأبيات الشعرية.
- ◀ قائمة المصادر والمراجع.
- ◀ فهرس تفصيلي للموضوعات.

شكر وتقدير

فالحمد لله على ما منّ به عليّ من إتمام هذا البحث، ثم الشكر موصول إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في مديرها ووكلائه. كما أشكر عميد كلية أصول الدين ووكيله، ورئيس قسم العقيدة ووكيله.

ولا يفوتني بهذه المناسبة أن أتقدم بوافر الشكر إلى رئاسة الحرس الوطني ممثلة في وكالة الحرس الوطني للشئون الثقافية والتعليمية، لما قدموه وأظهروه من التعاون والتشجيع.

وأذكر بكامل الامتنان والعرفان والدعاء مقام فضيلة الشيخ العلامة/ عبد الرحمن بن ناصر البرّاك، المشرف على هذه الرسالة، الذي نفعني الله بعلمه وتوجيهاته السديدة طيلة مدة إشرافه، فجزاه الله عن خير الجزاء. كما أشكر فضيلة الأستاذ الدكتور/ ناصر بن عبد الكريم العقل، وفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد بن سعد الغامدي؛ لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة وإبداء ملاحظتهما الطيبة عليها. ولكل من ساعدني برأي أو نصيحة، أو مرجع أتوجه بالشكر والامتنان.

وفي الأخير فهذا جهد المقل، فما وقع فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا

محمد.

القسم الأول: الدراسة

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : ترجمة المؤلف.

الفصل الثاني : عقيدته.

الفصل الثالث : التعريف بالكتاب.

الفصل الرابع : دراسة لأهم موضوعات الكتاب.

الفصل الأول

ترجمة المؤلف

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حياته الشخصية.

المبحث الثاني: حياته العلمية.

المبحث الأول : حياته الشخصية

المطلب الأول : اسمه ونسبه، وكنيته، ولقبه.

هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمّادي^(١) — بضمّ الحاء المهملة وتشديد الميم وفتحها^(٢) — بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق — خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم — القرشي، التيمي، البكري ثم البغدادي، الفقيه الحنبلّي الواعظ، صاحب التصانيف المشهورة^(٣).

فابن الجوزي — رحمه الله — ينتهي نسبه في سلسلة متصلة الحلقات بأفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وإنّنه لشرف عظيم ونعمة كبيرة تدل على طيب أصله وعريق نسبه، وكان ابن الجوزي نفسه يتحدث بهذه النعمة ويتخذها أداةً لشحذ همم ولده فيقول في لفظة الكبد^(٤): «يا بني، واعلم أننا من أولاد أبي بكر الصديق — رضي الله عنه — وأبونا القاسم بن محمد بن أبي بكر ... ثم تشاغل سلفنا بالتجارة والبيع والشراء، فما كان من المتأخرين من رزق همّة في طلب العلم غيري، وقد آل الأمر إليك فاجتهد أن لا

(١) زاد الداودي في طبقات المفسرين (٢٧٦/١) بعد حمّادي: (ابن إبراهيم)، ولم أر هذه الزيادة لأحد سواه.

(٢) هكذا ضبطه المنذري في التكملة (٣٩٥/١)، وابن خلكان في الوفيات (١٤٢/٣).

(٣) انظر: مرآة الزمان (٤٨١/٨)، التكملة لوفيات النقلة (٣٩٤/١)، وفيات الأعيان

(١٤٠/٣)، تاريخ الإسلام وفيات ٥٩١ - ٦٠٠ (ص ٢٨٧)، البداية والنهاية

(٣٢/١٣)، الذيل على طبقات الحنابلة (٣٩٩/١)، طبقات المفسرين للداودي

(٢٧٥-٢٧٦)، شذرات الذهب (٣٣٠/٤).

(٤) (ص ٧٥-٧٦).

لا تخيب ظني...».

ولا يفوتني أن أشير إلى أن ابن الجوزي كان يُسمى في طفولته (المبارك) إلى سنة عشرين وخمسائة، فسماه شيخه محمد بن ناصر^(١) (عبد الرحمن)^(٢).

وكنيته أبو الفرج، هذا هو المعروف، إلا أن ابن جبير^(٣) في رحلته^(٤) كناه بأبي الفضل، ولم أر من ذكر هذه الكنية غيره.

كما لقب بجمال الدين^(٥)، غير أنه اشتهر بابن الجوزي نسبة إلى جدّه الأكبر «جعفر بن عبد الله»، وهو الجدّ التاسع، فهو الذي لُقّب بالجوزي ثم توارث بنوه هذا اللقب، واشتهر به ابن الجوزي وعُرف به^(٦).

والجوزي — بفتح الجيم وسكون الواو وفي آخرها الزاي —^(٧) اختلف المؤرخون في سبب نسبة ابن الجوزي:

فمنهم من قال: إن جدّه جعفرًا نُسب إلى فرضة من فرض البصرة يقال لها جوزة. وفرضة النهر: ثلمته التي يستقى منها، وفرضة البحر: محطّ السفن^(٨).

(١) ستأتي ترجمته عند الحديث [٤١] من هذه الرسالة.

(٢) حكى ذلك عنه ابن القطيبي كما في ذيل طبقات الخنابلة (٤٠٠/١).

(٣) هو محمد بن أحمد بن جبير، أبو الحسن الكناني، البلسني ثم الشاطبي. الكاتب البليغ، صاحب الرحلة الفائقة المشهورة. مات سنة ٦١٤ هـ بالإسكندرية. انظر: (السير ٤٥/٢٢، شذرات الذهب ٦٠/٥).

(٤) (ص ١٩٦).

(٥) التكملة لوفيات النقلة (٣٩٤/١)، وفيات الأعيان (١٤٠/٣)، السير (٣٦٥/٢١).

(٦) تذكرة الحفاظ (١٣٤٢/٤).

(٧) الأنساب (٣٦٦/٣)، تبصير المنتبه (٣٧٠/١).

(٨) التكملة لوفيات النقلة (٣٩٥/١)، السير (٣٧٢/٢١)، ذيل طبقات الخنابلة (٤٠٠/١).

وقيل: إن جدّه جعفرًا نُسب إلى محلّة بالبصرة تُسمى محلّة الجوز^(١).

وقيل: إن جدّه جعفرًا كانت في داره بواسط جوزة لم يكن بواسط سواها^(٢).

المطلب الثاني: مولده ونشأته.

أولاً: مولده:

ولد ابن الجوزي بدر بن حبيب في بغداد^(٣)، واختلف في تاريخ ولادته. فقيل: سنة ثمان وخمسمائة، وقيل: سنة تسع وخمسمائة، وقيل: سنة عشر وخمسمائة أو قبلها^(٤).

والسبب في هذا الاختلاف أن ابن الجوزي نفسه لم يجزم بتاريخ معين لولادته. قال ابن رجب — بعد أن سرد الخلاف في ولادته —: «ووجد بخطه: لا أحقق مولدي، غير أنه مات والدي في سنة أربع عشرة، وقالت الوالدة: كان لك من العمر نحو ثلاث سنين، وقال ابن القطيعي^(٥): سألته عن مولده؟ فقال: ما أحقق الوقت، إلا أنني أعلم أنني احتلمت في سنة وفاة شيخنا ابن الزاغوني^(٦)، وكان توفي

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (١/٤٠٠)، شذرات الذهب (٤/٣٣٠).

(٢) تذكرة الحفاظ (٤/١٣٤٢)، الذيل على طبقات الحنابلة (١/٤٠٠)، طبقات الحفاظ

للسيوطي (ص ٥٠٣)، طبقات المفسرين للداودي (١/٢٧٦).

(٣) مرآة الزمان (٨/٤٨١)، الذيل على طبقات الحنابلة (١/٤٠٠).

(٤) انظر هذه الأقوال في: التكملة لوفيات النقلة (١/٣٩٤)، وفيات الأعيان (٣/١٤٢)،

السير (٢١/٣٦٦)، البداية والنهاية (١٣/٣٣)، طبقات الحفاظ للسيوطي

(ص ٥٠٣)، شذرات الذهب (٤/٣٢٩).

(٥) ستأتي ترجمته (ص ٥٦) من المقدمة.

(٦) ستأتي ترجمته (ص ٤٣) من المقدمة.

سنة سبع وعشرين.

قلت — أي ابن رجب —: وهذا يؤذن أن مولده بعد العشرة»^(١).

وذكر سبطه أبو المظفر^(٢) أنه سأل جدّه عن تاريخ مولده فقال: ما أحقّقه ولكن في سنة عشر وخمسمائة تقريباً^(٣).

ولا غرابة في هذا الخلاف إذا كان ابن الجوزي نفسه غير متأكد من سنة ولادته.

ثانياً: نشأته :

نشأ ابن الجوزي — رحمه الله — يتيماً في بيت عريق، وأسرّة كريمة، وتوفي والده وله من العمر ثلاث سنوات^(٤)، وكان والده موسراً فخلف له مالاً يستعين به في حياته، ويوضح ذلك قول ابن الجوزي لابنه: «واعلم يا بني أن أبي كان موسراً وخلف ألوفاً من المال»^(٥).

وكفّله بعد ذلك أمّه وعمّته، وأخذت بيده عمّته واعتنت به منذ الطفولة، ولما ترعرع حملته إلى مسجد خاله أبي الفضل محمد بن ناصر فاعتنى به وأسمعه الحديث^(٦).

وأشار ابن النجار البغدادي إلى أن عمّه أبا البركات حمّله إلى خاله الحافظ أبي

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (١/٤٠٠).

(٢) ستاتي ترجمته (ص ٥٥) ضمن تلامذة ابن الجوزي.

(٣) مرآة الزمان (٨/٤٨١)، شذرات الذهب (٤/٣٢٩).

(٤) الذيل على طبقات الحنابلة (١/٤٠٠).

(٥) لفته الكبد (ص ٥٦).

(٦) الذيل على طبقات الحنابلة (١/٤٠٠-٤٠١).

الفضل بن ناصر أيضاً، وسأله أن يسمعه الحديث فأسمعه^(١). وبالرغم من أن ابن الجوزي نشأ يتيماً فإن الله قد هياً له نشأة زكية واتجاهاً قويمًا، وأكسبته هذه النشأة الكثير من خلال الخير والصلاح والعفاف.

يقول عنه الحافظ ابن كثير: «وكان وهو صبي ديناً مجموعاً على نفسه لا يخالط أحداً، ولا يأكل ما فيه شبهة»^(٢).

ويقول عنه سبطه أبو المظفر: «... وما مازح أحداً قط، ولا لعب مع صبي، ولا أكل من جهة لا يتيقن حلها»^(٣).

وقال موفق الدين عبد اللطيف^(٤): «كان ابن الجوزي لطيف الصورة، حلو السمائل، رخييم النعمة، موزون الحركات والنعمات، لذيد المفاكهة...»^(٥).

أما عن أولاده، فيذكر ابن الجوزي أنه رزق بعشرة أولاد، فكانوا خمسة ذكور وخمس إناث، فمات من الإناث اثنتان، ومن الذكور أربعة، ولم يبق منهم سوى أبي القاسم^(٦).

وهذا في حدود السنة التي أُلّف فيها كتابه «لفتة الكبد» المشار إليه في

(١) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (ص ٢٨٤-٢٨٥).

(٢) البداية والنهاية (٣٢/١٣).

(٣) مرآة الزمان (٤٨٢/٨)، وانظر: السير (٣٧٣/٢١).

(٤) هو الشيخ العلامة عبد اللطيف بن يوسف بن محمد الموصلبي، أبو محمد البغدادي الشافعي، الفقيه النحوي اللغوي الطبيب ذو الفنون، نزيل حلب، غلب عليه علم الطب والأدب وبرع فيهما. مات سنة ٦٢٩ هـ ببغداد. (التقيسد لابن نقطة ص ٣٨٢، السير ٣٢٠/٢٢).

(٥) تذكرة الحفاظ (١٣٤٦/٤).

(٦) لفتة الكبد (ص ٢٢).

الهامش؛ حيث نصّ على ذلك. وإلا فإنه قد رُزق بابنه يوسف الذي وُلد سنة ٥٨٠هـ^(١)، وهو آخر أولاده وأنجبهم.

وذكر سبطه أبو المظفر في كتابه «مرآة الزمان»^(٢) بأنه رُزق بست بنات، فلعلّ السادسة منهن وُلدت بعد تأليفه لـ«لفتة الكبد».

(١) ستأتي ترجمته (ص ٥٤).

(٢) (٥٠٣/٨).

المطلب الثالث: محنته ووفاته.

تعرض ابن الجوزي — رحمه الله — في آخر حياته لمحنة عظيمة أوردتها معظم من ترجم له، وذلك أنه وشي به إلى الخليفة الناصر^(١) بأمر اختلف في حقيقته، وذلك في الصيف، فبينما هو جالس في داره يكتب، جاءه من أسمعته غليظ الكلام وشتمه، وحثم على كتبه وداره، وشتت عياله. فلما كان أول الليل حملوه في سفينة، وأحدروه إلى واسط^(٢)، فأقام خمسة أيام ما أكل طعاماً، وهو يومئذ ابن ثمانين سنة، فلما وصل إلى واسط أنزل في دار وحبس بها، فكان يخدم نفسه ويغسل ثوبه ويطبخ، ويستقي الماء من البئر، فبقي كذلك خمس سنين لم يدنح له فيها حماماً.

وكان السبب في ذلك أن الركن عبد السلام بن عبد الوهاب الجيلي^(٣) المتهم بسوء العقيدة قد أحرقت كتبه بإشارة ابن الجوزي، وأعطيت مدرسة جدّه لابن

(١) هو الخليفة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله. لم يل الخلافة أحد أطول مدة منه، فإنه أقام فيها ٤٧ سنة، وكان مهيباً يرمى بالتشيع ويميل للمذهب الإمامية بخلاف آبائه. مات سنة ٦٢٢ هـ. (السير ١٩٢/٢٢)، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٨٧).

(٢) واسط: هي مدينة من مدن العراق المهمة، تقع بين البصرة والكوفة، سميت بذلك لتوسطها بينهما، وتسمى أيضاً «واسط الحجاج» إذ هو الذي أمر ببنائها. انظر: معجم البلدان (٣٤٧/٥).

(٣) كان عبد السلام هذا يرمى بالفواحش والمنكرات، وغير محمود في طريقته وسيرته واتهم بالفلسفة ومخاطبة النجوم، فأحرقت كتبه، وحكم عليه بالفسق، وأودع السجن أيام الوزير ابن يونس، وأعطيت مدرسة جدّه لابن الجوزي؛ ولذا حقد عليه، توفي سنة ٦١١ هـ (ذيل طبقات الحنابلة ٧١/٢، شذرات الذهب ٤٥/٥).

الجوزي، وكان واصلاً عند الوزير ابن القصاب^(١)، فقال له: أين أنت من ابن الجوزي، فإنه ناصبي من أولاد أبي بكر الصديق.

وكان ابن القصاب شيعياً حبيثاً، فكتب إلى الخليفة، وساعده جماعة ولبسوا على الخليفة فأمر بتسليمه إلى الركن، ودخل ابن الجوزي في محنته، كما تقدم في أول الكلام.

وكان السبب في خلاص ابن الجوزي — بعد فضل الله تعالى — أن ابنه محيي الدين يوسف اشتغل وعمل بالوعظ وهو صبي، وأصبحت له مكانة لدى أم الخليفة الناصر لدين الله، فكلّمها في شأن خلاص أبيه، فشفعت له لدى الخليفة، فأطلق سراحه، وعاد إلى بغداد^(٢).

ولم تطل حياة ابن الجوزي بعد خروجه من سجنه بواسطة ورجوعه إلى بغداد، فقد توفي ليلة الجمعة بعد المغرب في الثاني عشر من شهر رمضان المبارك سنة سبع وتسعين وخمسائة (٥٩٧هـ) بالجانب الغربي من مدينة السلام، بدار له قريبة من قبر معروف الكرخي^(٣)، وله من العمر سبع وثمانون سنة تقريباً.

وأجمعت المصادر على أن يوم وفاته كان يوماً مشهوداً ببغداد، إذ نودي بالصلاة عليه في جانبي بغداد يوم الجمعة، فحضر خلق كثير من الفقهاء والعلماء والأكابر، وتقدم في الصلاة عليه ولده الأسن أبو القاسم، وحمل الناس جنازته إلى

(١) هو أبو الفضل محمد بن علي البغدادي الوزير الكبير، المعروف بابن القصاب، تولى الوزارة سنة ٥٩٠هـ، وتوفي سنة ٥٩٢هـ.

(التكملة لوفيات النقلة ٢٦٢/١، شذرات الذهب ٣١١/٤).

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي وفيات ٥٩١-٦٠٠ (ص ٢٩٥-٢٩٦) وانظر أخبار منحة ابن الجوزي في: ذيل الروضتين لأبي شامة (ص ١٥) وذيل طبقات الحنابلة (٤٢٦/١-٤٢٧).

(٣) ستأتي ترجمته عند الأثر رقم [١٣٤].

جامع المنصور فصلي عليه مرّة ثانية، ثم حمل إلى مقبرة باب حرب^(١) فدفن هناك عند أبيه بالقرب من الإمام أحمد بن حنبل^(٢).

يقول الحافظ ابن كثير عن هذا اليوم: «وكان يوماً مشهوداً حتى قيل: إنه أفطر جماعة من الناس من كثرة الزحام وشدة الحرّ»^(٣).

المطلب الرابع: ثناء العلماء عليه.

ابن الجوزي — رحمه الله — عالم مُكثّر، وصاحب تصانيف عديدة، والمتبع لما كتبه العلماء عنه، وما قالوه فيه، يرى أن غالب هؤلاء أثنوا عليه ومدحوه، وذكروا تميزه بكثير من الفضائل والمناقب، وهذا لا يعني عدم اعتراضهم على مسلكه في بعض الجوانب العلمية، وتعقبهم له في ذلك، فكل واحد يؤخذ من قوله ويردّ إلا المصطفى . وسأذكر في هذه الخلاصة بعض من أثنوا عليه مراعيّاً في ذلك الترتيب الزمني.

يقول الرحالة ابن جبير في وصف المجالس التي حضرها لابن الجوزي أثناء رحلته: «... فشهدنا مجلس مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد، وفي جوف الفرا كل الصيد، آية الزمان، وقرّة عين الإيمان، رئيس الحنبلية، والمخصوص في العلوم بالرتبة العلية، إمام الجماعة، وفارس حلبة هذه الصناعة، والمشهود له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة، مالك أزمّة الكلام في النظم والنثر، والغائص في بحر فكره على نفائس الدرّ.. إلى أن قال: فلو لم نركب ثبح البحر، ونعتسف مفازات القفر إلا

(١) باب حرب: محلة ببغداد، وهي التي يقال لها الحربية. مرصد الاطلاع (٣٨٩/١).

(٢) انظر: مرآة الزمان (٢٨١/٨)، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (ص ٢٦٨)، تاريخ الإسلام وفيات ٢٩١-٦٠٠ (ص ٢٩٧-٢٩٨)، البداية والنهاية (٣٣/١٣)، الذيل على طبقات الحنابلة (١/٤٢٨-٤٢٩).

(٣) البداية والنهاية (٣٣/١٣).

لمشاهدة مجلس هذا الرَّجل لكانت الصفقة الراجحة، والوجهة المفلحة الناجحة»^(١).

وقال ابن خلكان: «كان علامة عصره، وإمام وقته في الحديث، وصناعة الوعظ، صنّف في فنون عديدة»^(٢).

وقال الذهبي: «الواعظ المتفنن، صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة في أنواع العلم، من التفسير والحديث والفقه والوعظ والأخبار والتاريخ وغير ذلك... وعظ من صغره، وفاق فيه الأقران، ونظم الشعر المليح، وكتب بخطه ما لا يوصف، ورأى من القبول والاحترام ما لا مزيد عليه»^(٣).

وقال ابن كثير: «أحد أفراد العلماء، برز في علوم كثيرة، وانفرد بها عن غيره، وجمع المصنفات الكبار والصغار... وتفرد بفن الوعظ الذي لم يسبق إليه، ولا يلحق شأوه فيه وفي طريقته وشكله، وفي فصاحته وبلاغته، وعذوبته وحلاوة ترصيعه ونفوذ وعظه، وغوصه على المعاني البديعة، وتقريب الأشياء البعيدة فيما يشاهد من الأمور الحسية، بعبارة وجيزة سريعة الفهم والإدراك... هذا وله في العلوم كلّها اليد الطولى، والمشاركات في سائر أنواعها، من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنظر في النجوم والفقه والطب، وغير ذلك من اللغة والنحو»^(٤).

وقال ابن رجب الحنبلي: «الحافظ المفسر، الفقيه الواعظ، الأديب جمال الدين أبو الفرج، المعروف بابن الجوزي، شيخ وقته، وإمام عصره»^(٥).

ومع أن ابن الجوزي كان مشاركاً في كثير من العلوم حتى يضعب على

(١) رحلة ابن جبیر (ص ١٩٦ فما بعدها).

(٢) وفيات الأعيان (٣/١٤٠).

(٣) العبر للذهبي (٣/١١٨-١١٩).

(٤) البداية والنهاية (٣١/١٣).

(٥) الذيل على طبقات الحنابلة (١/٣٩٩).

الإنسان أن ينسبه إلى التخصص في علم معين إلا أنهم أجمعوا على بروزه في فنّ الوعظ، وأثنوا عليه بذلك ثناءً عظيماً.

فقال الإمام الذهبي عنه: «كان رأساً في التذكير بلا مدافعة، يقول النظم الرائق والنثر الفائق بديهاً، ويسهب ويُعجب، ويطرب ويطنب، لم يأت قبله ولا بعده مثله، فهو حامل لواء الوعظ والقيم بفنونه، مع الشكل الحسن، والصوت الطيب، والوقع في النفوس، وحسن السيرة، وكان بجزاً في التفسير، علامة في السير والتاريخ، موصوفاً بحسن الحديث ومعرفة فنونه، فقيهاً عليمًا بالإجماع والاختلاف...»^(١).

(١) السير (٢١/٣٦٧).

المبحث الثاني

حياته العلمية.

المطلب الأول: طلبه للعلم.

إن المتأمل في حياة هذا الإمام يرى أن ملامح الرشد والصلاح والجد والفلاح قد بدت عليه منذ الصغر، وأن عناية الله تعالى صاحبتة من صغره، فبالرغم من نشأته يتيماً، ووفاة والده وعمره ثلاث سنوات، ألهمه الله حب العلم وطلبه في وقت مبكر. فيقول — رحمه الله — : «فأقول عن نفسي وما يلزمي حال غيري: إنني رجل حبب إليّ العلم من زمن الطفولة فتشاغلت به، ثم لم يحبب إليّ فن واحد منه، بل فنونه، ثم لم تقتصر همّتي في فن على بعضه، بل أروم استقصاءه...»^(١).

ولعل من أهم أسباب نبوغه — بعد توفيق الله ورعايته — الهمة العالية والتطلع المبكر نحو العلم وأهله، مع عزوفه عن اللهو وإضاعة الوقت فيما لا يجدي، ويوضح هذا ابن الجوزي في نصيحته لابنه بقوله: «وقد عرفت بالدليل أن الهمة مولودة مع الأدمي، وإنما تقتصر بعض المهتم في بعض الأوقات فإذا حثت سارت»^(٢).

ويقول أيضاً: «إن أكثر الإنعام علي لم يكن بكسي، وإنما هو من تدبير اللطيف بي، فإني أذكر نفسي ولي همة عالية، وأنا في المكتب^(٣) ابن ست سنين، وأنا قرين الصبيان الكبار قد رزقت عقلاً وافرأ في الصغر يزيد على عقل الشيوخ...»^(٤).

وسبق أن ذكرت في نشأة ابن الجوزي أن عمته قامت بتربيته، وحملته إلى خاله أبي الفضل محمد بن ناصر الذي قال عنه ابن الجوزي: «ولقد وفق لي شيخنا أبو

(١) صيد الخاطر (ص ٧٦-٧٧).

(٢) لفتة الكبد (ص ٣٢).

(٣) المكتب: ويقال أيضاً: الكتاب. هو موضع الكتاب والتعليم. تاج العروس (كتب).

(٤) لفتة الكبد (ص ٣٣-٣٤).

الفضل بن ناصر — رحمه الله — وكان يحملني إلى الشيوخ فأسمعني المسند وغيره من الكتب الكبار، وأنا لا أعلم ما يراد مني، وضبط لي مسموعاتي إلى أن بلغت، فناولني ثبتها، ولازمته إلى أن توفي — رحمه الله — فنلت به معرفة الحديث والنقل»^(١).

وقد قيل: إن أول سماعه سنة ست عشرة وخمسمائة^(٢)، وكان حريصاً على انتقاء الشيوخ الكبار والإفادة منهم كما يقول هو في مقدمة مشيخته: «فلما فهمت الطلب كنت ألازم من الشيوخ أعلمهم، وأوثر من أرباب النقل أفهمهم، فكانت همّي تجويد العدد لا تكثير العدد»^(٣).

ولم يرحل ابن الجوزي — رحمه الله — في طلب العلم، بل اكتفى بما حصل عليه من علماء ومشايخ بغداد ومن وفد عليها، ولا يخفى أن بغداد آنذاك كانت عاصمة العلم والعلماء، ونقطة التقائهم وتنقلهم بين البلدان، بالإضافة إلى ما وقع له من كتب كثيرة سمعها من مشايخه الكبار بالأسانيد المتصلة.

قال الذهبي: «ولم يرحل في الحديث، لكن عنده (مسند الإمام أحمد) و(الطبقات) لابن سعد، و(تاريخ الخطيب)، وأشياء عالية، و(الصحيحان)، و(السنن الأربعة)، و(الحلية)، وعدة توألف وأجزاء يخرج منها»^(٤).

(١) المصدر نفسه (ص ٣٥).

(٢) السير (٢١/٣٦٦).

(٣) المشيخة (ص ٥٩)، والنص هذا غير موجود بالمخطوط الذي حققه محمد محفوظ، لكن نقله عنه ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة (١/٤٠١) وأثبتته المحقق في أول المشيخة نقلاً عن ابن رجب.

(٤) السير (٢١/٣٦٦) وسيأتي مزيد كلام على الكتب التي سمعها عند الكلام على مصادره في هذا الكتاب.

وقد حفظ ابن الجوزي القرآن، وقرأه على جماعة من القراء، وقرأ بالروايات في كبره بواسطة علي ابن الباقلاني^(١).

ويذكر الحافظ ابن رجب الحنبلي أن ابن الجوزي صحب أبا الحسن ابن الزاغوني، ولازمه وعلق عنه الفقه والوعظ... وتفقه على أبي حكيم النهرواني وأبي يعلى بن الفراء، وبعد وفاة ابن الزاغوني قرأ الفقه والخلاف والجدل والأصول على أبي بكر الدينوري والقاضي أبي يعلى الصغير، وصار مفيد المدرسة، وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي^(٢)، وستأتي ترجمة هؤلاء عند ذكر شيوخه.

ويروى أن ابن الجوزي — رحمه الله — وهو في سنّ العاشرة ألقى موعظة بحضور شيخه أبي القاسم أمام جمع غفير بجامع بغداد، كان أستاذه أبو القاسم العلوي علمه إياها، وحرز الجمع يومئذ بخمسين ألفاً^(٣).

المطلب الثاني: شيوخه.

تلقى ابن الجوزي العلم عن كثير من العلماء والمشايخ، وكان من بين مشايخه: الفقهاء الأعيان، والأدباء، والمحدثون، والوعاظ، والقراء، والأخباريون والمفسرون، واللغويون، وعلماء الجدل والأصول والفرائض^(٤).

وقرأ — رحمه الله كتباً كثيرة حتى قال : (إنني طالعتُ عشرين ألف مجلد، كان

(١) الذيل (٤٠١/١).

(٢) المصدر نفسه (٤٠٢/١)، وانظر: السير (٣٦٦/٢١).

(٣) المصدر نفسه (٤٠٢/١).

(٤) وقد اتضح لي ذلك من خلال تراجم الرواة الذين حدّث عنهم ابن الجوزي في هذا الكتاب — القسم المحقّق — وسيأتي فيما يلي سرد لأسماء هؤلاء الرواة مع ذكر عدد مروياتهم.

أكثرها وأنا بعدُ في الطلب»^(١).

وما تنوع ثقافته إلا صورة لاختلاف مشارب الشيوخ الذين أخذ عنهم وتعدّد تخصصاتهم، غير أنّه كان يؤثّر من مشايخه العامل منهم بعلمه، يوضح ذلك قوله: «لقيت مشايخ أحوالهم مختلفة، يتفاوتون في مقاديرهم في العلم، وكان أنفعهم لي في صحبته العامل منهم بعلمه، وإن كان غيره أعلم منه»^(٢).

وقد عني ابن الجوزي بشيوخه الذين تتلمذ عليهم، وأفرد لهم مؤلفاً خاصاً سماه «المشيخة»^(٣)، وقد ذكر فيه (٨٩ شيخاً) منهم ثلاث نسوة ذكرهن في آخر المشيخة، لكنه سمع من مشايخ آخرين غير الذين ذكرهم، فقد قال في آخر ترجمة الشيخ السادس والثمانين ما نصّه: «هذا آخر المشايخ الأكابر، وقد سمعت من جماعة غيرهم، ولي إجازات من خلق يطول ذكرهم»^(٤).

وسأسرد في هذه الخلاصة أسماء شيوخ ابن الجوزي الذين روى عنهم في تلبّيس إبليس — القسم المحقّق — مع ذكر عدد مروياته عن كل واحد منهم، توصلاً إلى معرفة الشيوخ الذين أكثر عنهم ابن الجوزي، ثم أعقب ذلك بترجمة مختصرة لأهم شيوخه الذين كان لهم الأثر في حياته الشخصية والعلمية.

أ — شيوخ ابن الجوزي الذين روى عنهم في تلبّيس إبليس^(٥) — القسم المحقّق

(١) صيد الخاطر (ص ٥٥٧).

(٢) صيد الخاطر (ص ٢٠٩).

(٣) سيأتي التعريف بها (ص ٦٨٩) من القسم المحقّق.

(٤) المشيخة (ص ٢٠٥).

(٥) الأرقام الموجودة أمام كل اسم، هي أرقام الأحاديث أو الآثار التي ورد فيها اسم ذلك الراوي، وترجمته توجد عند أوّل إحالة من هذه الأرقام.

مرتبين على حروف المعجم مع عدد مروياته عن كل واحد منهم:

١— أحمد بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد العبّاسي، أبو السّعادات المتوكلي الشّريف، مات سنة ٥٢١هـ. [١٣٤].

٢— إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث، أبو القاسم السمرقندي الدمشقي، البغدادي، مات سنة ٥٣٦هـ. [٣٧ — ٥٣ — ٥٤ — ٦٩ — ٧٤ — ٧٧ — ٩٥ — ١٠٨ — ١٢٣ — ١٣٨ — ١٤٣ — ١٦٤ — ٢٠٠ — ٢٤٨].

٣— الحسين بن علي بن أحمد بن عبد الله المقرئ، أبو عبد الله البغدادي سبط الخياط، مات سنة ٥٣٧هـ. [٧ — ٢٧].

٤— الحسين بن محمد بن عبد الوهّاب النحوي، أبو عبد الله الشاعر، المعروف بالبارع، مات سنة ٥٢٤هـ [١٧٧].

٥— حمّد بن منصور بن حمّد الهمداني، أبو منصور، مات سنة ٥٣٣هـ. [١٥٤ — ٢٤٩ — ٢٦٦ — ٢٧٣].

٦— زاهر بن طاهر بن محمد الشّحامي، أبو القاسم الشروطي، مات سنة ٥٣٣هـ. [٥١ — ١٧٢ — ٢٥٠ — ٢٦١ — ٢٨٦]. وقد روى عنه ابن الجوزي إجازة.

٧— سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد الأنصاري، أبو الحسن المغربي الأندلسي، مات سنة ٥٤١هـ. [٢٨١].

٨— سعد الله بن علي بن محمد بن حمدي البزاز، مات سنة ٥٥٧هـ. [١ — ١٢ — ١٤ — ٢٠ — ٢١ — ٤٣ — ١١٧ — ١١٨ — ١٢٧ — ١٣٠ — ١٣١].

٩— عبد الأول بن عيسى بن شعيب السَّجْزِي، أبو الوقت الهروي، مات سنة ٥٥٣هـ. [٥ — ٦ — ١٥٠ — ٢٩٣].

١٠— عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد البغدادي، أبو الحسين اليوسفي، مات سنة ٥٧٥هـ. [٢٠٩ — ٢٤٣].

١١— عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القزّاز، أبو منصور الشيباني البغدادي، الحرّمي، مات سنة ٥٣٥هـ. [١١٠ — ١١٦ — ١٢٤ — ١٢٨ — ١٣٥ — ١٤١ — ١٤٢ — ١٦٣ — ١٦٥ — ١٨٤ — ١٨٥ — ١٨٧ — ٢٠٤ — ٢٠٥ — ٢٠٦ — ٢٠٧ — ٢٠٨ — ٢١٠ — ٢١١ — ٢١٢ — ٢٢٤ — ٢٣٩ — ٢٨٣ — ٢٨٤ — ٣٠٩ — ٣١٨ — ٣٢٥].

١٢— عبد الملك بن أبي القاسم عبد الله بن أبي سهل، أبو الفتح الكروخي، مات سنة ٥٤٨هـ. [١١ — ٦٢ — ٦٣].

١٣— عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، أبو المظفر، مات سنة ٥٣٢هـ. [٣٠٤ — ٣٠٥ — ٣١٥ — ٣١٩]. وقد روى عنه ابن الجوزي إجازة.

١٤— عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد الأنماطي، أبو البركات البغدادي، مات سنة ٥٣٨هـ. [٤ — ١٣ — ٤٧ — ٦٥ — ١٠٣ — ١١٢ — ١٧٠ — ٢٦٨ — ٢٧٨].

١٥— علي بن عبد الواحد بن أحمد الدينوري، أبو الحسن البغدادي، مات سنة ٥٢١هـ. [٣٠٧].

١٦— علي بن عبيد الله بن نصر الزاغوني، أبو الحسن البغدادي، صاحب

التصانيف، مات سنة ٥٢٧هـ. [١٠٠].

١٧— عمر بن ظفر بن أحمد المقرئ، أبو حفص المغازلي، مات سنة ٥٤٢هـ.

[٢٩ — ١٧٣ — ٢١٧ — ٢٥٦ — ٣٠٣].

١٨— محمد بن الحسين بن علي البغدادي، أبو بكر المزرفي، شيخ القراء، مات

ساجداً سنة ٥٢٧هـ. [١٦٤].

١٩— محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان البغدادي، أبو الفتح المعروف

بابن البطي، مات سنة ٥٦٤هـ. ويسميه ابن الجوزي كثيراً أثناء الرواية عنه

(محمد بن أبي القاسم). [١٥ — ١٦ — ١٧ — ١٨ — ١٩ — ٢٨ — ٣٦

— ٤١ — ٤٤ — ٤٨ — ٤٩ — ٥٧ — ٥٩ — ٧٦ — ٨٧ — ٨٨ —

— ٩٩ — ١٠٩ — ١٢٠ — ١٢١ — ١٤٥ — ١٦٦ — ١٦٧ — ١٦٨ —

— ١٦٩ — ١٧١ — ١٧٤ — ١٧٥ — ١٨١ — ١٨٢ — ١٨٨ — ١٩٢ —

— ١٩٩ — ٢٠١ — ٢٠٣ — ٢٢٧ — ٢٢٨ — ٢٥٤ — ٢٥٥ — ٢٥٧ —

— ٢٦٠ — ٢٧٤ — ٢٨٧ — ٢٨٨ — ٢٩٠ — ٢٩٢ — ٣٠١ — ٣٠٢].

٢٠— محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله البغدادي، أبو بكر بن أبي

طاهر البزاز، قاضي المارستان، مات سنة ٥٣٥هـ. وقد يسميه ابن الجوزي أحياناً

(أبا بكر بن أبي طاهر)، أو (محمد بن أبي طاهر). [٥٨ — ١٠٢ — ١١١ —

١١٣ — ١١٥ — ١٢٥ — ١٣٢ — ١٤٤ — ٢٢٣ — ٢٢٩ — ٢٣٠ —

— ٢٥٢ — ٢٦٩ — ٢٩٤ — ٣١٠ — ٣٢١].

٢١— محمد بن عبد الله بن حبيب العامري، أبو بكر الواعظ، مات سنة

٥٣٠هـ. [١٣٧ — ١٩٦ — ٢٠٢ — ٢١٣ — ٢١٤ — ٢٢٥ — ٢٣١ —

— ٢٣٦ — ٢٦٢ — ٢٦٤ — ٢٩٥ — ٢٩٦ — ٢٩٩ — ٣٠٦].

٢٢— محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون، أبو منصور البغدادي مات

سنة ٥٣٩هـ. [٢٦ — ٢٤٢].

٢٣— محمد بن عمر بن يوسف الأرموي، أبو الفضل البغدادي، مسند العراق،

مات سنة ٥٤٧هـ. [٧].

٢٤— محمد بن ناصر بن محمد السلامي، أبو الفضل بن أبي منصور البغدادي،

الفراسي الأصل، مات سنة ٥٥٠هـ. وقد لازمه ابن الجوزي ثلاثين سنة، وقد

يسميه (محمد بن أبي منصور). [٤١ — ٤٦ — ٥٢ — ٥٩ — ٧٠ — ٧٥

— ٨٩ — ٩٨ — ١٠١ — ١٣٣ — ١٣٦ — ١٤٠ — ١٤١ — ١٥١

— ١٥٢ — ١٥٣ — ١٥٧ — ١٥٨ — ١٦٦ — ١٧١ — ١٧٦

— ١٨٠ — ١٨٣ — ١٨٦ — ١٨٩ — ١٩٠ — ١٩١ — ١٩٢ — ١٩٣

— ٢١٥ — ٢١٧ — ٢٢٢ — ٢٢٦ — ٢٢٩ — ٢٣٠ — ٢٣٢

٢٣٨ — ٢٤٤ — ٢٤٦ — ٢٥١ — ٢٥٦ — ٢٧٥ — ٢٧٦ — ٢٧٨

— ٢٨٠ — ٢٨٢ — ٢٨٥ — ٢٩٠ — ٣٠٠ — ٣٠١ — ٣٠٨

. [٣١٢ — ٣١٦ — ٣٢٠ — ٣٢٣].

٢٥— المبارك بن أحمد بن عبد العزيز الأرجحي، أبو المعمر الأنصاري، مات سنة

٥٤٩هـ. [٤٥ — ٢٥٩].

٢٦— المبارك بن علي بن حيدر الصيرفي، أبو علي، مات سنة ٥٦٤هـ.

[٢٧٩].

٢٧— موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر، أبو منصور ابن الجواليقي اللغوي

النحوي، مات سنة ٥٤٠هـ. [٣١ — ١٥١].

٢٨— هبة الله بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، أبو القاسم بن الحصين

الهمداني البغدادي، مات سنة ٥٢٥هـ. [٢ — ٨ — ٩ — ١٠ — ٣٠

— ٣٣ — ٣٤ — ٣٥ — ٤٣ — ٦٠ — ٦١ — ٦٤ — ٦٦ — ٦٧

٦٨ — ٩٠ — ٩١ — ٩٣ — ٩٧ — ١١٤ — ١٢٢ — ١٢٦ — ١٤٧
 — ١٥٥ — ١٥٧ — ١٥٩ — ١٦٠ — ٢١٦ — ٢١٨ — ٢١٩ —
 ٢٢٠ — ٢٢١ — ٢٣٣ — ٢٤٠ — ٢٤٥ — ٢٥٣ — ٢٥٨ — ٢٧٧
 — [٢٨٩ — ٣١١ — ٣١٧].

٢٩— يحيى بن ثابت بن بندار الدّينوري، أبو القاسم البقال الوكيل، مات سنة
 ٥٦٦هـ. [٢٦٥ — ٢٩١].

٣٠— يحيى بن علي بن محمد المدير، أبو محمد البغدادي، مات سنة ٥٣٦هـ.
 [٤ — ٤٧ — ١٢٩ — ١٤٦ — ٢٦٧ — ٣٢٠].

ويتضح من خلال هذا الفهرس أن أكثر من روى عنه ابن الجوزي في هذا
 الكتاب — القسم المحقق —:

١— أبو الفضل محمد بن ناصر السّلامي [٥٥ رواية].

٢— ثم أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد، المعروف بابن البطّي [٤٨ رواية].

٣— ثم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد، أبو القاسم بن الحصين [٤١ رواية].

٤— ثم أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز [٢٧ رواية].

٥— ثم أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد البرّاز. [١٦ رواية].

ثم يتفاوت بعد ذلك بقية الرواة من [١٤ رواية فما دون ذلك] إلى أن تصل إلى
 رواية واحدة عند بعض الرواة.

ب — أهم شيوخ ابن الجوزي الذين تأثر بهم:

لا يمكنني في هذه العجالة التعريف بجميع شيوخ ابن الجوزي، وإنما قصدت
 بكتابة هذه الأسطر إظهار أبرز من تأثر بهم ابن الجوزي وكان لهم الأثر الواضح
 في تكوين شخصيته العلمية والتربوية، فقد جمع الله له من الشيوخ ما لم يجتمع لغيره

من أقرانه، وأذكر فيما يلي جملة من أهم شيوخه الذين ذكر هو بعضهم وأثنى عليهم أكثر من غيرهم، وإليك أسماءهم:

١- أبو الفضل ابن ناصر^(١): [٤٩٧ - ٥٥٠هـ].

قال عنه ابن الجوزي: «كان حافظاً ضابطاً متقناً ثقة لا مغمز فيه، وهو الذي تولى تسميعي الحديث، فسمعت مسند الإمام أحمد بن حنبل بقراءته، وغيره من الكتب الكبار، والأجزاء العوالي على الأشياخ، وكان يثبت لي ما أسمع»^(٢).

وقال أيضاً: «لازمته إلى أن توفي رحمه الله، فلتت به معرفة الحديث والنقل»^(٣).

وقد سمع عنه أيضاً الحلبي لأبي نعيم^(٤)، والزهد لأحمد^(٥)، وبعض كتب ابن أبي الدنيا^(٦)، وطبقات الصوفية للسلمي^(٧)، واللمع للطوسي^(٨)، وغيرها^(٩).

٢- ابن الزاغوني^(١٠): [٤٦٨ - ٥٥٢هـ].

-
- (١) هو محمد بن ناصر، وسترده ترجمته عند الحديث رقم [٤١] من القسم المحقق.
 (٢) المنتظم (١٠٣/١٨).
 (٣) لفظة الكبد (ص ٣٥).
 (٤) انظر مثلاً الأرقام التالية من هذه الرسالة [٤١ - ٤٦ - ٥٩ - ١٦٦ - ١٧١ - ١٩٢ - ٢٣٠ - ٢٩٠].
 (٥) انظر مثلاً الأرقام التالية [٧٠ - ٨٩ - ١٤٠ - ١٥٨].
 (٦) انظر مثلاً الرقم [٩٨] من هذه الرسالة.
 (٧) انظر الأرقام [١٨٦ - ١٨٩].
 (٨) انظر مثلاً الرقم [٢١٥] من هذه الرسالة.
 (٩) انظر مثلاً الأرقام التالية من هذه الرسالة [٥٢ - ٧٥ - ١٠١ - ١٣٣ - ١٣٦ - ١٤١ - ١٥١ - ١٩١ - ٢٥٦].
 (١٠) لم يرو ابن الجوزي عن هذا الشيخ في هذا القسم الذي أحققه من التليس، لكن

هو أبو بكر محمد بن عبید الله بن نصر بن السري البغدادي، المعروف بابن الزاغوني المجلد.

قال السمعاني: «شيخ صالح متدين، مرضي الطريقة، قرأت عليه أجزاء، وكان له دكان يجلد فيها»^(١).

وقال عنه ابن الجوزي: «... قرأت عليه كثيراً من مسموعاته، وتوفي ليلة الاثنين ثالث وعشرين ربيع الآخر، ودفن بمقبرة باب حرب سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة»^(٢).

٣- أبو منصور الجواليقي^(٣): [٤٦٦ - ٥٤٠هـ].

قال عنه ابن الجوزي: «ولقيت الشيخ أبا منصور الجواليقي، فكان كثير الصمت، شديد التحري فيما يقول، متقناً محققاً، وربما سُئل المسألة الظاهرة التي يبادر بجوابها بعض غلمانه، فيتوقف فيها حتى يتيقن، وكان كثير الصوم والصمت»^(٤).

وقال عنه أيضاً: «... وكان من أهل السنة، وسمعت عنه كثيراً من الحديث وغريب الحديث، وقرأت عليه كتاب المعرب وغيره من تصانيفه وقطعة من اللغة»^(٥).

روى عنه في كتبه الأخرى.

(١) السير (٢٧٨/٢٠).

(٢) المنتظم (١٢٢/١٨).

(٣) هو موهوب بن أحمد، سترد ترجمته عند الحديث رقم [٣١] من القسم المحقق.

(٤) صيد الخاطر (ص ٢١٠).

(٥) المنتظم (٤٧/١٨).

وذكر أنه انتفع برؤيته أكثر من انتفاعه بغيره^(١)، هو والشيوخ عبد الوهاب الأغمطي الذي سيأتي فيما يلي.

٤— عبد الوهاب الأغمطي^(٢): [٤٦٢ — ٥٣٨هـ].

قال عنه ابن الجوزي: «كان صحيح السَّماع ثقة ثباتاً، وكنت أقرأ عليه الحديث وهو يبكي، استفدت ببيكائه أكثر من استفادتي بروايته، وكان على طريقة السلف، وانتفعت به ما لم أنتفع بغيره، ودخلت عليه وقد بلي وذهب لحمه، فقال لي: إن الله لا يتهم في قضائه»^(٣).

وقال عنه أيضاً: «وما عرفنا من مشايخنا أكثر سماعاً، منه ولا أكثر كتابة للحديث، ولا أصبر على الإقراء، ولا أحسن بشراً ولقاءً، ولا أسرع دمعة ولا أكثر بكاءً»^(٤).

وروى عنه ابن الجوزي في القسم الذي أحققه، كتاب الحلية في موضع واحد^(٥)، وبعض كتب الحاملي^(٦)، وكتاب المجالسة للدينوري، وغيرها^(٧).

٥— أبو القاسم ابن الحصين^(٨): [٤٣٢ — ٥٢٥هـ].

قال عنه ابن الجوزي: «.. عمر حتى صار أسند أهل عصره، فرحل إليه الطلبة،

(١) صيد الخاطر (ص ٢١٠).

(٢) هو عبد الوهاب بن المبارك، وسرد ترجمته عند الحديث رقم (٤) من القسم المحقق.

(٣) المنتظم (٣٣/١٨-٣٤) وانظر: صفة الصفوة (١/٦٣٤).

(٤) صفة الصفوة (١/٦٣٤).

(٥) انظر الرقم [١٣] من القسم المحقق.

(٦) انظر الرقم [٦٥] و[١٧٠] من القسم المحقق.

(٧) انظر مثلاً الرقم [٢٧٨] من القسم المحقق.

(٨) هو هبة بن محمد، وستأتي ترجمته عند الحديث رقم [٢].

وازدحموا عليه، وكان صحيح السماع، وسمعت منه جميع مسند الإمام أحمد، والغيلانيات جميعها، وأجزاء المزكّي وهو آخر من حدث بذلك، وسمعت منه غير ذلك، وأملى بجامع القصر مجالس كثيرة، خرجها له شيخنا أبو الفضل بن ناصر واستملاها عليه، وكنت أحضر الإملاء وأكتب»^(١).

وقد روى ابن الجوزي من طريقه في القسم الذي أحققه مسند الإمام أحمد في مواطن كثيرة^(٢).

٦- أبو منصور القزّاز^(٣): [٤٥٣ - ٥٣٥هـ].

قال عنه ابن الجوزي: «كان من أولاد المحدثين، سمّعه أبوه وعمّه الكثير، وكان صحيح السماع... وكان ساكناً قليل الكلام، خيراً سليماً، صبوراً على العزلة، حسن الأخلاق»^(٤).

وقال عنه أيضاً: «سمعنا منه تاريخ بغداد عن الخطيب وكان ثقة خيراً»^(٥).

وقد روى عنه ابن الجوزي في القسم الذي أحققه تاريخ بغداد للخطيب في مواطن عديدة^(٦).

(١) المشيخة (ص ٦٠-٦١).

(٢) انظر مثلاً الأرقام التالية من القسم المحقق [٢-٨-١٠-٣٠-٤٣-٦٠-٦٦-٩٠-

٩٣-١٢٦-١٤٧-١٥٥-١٥٩-١٧٢-٢١٦-٢٣٣-٢٧٧-٣١١-٣١٧].

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد ستأتي ترجمته عند الحديث رقم [١١٠].

(٤) المنتظم (١١/١٨).

(٥) المشيخة (ص ١٢٥).

(٦) انظر مثلاً الأرقام التالية من القسم المحقق [١١٠-١١٦-١٢٨-١٣٥-١٦٥-

١٨٤-١٨٧-٢٠٤-٢٠٨-٢٢٤-٢٨٣-٣٠٩-٣٢٥].

٧- أبو بكر بن أبي طاهر البزاز^(١): [٤٤٢ - ٥٣٥هـ].

قال عنه ابن الجوزي: «عمر حتى ألحق الصغار بالكبار، وكان حسن الصورة، حلو المنطق، مليح المعاشرة، وكان يصلي بجامع المنصور، فيحيء في بعض الأيام فيقف وراء مجلسي وأنا على منبر الوعظ فيسلم عليّ، وأملى الحديث في جامع القصد... وقرأت عليه الكثير، وكان فهماً ثباتاً، حجة متقناً في علوم كثيرة، متفرداً في علم الفرائض»^(٢).

وقال عنه أيضاً: «ودخلت عليه بعد ثلاث وتسعين سنة من عمره وهو صحيح الحواس ثابت العقل، ولما مرض لم يفتر عن تلاوة القرآن إلى أن توفّي»^(٣).

وقد روى عنه ابن الجوزي في القسم الذي أحققه: الطبقات الكبرى لابن سعد^(٤)، وكتاب نشوار المحاضرة لأبي القاسم علي بن التنوخي^(٥)، وغيرها.

٨- أبو حكيم النهرواني^(٦): [٤٨٠ - ٥٥٦هـ].

هو إبراهيم ابن دينار النهرواني، الفقيه الحنبلي، العلامة القدوة، أحد أئمة بغداد^(٧).

(١) هو محمد بن عبد الباقي بن محمد، ستأتي ترجمته عند الحديث رقم [٥٨].

(٢) المنتظم (١٨/١٤).

(٣) المشيخة (ص ٦٥).

(٤) انظر مثلاً الأرقام التالية من قسم التحقيق [٥٨ - ١١٣ - ١٢٥ - ٢٢٣ - ٢٥٢ - ٢٦٩ - ٢٩٤].

(٥) انظر مثلاً الأرقام التالية [١١٥ - ١٣٢ - ١٤٤].

(٦) حدّث عنه ابن الجوزي في موطن واحد من القسم الذي أحققه حيث روى عنه قصة في الفتيا عند كلامه على تلبس إبليس على الزهاد في التقليل من العلم (ص ٨٩٦).

(٧) المنتظم (١٨/١٤٩)، السير (٢٠/٣٩٦).

قال عنه ابن الجوزي: «قرأ القرآن وسمع الحديث... وتفقه وناظر وأفتى، وكان عالماً بالمدّهب والحدود والفرائض، وكان ممن يضرب به المثل في الحلم والتواضع»^(١).

وذكر ابن الجوزي أنه تسلم بعده المدرسة التي بالمأمونية، وكانت له مدرسة أيضاً بباب الأزج أسندها لابن الجوزي لما احتضر^(٢).

٩- أبو بكر الدينوري^(٣): [// - ٥٣٢هـ].

قال عنه ابن الجوزي: «برع في المناظرة، وكان أسعد الميهني^(٤) يقول: ما اعترض أبو بكر الدينوري على دليل أحد إلا ثلم منه ثلثة، سمعت عليه درسه مدّة...»^(٥).

وذكر أنه كان يصلي وراءه أيام الصبا، وكان الشيخ أبو بكر الدينوري يعتني به ويوجهه آنذاك^(٦).

١٠- أبو الفتح الكروخي^(٧): [٤٦٢ - ٥٤٨هـ].

(١) المشيخة (ص ١٩٢-١٩٣).

(٢) المنتظم (١٤٩/١٨).

(٣) هو أحمد بن محمد بن أحمد، وستأتي ترجمته (ص ٧٩٠) من القسم المحقق.

(٤) هو أسعد بن محمد بن أبي نصر الميهني، الفقيه الشافعي، الملقب بمحي الدين، كان إماماً مبرزاً في الفقه والخلاف، قال عنه السبكي: الإمام الكبير النّظار، المتفق على أنه الفرد في علم الخلاف، مات سنة ٥٢٧هـ (وفيات الأعيان ٢٠٧/١)، طبقات الشافعية للسبكي (٤٢/٧).

(٥) المنتظم (٣٢٨/١٨).

(٦) انظر (ص ٧٩٠) من القسم المحقق.

(٧) سترد ترجمته عند الحديث رقم [١١] من القسم المحقق.

قال عنه ابن الجوزي: «سمع جماعة كثيرة، وكان خيراً، صالحاً، صدوقاً، مقبلاً على نفسه... وكان يكتب نسخاً للجامع الترمذي ويبيعها، فيتقوت منها، وكتب نسخة فوقها»^(١).

وقد روى ابن الجوزي من طريقه — في القسم الذي أحققه — جامع الترمذي^(٢).

١١ — أبو محمد بن الطراح^(٣): [٤٥٩ — ٥٣٦هـ].

قال عنه ابن الجوزي: «كان سماعه صحيحاً، وكان من أهل السنة، شهد له بذلك شيخنا ابن ناصر، وكان له سمت وصمت ووقار، مشغولاً بما يعنيه، كثير الرغبة في الخير...»^(٤).

وقد روى عنه ابن الجوزي في القسم الذي أحققه مقروناً بغيره^(٥)، كما روى عنه استقلالاً^(٦).

هؤلاء الشيوخ الذين ذكرتهم سابقاً قد لقيهم ابن الجوزي وتلمذ عليهم وصاحبهم، غير أن هناك بعض الشيوخ قرأ لهم ابن الجوزي وأخذ من كتبهم وتأثر بهم من غير مصاحبة لهم، وهم أكثر بلا شك، لكن أبرزهم على الإطلاق: أبو الوفاء ابن عقيل، فهو أكثرهم صلة به، وتعوياً عليه، وترديداً لآرائه،^(٧) مما

(١) المشيخة (ص ٩٥).

(٢) انظر الأرقام التالية [١١ - ٦٢ - ٦٣] من القسم المحقق.

(٣) هو يحيى بن علي بن محمد المدير، ستأتي ترجمته عند الحديث رقم [٤].

(٤) المشيخة (ص ١٠٧).

(٥) انظر مثلاً الأرقام التالية [٤ - ٤٧ - ١٢٩].

(٦) انظر مثلاً الرقم [١٤٧] و [٣٢٠].

(٧) أكثر النقل عنه ابن الجوزي في القسم الذي أحققه، انظر مثلاً الصفحات التالية

يدعوني إلى مزيد من البسط في ترجمته^(١) فأقول:

هو أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي، الإمام العلامة الفقيه المتكلم. ولد في جمادى الآخرة سنة ٤٣١هـ، وتوفي سنة ٥١٣هـ أي قريباً من ولادة ابن الجوزي.

قال عنه ابن الجوزي: «كان حسن الصورة، ظاهر المحاسن، حفظ القرآن، وقرأ القراءات على أبي الفتح بن شيطا وغيره، وكان يقول: شيخني في القراءة ابن شيطا، وفي الأدب والنحو أبو القاسم بن برهان، وفي الزهد أبو بكر الدينوري...»^(٢).

ثم ساق بقية مشايخه في شتى أنواع الفنون.

هذا فضلاً عن كون ابن عقيل نشأ في بيت علم، فيقول ابن عقيل عنهم: «فإن بيت أبي كلهم أرباب أقلام وكتابة وشعر وآداب»^(٣).

وقال أيضاً: «وأفتى ابن عقيل ودرس، وناظر الفحول، وجمع علوم الأصول والفروع، وصنف فيها الكتب الكبار، وكان دائم الاشتغال بالعلم... وكان له الخاطر العاطر، والبحث عن الغوامض والدقائق، وجعل كتابه المسمى (بالفنون) مناظراً لخواطره وواقعاته، ومن تأمل واقعاته فيه عرف غور الرجل، وتكلم على المنبر بلسان الوعظ مدّة، فلما كانت سنة ٤٧٥ جرت فيها فتن بين الحنابلة

[ص ٢٩٠ - ٤١٨ - ٤٩٢ - ٤٩٨ - ٦٠٠ - ٦٤٤ - ٧٤٥ - ٧٤٧ - ٧٠٨ -

٧٤٩ - ٧٧٦ - ٨٥٣ - ١٠٨٥ - ١١٢٧ - ١١٦٧ - ١٣٠٦].

(١) سزد له ترجمة أيضاً عند أول موضع يذكره فيه ابن الجوزي (ص ٢٩٠) من القسم المحقق.

(٢) المنتظم (١٧٩/١٧).

(٣) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (١/١٤٣).

والأشاعرة، فترك الوعظ واقتصر على التدريس...»^(١).

وكتاب الفنون الذي أشار إليه ابن الجوزي يقع في مائتي مجلد وقال عنه: «وقع إليّ من هذا الكتاب نحو من مائة وخمسين مجلدة»^(٢).

وقال الذهبي: «هو أزيد من أربعمائة مجلد، حشد فيه كلّ ما كان يجري له مع الفضلاء والتلامذة، وما يسبح له من الدقائق والغوامض، وما يسمعه من العجائب والحوادث»^(٣).

وكان ابن عقيل يحضر حلقات الجويني^(٤)، وأبي حامد الغزالي^(٥) وغيرهما في بغداد، وهو وإن كان على مذهب الإمام أحمد ومنسوباً إلى الحنابلة، غير أنه كان إلى جانب ذلك يشتغل بالكلام ويتردد على شيوخ المعتزلة في زمانه^(٦)، وكان - رحمه الله - مضطرباً في عقيدته في صفات الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولابن عقيل أنواع من الكلام، فإنه من أذكيا العالم، كثير الفكر والنظر في كلام الناس، فتارة يسلك مسلك نفاة الصفات الخيرية، وينكر على من يسميها صفات، ويقول: إنما هي إضافات، موافقة للمعتزلة، كما فعله في كتابه «ذم التشبيه وإثبات التنزيه» وغيره من كتبه، وأتبعه على ذلك أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه «كف التشبيه بكف التنزيه»، وكتابه «منهاج الوصول». وتارة يثبت الصفات الخيرية ويرد على النفاة والمعتزلة بأنواع

(١) المنتظم (١٧/١٨١).

(٢) انظر: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص ٧٠٠).

(٣) السير (١٩/٤٤٥).

(٤) سنأتي ترجمته (ص ٥٠٠) من القسم المحقق.

(٥) سنأتي ترجمته (ص ٦٤٥) من القسم المحقق.

(٦) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (١/١٤٦).

من الأدلة الواضحات، وتارة يوجب التأويل كما فعله في « الواضح » وغيره. وتارة يحرم التأويل ويذمه وينهى عنه، كما فعله في كتابه « الانتصار لأصحاب الحديث ».

فيوجد في كلامه من الكلام الحسن البليغ ما هو معظم مشكور، ومن الكلام المخالف للسنة والحق ما هو مذموم مدحور^(١).

قال ابن رجب الحنبلي: «وكان معظماً لأبي الوفاء بن عقيل يتابعه في أكثر ما يجد في كلامه، وإن كان قد ردّ عليه في بعض المسائل، وكان ابن عقيل بارعاً في الكلام، ولم يكن تام الخيرة بالحديث والآثار، فلهذا يضطرب في هذا الباب، وتتلون فيه آراؤه، وأبو الفرج تابع له في هذا التلون»^(٢).

والمتتبع لكتب ابن الجوزي يلحظ كثرة نقله عنه^(٣)

وقد تاب ابن عقيل عن الكلام وصحبة أربابه، وتبرأ عن أي شيء وجد بخطه من مذاهبهم، ذكر ذلك ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٦٥هـ^(٤)، وذلك بحضرة جماعة من علماء الحنابلة، وجاء في تلك النسخة التي أعلن فيها توبته ما نصّه:

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/٦٠-٦١).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (١/٤١٤). وانظر: لسان الميزان لابن حجر (٤/٢٤٣).

(٣) انظر الصفحات التالية من القسم المحقق: (٢٩٠-٤١٨-٤٩٨-٦٠٠-٦٤٤-٦٤٥

٦٤٦-٦٤٧-٧٠٨-٧٤٩-٧٧٦-٨٥٣-١٠٨٥-١١٢٧)، ومن الجزء غير المحقق (ط. المنيرية): (٢٤٥-٢٥٩-٢٦٨-٢٨٥-٣١٨-٣٢٥-٣٧٠-٣٧٢)، ومن

المنتظم (١/١٣٠، ١٨٧)، (٢/٢٣٢)، (٥/٥)، (٨/١٨، ٨٥، ١٤٣)،

(١٣/١٠٩)، (١٤/٣٩١)، (١٥/٣٣٤)، (١٦/٢٣، ٨٩، ٩٠)، (١٧/١٦،

٢٤). ومن كشف مشكل الصحيحين (١/٦٤، ٧٧، ٣٥٨، ٣٧٢)، (٢/٨٥،

٣٦٧)، (٣/١٣٤، ١٥٧، ٤٥٤).

(٤) المنتظم (١٦/١٤٣).

«بسم الله الرحمن الرحيم، يقول علي بن عقيل بن محمد: إني أبرأ إلى الله تعالى من مذاهب المبتدعة والاعتزال وغيرهم، ومن صحبة أربابه، وتعظيم أصحابه، والترحم على أسلافهم والتكثير بأخلاقهم، وما كنت علقته ووجد بخطي من مذاهبهم وضلالتهم فأنا تائب إلى الله من كتابته، ولا تحل كتابته ولا قراءته ولا اعتقاده...» إلى أن قال: «فأشهدت الله تعالى وملائكته وأولي العلم على ذلك غير مجبر ولا مكره، وباطني وظاهري يعلم الله في ذلك سواء. قال تعالى: ﴿ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام﴾ وكتب يوم الأربعاء عاشر محرم سنة خمس وستين وأربعمائة». وشهد على ذلك جماعة كثيرة من الشهود والعلماء^(١).

ومما كتبه بعد توبته مسألة القرآن، وقرّر فيها مذهب السلف، وردّ على من خالفهم^(٢).

وتوفي ابن عقيل بكرة الجمعة ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، ودفن في دكة الإمام أحمد^(٣).

المطلب الثالث: تلاميذه.

ليس غريباً أن يعلو ذكر ابن الجوزي ويرتفع قدره، ويشتهر في الآفاق بين الخاصة والعامة، ليس غريباً أن يكون محطّ أنظار طلبة العلم، وقد أوتي قدرة وموهبة مكّنته من التأثير في الناس، وكتب الله له القبول عند العامة والخاصة، ويحدثنا هو عن ذلك فيقول: «وضع الله لي القبول في قلوب الخلق فوق الحد، وأوقع كلامي في نفوسهم فلا يرتابون بصحته، وقد أسلم على يدي نحو مائتين من

(١) انظر: المنتظم (١٤٣/١٦-١٤٤)، والذيل على طبقات الحنابلة (١٤٤/١-١٤٥).

(٢) انظر: جزء في الأصول (مسألة القرآن) لابن عقيل (ص ٨٠ وما بعدها). ومجموع الفتاوى (١٦٤/٤).

(٣) المنتظم (١١٧/١١٩)، مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص ٧٠٠).

أهل الذمة، ولقد تاب في مجالسي أكثر من مائة ألف...»^(١).

وقد كان له عديد من التلاميذ، وسأقتصر على ذكر بعضهم على سبيل التمثيل، وهم:

١- ابنه محي الدين يوسف^(٢): [٥٨٠ - ٦٥٦هـ].

وهو أصغر أولاد أبي الفرج بن الجوزي وأنجبهم، ولد سنة ٥٨٠هـ، وسمع من أبيه، وغيره، نشأ واشتغل وعمل بالوعظ وهو صبي، وهو الذي شفع لأبيه عند أم الخليفة فأطلق سراحه، وصاحبه عند عودته من واسط، وقرأ معه بالقراءات العشر على ابن الباقلاني، ودرس وأفتى وناظر، وتصدر للفقهِ والوعظ، ووصل إلى منصب سفير الخليفة إلى ملوك الأطراف، ثم صار أستاذ دار الخلافة في عهد المستعصم، وهو الذي أسس المدرسة الجوزية في دمشق، وإليها ينتسب العلامة ابن قيم الجوزية، وله تصانيف عدة، منها: «المذهب الأحمد في مذهب أحمد» و«معادن الإبريز في تفسير الكتاب العزيز» و«الإيضاح في الجدل».

قال عنه الذهبي: «كان صدراً كبيراً، وافر الجلالة، ذا سمت وهيبة وعبارة فصيحة، رُوسل إلى الملوك، وبلغ أعلى المراتب، وكان محمود الطريقة، مُحِبِّباً إلى الرعية»^(٣).

قتل - رحمه الله - وأولاده الثلاثة صبراً مع الخليفة المستعصم على يد التتار عند دخول هولاءكو في صفر سنة ست وخمسين وستمائة.

(١) لفظة الكبد (ص ٣٧).

(٢) انظر ترجمته في: العبر (٢٨٥/٣)، البداية والنهاية (٣٣/١٣)، ذيل طبقات الخنابلة (٢٥٨/٢)، شذرات الذهب (٢٨٦/٥).

(٣) السير (٣٧٣/١٣).

٢— أبو المظفر سبط ابن الجوزي^(١): [٥٨١ — ٦٥٤هـ].

هو يوسف بن قرغلي بن عبد الله التركي الهبيري الحنفي، الشيخ العالم المؤرخ المشهور، واعظ الشام، سبط ابن الجوزي.

كان أبوه مملوكاً تركيا عند الوزير ابن هبيرة فأعتقه، وتزوج بنت أبي الفرج وهي رابعة، مات والده وهو صغير فرباه جدّه ابن الجوزي، فتأثر به كثيراً وخاصة في الوعظ والتاريخ.

قال الذهبي: «انتهت إليه رئاسة الوعظ وحسن التذكير ومعرفة التاريخ، وكان حلو الإيراد، لطيف الشمائل، مليح الهيئة، وافر الحرمة، له قبول زائد، وسوق نافذ بدمشق، أقبل عليه أولاد الملك العادل وأحبّوه، وصنّف تاريخ مرآة الزمان وأشياء، ورأيت له مصنفاً يدل على تشييعه، وكان العامة يبالغون في التغالي في مجلسه، سكن دمشق من الشيبية، وأفتى ودرّس»^(٢).

توفي بمنزله بسفح قاسيون بدمشق سنة ٦٥٤هـ.

٣— ابن الديبشي^(٣): [٥٥٨ — ٦٣٧هـ].

هو محمد بن سعيد بن يحيى بن علي بن حجاج الديبشي، ثم الواسطي الشافعي، مؤرخ بغداد. كان عالماً بالقراءة والحديث والأدب والتاريخ، تفقّه على ابن الجوزي وغيره، وحذا حذوه في التصنيف، رحل إلى بغداد مراراً وسمع بها عن جماعة من العلماء.

(١) انظر ترجمته في: ذيل الروضتين لأبي شامة (ص ١٩٥)، وفيات الأعيان (١٤٢/٣)،

السير (٢٩٦/٢٣)، شذرات الذهب (٢٦٦/٥).

(٢) السيز (٢٩٧/٢٣).

(٣) انظر ترجمته في: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار (ص ٩١-٩٣)، السير

(٩٢/٢٣)، طبقات الشافعية (٦١/٨)، شذرات الذهب (١٨٥/٥).

قال عنه ابن النجار — وهو أحد من روى عنه —: «كان حسن الصحبة، جميل الأخلاق والتوّدّد والديانة وحسن الطريقة»^(١).

وقال عنه ابن النجار أيضاً — كما نقله الذهبي —: «ما رأيت عيناى مثله في حفظ التواريخ والسير وأيام الناس» وقال: «... أضرّ بأخرّة، وتوفي ثامن ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وست مائة، ولقد مات عديم النظر في فنّه»^(٢).

٤ — ابن القطيعي^(٣): [٥٤٦ — ٦٣٤هـ].

هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن عمر بن حسين بن خلف البغدادي، المعروف بابن القطيعي، الشيخ العالم المحدث المؤرخ، مسند العراق.

لزم الشيخ أبا الفرج بن الجوزي، وقرأ عليه كثيراً من مصنفاته، وأخذ عنه الوعظ، وسمع من غيره من العلماء ببغداد والموصل ودمشق، وناب عن صاحب محي الدين ابن الجوزي في الحسبة.

وكان آخر من حدّث ببلده بصحيح البخاري كاملاً عن أبي الوقت السجزي، وتفرد بعدة أجزاء.

حدّث عنه ابن الديبشي وابن النجار والعلاء بن بلبان، وغيرهم.

قال ابن نقطة: «ذكر لنا أنه قد صنّف تاريخاً لبغداد إلا أنه ما أظهره، وهو شيخ صحيح السماع، أفاده والده رحمه الله»^(٤).

(١) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (ص ٩٢).

(٢) تذكرة الحفاظ (٤/١٤١٥).

(٣) انظر ترجمته في: التكملة لوفيات النقلة (٣/٤٤٢)، السير (٨/٢٣)، الذيل على

طبقات الحنابلة (٢/٢١٢)، شذرات الذهب (٥/١٦٢).

(٤) التقييد لرواة السنن والمسانيد لابن نقطة (ص ٥٨).

توفي — رحمه الله — سنة ٦٣٤هـ، ودفن بمقبرة الإمام أحمد ببغداد.

٥— ابن النجار: [٥٧٨ — ٦٤٣هـ]^(١).

هو أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن، محب الدين، المعروف بابن النجار البغدادي.

كان محدثاً حافظاً مؤرخاً أديباً، سمع ببغداد من أبي الفرج بن الجوزي، وقرأ القراءات بالروايات السبع على أبي أحمد بن سكينه، ورحل إلى الشام ومصر وأصفهان وخراسان والحجاز ومرو ونيسابور واليمن، وغيرها من البلاد الإسلامية، ودامت رحلته سبعاً وعشرين عاماً، حصل خلالها على الأصول والمسانيد، فجمع الكثير وأدرك سماعات عالية.

وخلّف تصانيف كثيرة في مختلف العلوم والمعارف، ومنها: «تاريخ بغداد» والذي ذيل به على تاريخ بغداد للخطيب، و«أنساب المحدثين إلى الأدباء والبلدان» و«إخبار المشتاق إلى أخبار العشاق» و«مناقب الشافعي». توفي سنة ٦٤٣هـ، ودفن بمقابر الشهداء بباب حرب.

٦— أبو البقاء العكبري^(٢): [٥٣٨ — ٦١٦هـ].

هو عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، البغدادي، الأزجعي، العلامة النحوي الحنبلي الضرير، صاحب التصانيف.

سمع من أبي الفتح وابن البطي، وأبي زرعة المقدسي، وأبي بكر ابن النقور،

(١) انظر ترجمته في معجم الأدباء لياقوت (٤٩/١٩)، السير (١٣١/٢٣) فوات الوفيات

(٣٦/٤)، طبقات الشافعية للسبكي (٩٨/٨)، شذرات الذهب (٢٢٦/٥).

(٢) انظر ترجمته في: إنباه الرواة للقفطي (١١٦/٢)، التكملة لوفيات النقلة (٤٦١/٢)،

وفيات الأعيان (١٠٠/٣)، السير (٩١/٢٢)، نكت الهميان للصفدي (ص١٧٨)،

ذيل طبقات الحنابلة (١٠٩/٢)، شذرات الذهب (٦٧/٥).

وجماعة. وبرع في الفقه والأصول، وحاز قصب السبق في العربية.

قال ابن النجار: «كان ثقة صدوقاً، غزير الفضل، كامل الأوصاف كثير المحفوظ متديناً حسن الأخلاق، ذكر لي أنه أضرب في صباه»^(١).

وله مصنفات كثيرة منها: «تفسير القرآن وإعرابه» و«إعراب الحديث» و«شرح الهداية لأبي الخطاب» و«شرح الحماسة».

حدث عنه ابن الديلمي، وابن النجار، وغيرهما.

مات سنة ٦١٦هـ، ودفن بباب حرب.

المطلب الرابع: مذهبه الفقهي.

مما لا شك فيه أن ابن الجوزي - رحمه الله - كان حنبلي المذهب، ذكر ذلك غير واحد ممن ترجم له^(٢)، ومما يؤكد ذلك ما نقل عنه أنه كان يظهر في مجالسه مدح السنة والإمام أحمد^(٣).

يقول عنه الإمام ناصح الدين ابن الحنبلي الواعظ: (ولمذهب أحمد منه ما لصخرة بيت المقدس من القدس)^(٤).

وقد صنّف - رحمه الله - في مناقب الإمام أحمد مؤلفاً ضخماً، وذكر فيه باباً مستقلاً في سبب اختياره لمذهب أحمد دون غيره من المذاهب، وعدّ مزاياه^(٥).

(١) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (ص ٢٦٦).

(٢) انظر مثلاً: التكملة لوفيات النقلة للمنزدي (١/٣٩٤)، وفيات الأعيان (٣/١٤٠)، السير (٢١/٣٦٥)، البداية والنهاية (١٣/٣١).

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (١/٤٠٣).

(٤) المصدر نفسه (١/٤١١).

(٥) انظر: مناقب الإمام أحمد (ص ٦٦٠ وما بعدها).

وصنف كتباً في الفقه على المذهب الحنبلي، منها : المذهب في المذهب، والعبادات الخمس، وعمد الدلائل في مشتهر المسائل^(١).

ومع ميله الشديد إلى مذهب الإمام أحمد - رحمه الله - فإنه يكره التعصب المذموم ، ويبين ذلك بقوله : (فأما المجتهد من أصحاب أحمد فإنه يتبع دليله من غير تقليد له، ولهذا يميل إلى إحدى الروايتين عنه دون الأخرى، وربما اختار ما ليس في المذهب أصلاً لأنه تابع للدليل، وإنما ينسب هذا إلى مذهب أحمد لميله إلى عموم أقواله)^(٢).

المطلب الخامس: ذكر مؤلفاته.

لم يقتصر عمل ابن الجوزي - رحمه الله - على التدريس والإملاء والإفتاء والمجالس الوعظية ونحوها من الوظائف التي كان يتولاها بنفسه، بل تجاوز ذلك إلى التأليف الذي هو من أكبر الأدلة على همة هذا الإمام العالية ومكانته العلمية، والتصنيف هو زبدة العمر، ووارث العالم المخلد، وهو أخو التعليم بالمشافهة، بل إن نفعه أكثر لأنه بذر يكثر ريعه ويمتد زمانه^(٣).

ويوضح هذا ابن الجوزي بقوله: «رأيت من الرأي القويم أن نفع التصانيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة؛ لأنني أشافه في عمري عدداً من المتعلمين، وأشافه بتصنيفي خلقاً لا تحصى ما خلقوا بعد، ودليل هذا أن انتفاع الناس بتصانيف المتقدمين أكثر من انتفاعهم بما يستفيدون من شيوخهم...»^(٤).

(١) انظر : ذيل طبقات الحنابلة (٤١٨/٣)، والمدخل المفصل في فقه الإمام أحمد ، بكر

أبو زيد (٢ / ٩٧٦-٩٧٧).

(٢) المصدر السابق (ص٦٦٦).

(٣) انظر: صيد الخاطر (ص٥٧) و(ص٨٣).

(٤) صيد الخاطر (ص٣١٢).

وقد بدأ ابن الجوزي التصنيف في سن مبكر، ووجد بخطه تصنيف له في الوعظ، ذكر أنه صنّف سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، وقال: ولي من العمر سبع عشرة سنة^(١).

ونقل ابن رجب عنه أيضاً أنه بدأ التأليف وله من العمر نحو ثلاث عشرة سنة^(٢) ونظراً لتنوع معارف ابن الجوزي وتعددها، فقد كثرت مصنفاته، وتنوعت موضوعاتها وعلومها في شتى أنواع الفنون، كالتاريخ والتراجم والحديث والفقه والتفسير والوعظ والزهد والطب، وغيرها من كتاب كبير وصغير، ورسالة، ومختصر، ومستدرک وغير ذلك.

فكان رحمه الله من أغزر العلماء تصنيفاً حتى قال الإمام الذهبي: «وما علمت أحداً من العلماء صنّف ما صنّف هذا الرجل»^(٣).

وقال ابن الديبشي: «لا أعرف أحداً له تصانيف موجودة أكثر من ابن الجوزي في فنون العلم، ورأيت أسماءها مفردة في كراس»^(٤).

وقد اختلف العلماء والمؤرخون في عدد تصانيف ابن الجوزي، بل إن ابن الجوزي نفسه قد تباينت عباراته في ذلك.

فينقل سبطه أبو المظفر أنه سمعه يقول على المنبر في آخر عمره: «كتبت بإصبعي هاتين ألفي مجلدة..»^(٥).

(١) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (١/٤٠٠).

(٢) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (١/٤٠٠).

(٣) تذكرة الحفاظ (٤/١٣٤٤).

(٤) المختصر المحتاج إليه للذهبي (٢/٢٠٧).

(٥) مرآة الزمان (٨/٤٨٢) ونقله عنه ابن رجب في الذيل (١/٤١٠).

وسئل مرة عن عددها وأحجام كل منها، فقال: «زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفاً، منها ما هو عشرون مجلداً، ومنها ما هو كرّاس واحد»^(١).

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية في الأجوبة المصرية عن الإمام ابن الجوزي فقال: «كان الشيخ أبو الفرج مفتياً كثير التصنيف والتأليف، وله مصنفات في أمور كثيرة حتى عددها فرأيتها أكثر من ألف مصنف، ورأيت بعد ذلك له ما لم أراه»^(٢).

ولا غرابة في ذلك إذا عرفنا طريقة ابن الجوزي في التصنيف، وذلك أنه كان إذا رأى تصنيفاً وأعجبه صنّف مثله في الحال، وإن لم يكن تقدم له في ذلك عمل، وكان يصنّف الكتاب ولا يعتبره، بل يشتغل بغيره، وكذا نقله من الصحف، وربما كتب في الوقت الواحد في تصانيف عديدة، ولولا ذلك لم تجتمع له هذه المصنفات الكثيرة^(٣).

ولذا قال الذهبي: «وصنّف شيئاً لو عاش عمراً ثانياً، لما لحق أن يحجّره ويتقنه»^(٤).

وقال أيضاً: «ومع تبخّر ابن الجوزي في العلوم، وكثرة اطلاعه وسعة دائرته، لم يكن مبرزاً في علم من العلوم، وذلك شأن كل من فرق نفسه في بحور العلم، ومع أنه كان مبرزاً في التفسير والوعظ والتاريخ، ومتوسطاً في المذهب، متوسطاً في الحديث، له اطلاع تام على متونه، أما الكلام على صحيحه وسقيمه، فما له فيه

(١) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٤١٣/١)، وشذرات الذهب (٣٣١/٤).

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (٤١٥/١).

(٣) انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (١٣٤٧/٤)، وذيل طبقات الحنابلة (٤١٤/١).

(٤) السير (٣٧٨/٢١).

ذوق المحدثين، ولا نقد الحفاظ المبرزين...»^(١).

وقد أُحصيت كتب ابن الجوزي في مؤلفات خاصة، ولعلّ أحسن من رأيته استوعب ذلك من المعاصرين الأستاذ عبد الحميد العلوجي في كتابه «مؤلفات ابن الجوزي»^(٢)، فقد ذكر فيه قرابة خمسمائة مصنف لابن الجوزي؛ فمن أراد الاستزادة والتفصيل عن أسماء مؤلفاته وأماكن وجودها فعليه الرجوع إليه.

وسأسرد أولاً مؤلفاته في العقيدة المطبوع منها والمخطوط، ثم أذكر أهم مؤلفاته المطبوعة في الفنون الأخرى.

- أولاً : كتب ابن الجوزي في العقيدة :

١- دفع شبه التشبيه :

ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٤١٧/١)، وسبط ابن الجوزي في مرآة الزمان (٤٨٤/٤)، وسماه (دفع التشبيه بأكف التزيه).

وطبع في مطبعة الترقى بدمشق عام ١٣٤٥هـ، وفي المكتبة التوفيقية بالقاهرة بتحقيق محمد زاهد الكوثري عام ١٩٧٧م، كما طبع بدار الجنان ببيروت باسم : الباز الأشهب، عام ١٤٠٧هـ.

وطبعه حسن السقاف بدار الإمام النووي بالأردن عام ١٤١٣هـ، وقد نقض هذا الكتاب الشيخ سليمان العلوان في كتابه « إتحاف أهل الفضل والإنصاف بنقض كتاب ابن الجوزي دفع شبه التشبيه وتعليقات السقاف » وقد

(١) تاريخ الإسلام، وفيات ٥٩١-٦٠٠ (ص ٣٠٠).

(٢) طبعته جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت سنة ١٤١٢هـ طبعة جديدة ومزودة، وقد استفاد مما استدركه عليه محمد الباقر في مجلة « المورد » العراقية عام ١٩٧١م، وكذلك هلال ناجي في مجلة المكتبة البغدادية عام ١٩٦٨م، وكتاب «قراءة جديدة في مؤلفات ابن الجوزي» تأليف د. ناجية إبراهيم.

صدر منه الجزء الأول.

ولهذا الكتاب نسختان في دار الكتب المصرية بالخزانة التيمورية رقم (٢٢٥) مجاميع، و(٤٠٠ عقائد).

ولهذا الكتاب أسماء أخرى وردت على بعض المخطوطات، وهي :

أ- رسالة في الرد على مخالفي أحمد بن حنبل، مخطوطة بمكتبة مغنيسا بتركيا برقم (٦٥٧٩)^(١).

ب - رسالة في الصفات، مخطوطة بمكتبة الأوقاف ببغداد برقم (٦٥٩٢).

ج - أخبار الصفات، مخطوطة بمكتبة شهيد علي باشا بتركيا، برقم (١٥٦١) ونسخة أخرى بمكتبة وهي أفندي برقم (٦٣٦)^(٢).

د - الباز الأشهب المنقوض على مخالفي المذهب، منه مخطوطة بمكتبة غوطا برقم (٧١٦)، والأصفية ١٢٩٤/٢ برقم (٢٢٥)، وبتنا ٨٢/١ برقم (٨٣٢)، وكوبريلي برقم (٢/١٢٠٢)، ومكتبة أوقاف العراق رقم ١/١٣٧٧٠، ورقم ام ٢٣١٦٥، والقادرية ببغداد ضمن مجموع برقم (٦٧-٥٩)^(٣).

والصحيح أن هذا الاسم إنما هو لكتاب لابن الجوزي في الفقه، فقد قال في مقدمة كتابه « دفع شبه التشبيه » : (ثم رأيتُ جمع أحاديث التعليقة التي يحتج بها

(١) انظر: فهرس مؤلفات ابن الجوزي المخطوطة في مكتبات تركيا، د. نورالدين بوياجيلار في مجلة كلية أصول الدين بالرياض، عدد ٤ عام ١٤٠٢هـ (ص٣٢٦).

(٢) المصدر السابق (ص٣١٧).

(٣) انظر : مؤلفات ابن الجوزي لعبد الحميد العلوجي (ص٩٨)، وقراءة جديدة في

مؤلفات ابن الجوزي د. ناجية إبراهيم (ص٤٠)، ومخطوطات ابن الجوزي في تركيا (ص٣١٩).

أهل المذاهب، وبينتُ تصحيح الصحيح وطعن المطعون فيه، وعملتُ كتاباً في المذاهب أدخلتها فيه سميتها: الباز الأشهب المنقض على مخالفتي المذهب^(١).

٢- منهاج الوصول إلى علم الأصول:

ذكره ابن الجوزي في التلبيس^(٢)، وفي كتابه الرد على المتعصب العنيد^(٣)، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في درء التعارض^(٤).

وله نسختان خطيتان: الأولى في خزانة أحمد النيازي ببغداد، والثانية في الجزائر برقم (٩٤٩، ٩٥٠).

وقد طلبتُ تصويرها من المكتبة الوطنية بالجزائر، فأخبرت بأنها غير موجودة.

٣- المجالس:

وهو في صفات الله تعالى، منه نسخة بليزك بألمانيا برقم (١٦٦)، وأخرى بالخزانة العلمية الصيحية بسلا بالمغرب برقم (٤٩٧)، وبنار الكتب المصرية برقم (١٥٢٣/كلام)، وطبع بمصر عام ١٩٧٠م^(٥).

٤- رسالة في كيد الشيطان لنفسه قبل آدم:

وقد تضمن بيان الفرق وآراءها.

(١) (ص ٩٧).

(٢) انظر القسم المحقق (ص ٥٢٠).

(٣) (ص ١٠).

(٤) (١٦٠/٩). وانظر: (٢٦٣/٧)، (٦٠/٨).

(٥) انظر: مؤلفات ابن الجوزي للعلوجي (ص ١٩٩).

منه نسخة بمكتبة بلدية الإسكندرية برقم (٣٧٦٥ ج) (٣).

٥- الدالية في السنة:

منظومة في العقيدة تقع في (٧١) بيتاً، عدد أوراقها: ٣ ورقات، ضمن مجموع (٦٩-٧١)، منها صورة بالجامعة الإسلامية بالمدينة برقم ٨/١٧٠٢.

٦- بشائر التحقيق في محبة أهل التصديق :

منه نسخة في المكتبة الآصفية بجيدر آباد ١٥٠٨ برقم (٤٣).

٧- القرامطة:

مطبوع بتحقيق د. محمد لطفي الصباغ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.

٨- مناقب الأولياء:

مخطوط، منه نسخة بمكتبة برنستون بأمریکا، مجموعة جاريت برقم (٢٠٧) (١).

٩- الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد:

طبع بتحقيق محمد المحمودي، (دون تاريخ ولا رقم الطبعة).

١٠- التبصرة في أحوال الموتى والآخرة:

طبع بتحقيق مصطفى عبدالواحد بالقاهرة، عام ١٩٧٠م.

١١- تذكرة أولي البصائر في معرفة الكبائر:

منه نسخة في مكتبة برنستون بأمریکا، مجموعة جاريت برقم (١٠٥٧) (٢) .

(٢) المصدر نفسه (ص ١٣٤).

(١) انظر: مؤلفات ابن الجوزي للعلوجي (ص ٢٢٤).

(٢) المصدر نفسه (ص ١٠٩).

١٢- قصيدة في الاعتقاد:

منظومة في عشرة أبيات، منها نسخة في دار الكتب المصرية برقم (٦٢٢/مجاميع)، وفي مكتبة جامعة ليزيك برقم ١٥٠ (٩) (٣).

١٣- بيان غفلة القائل بقدوم أفعال العباد:

ذكره ابن القطيبي في فهرست كتب ابن الجوزي فيما له في أصول الدين، كما في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٤١٧/١).

١٤- منتقد المعتقد:

ذكره سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان (٤٨٦/٨)، وابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٤١٧/١).

١٥- غوامض الإلهيات :

ذكره ابن القطيبي أيضاً في فهرسته، كما في ذيل طبقات الحنابلة (٤١٧/١).

١٦- مسلك العقل:

ذكره ابن القطيبي أيضاً في فهرسته، كما في ذيل طبقات الحنابلة (٤١٧/١).

١٧- منهاج أهل الإصابة في محبة الصحابة والقراءة:

ذكره سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان (٤٨٦/٨)، وابن القطيبي في فهرسته كما في ذيل طبقات الحنابلة (٤١٧/١).

١٨- عجلة المنتظر في شرح حال الخضر :

ذكره سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان (٤٨٦/٨)، وابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٤١٧م١).

١٩- القاطع لمحال اللجاج القاطع بمحال الحلاج:

ذكره ابن الجوزي في كتابه المنتظم (٢٠٤/٣).

٢٠- الرد على القائلين بجواز المتعة :

ذكره سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان (٤٨٦/٨).

٣١- المعاد :

ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام ، وفيات ٥٩١-٦٠٠ ، (ص ٢٩٠).

كتب في العقيدة نُسبت لابن الجوزي وليست له :

١- تجريد التوحيد المفيد:

نُسب خطأ لابن الجوزي في نسخة الكتاب المخطوطة بدار الكتب المصرية، برقم (١١٧٠/كلام)، وفي جميع النسخ الخطية الأخرى نسب للمقريري - وهو الصحيح - ^(١).

٢- الدرّ المنتظم في مولد النبي صلى الله عليه وسلم :

مطبوع في القاهرة عام ١٣٠٠هـ. ويوجد نسخ خطية منه في المكتبة الظاهرية بدمشق، برقم (٩٥٦٣)، و(١٠١١٤)، و(١٠١٠٨). ولاله لي بتركيا برقم (١٧٢٣)، والفاتيكان برقم (٩١٤).

وذكر كارل بروكلمان أنه يُنسب أيضاً لأحمد بن القاسم الجريري. كما شككت د. ناجية إبراهيم في نسبه لابن الجوزي لخلوه من الإسناد ^(٢).

(١) انظر : أبو الفرج ابن الجوزي وآراؤه الكلامية لآمنة نصير (ص ٨٣-٨٤)، وتجريد التوحيد للمقريري، تحقيق علي العمران.

(٢) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الترجمة العربية) (٣٤٣/٩)، وقراءة جديدة في مؤلفات ابن الجوزي د. ناجية إبراهيم (ص ١٣٧).

قلتُ: بعد مطالعتي للكتاب وجدتُ فيه بعض العبارات التي لا يقولها مسلم فضلاً عن عالم من العلماء، ومنها: (ثم إن الله سبحانه وتعالى قسم نور محمد عشرة أقسام، فخلق من القسم الأول العرش، ومن الثاني الكرسي...) (ص ١٦)، ومنها: (لولا محمد ما خلقتُ أحداً من خلقتي) (ص ١٧).

- ثانياً : مؤلفاته في فنون العلم الأخرى:

هذه قائمة بأهم كتب ابن الجوزي المطبوعة في شتى العلوم والفنون، وقد رتبها حسب الحروف الهجائية .

- ١- أحكام النساء.
- ٢- أخبار الطراف والمتماجنين.
- ٣- الأذكياء.
- ٤- أعمار الأعيان.
- ٥- بحر الدموع.
- ٦- البرّ والصلة.
- ٧- بستان الواعظين ورياض السامعين.
- ٨- تاريخ بيت المقدس.
- ٩- تبصرة المبتدئ وتذكرة المنتهي.
- ١٠- التحقيق في أحاديث الخلاف.
- ١١- تذكرة الأريب في تفسير الغريب.
- ١٢- تلبيس إبليس.
- ١٣- تلقيح فهوم أهل الأثر.

- ١٤- تنوير الغبش في فضل السود والحبش.
- ١٥- الثبات عند الممات.
- ١٦- الحث على حفظ العلم.
- ١٧- الحدائق في علم الحديث والزهديات.
- ١٨- درء اللوم والضميم في صوم يوم الغيم.
- ١٩- ذم الهوى.
- ٢٠- روح الأرواح.
- ٢١- زاد المسير في علم التفسير.
- ٢٢- صبا نجد.
- ٢٣- صفة الصفوة.
- ٢٤- صيد الخاطر.
- ٢٥- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية.
- ٢٦- غريب الحديث.
- ٢٧- فنون الأفنان في عيون علوم القرآن.
- ٢٨- القرامطة.
- ٢٩- كتاب الحمقى والمغفلين.
- ٣٠- كتاب الضعفاء والمتروكين.
- ٣١- كتاب القصاص والمذكرين.
- ٣١- كتاب اللطائف.

- ٣٣- كتاب النساء.
- ٣٤- كشف المشكل من حديث الصحيحين.
- ٣٥- لفتة الكبد في نصيحة الولد.
- ٣٦- لقط المنافع في الطب.
- ٣٧- مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن.
- ٣٨- المجالس في الوعظ.
- ٣٩- المجتبي من المجتبي.
- ٤٠- المدهش.
- ٤١- المشيخة.
- ٤٢- المصباح المضئ في خلافة المستضعف.
- ٤٣- المصفى بأكف أهل الرسوخ في علم الناسخ والمنسوخ.
- ٤٤- مناقب الإمام أحمد.
- ٤٥- مناقب بغداد.
- ٤٦- مناقب عمر بن الخطاب.
- ٤٧- مناقب عمر بن عبدالعزيز.
- ٤٨- مناقب معروف الكرخي.
- ٤٩- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.
- ٥٠- الموضوعات من الأحاديث المرفوعات.
- ٥١- نزهة الأديب.

الفصل الثاني

عقيدته

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: منهجه العام في العقيدة

المبحث الثاني: عقيدته في التوحيد.

المبحث الثالث: عقيدته في الإيمان.

المبحث الرابع: موقفه من الفرق.

المبحث الأول

منهجه العام في العقيدة

لما كان موضوع عقيدة الحافظ ابن الجوزي - رحمه الله - من الموضوعات الشائكة نظراً لمكانته العلمية من جهة، ونظراً لما صدر عنه من مخالفة لمنهج السلف في تقرير بعض المسائل العقديّة؛ فإنه يتحتم عليّ الرجوع إلى أقوال الرجل المثبتة في كتبه التي تعتبر هي المصادر الأصلية لهذه الدراسة؛ ليكون الكلام على عقيدته بالعدل والإنصاف.

لذلك أريد أن أحدد مقدماً منهجي في تحرير هذا الموضوع، وهو ما يلي :

- من حيث المادة العلمية :

فقد اجتهدتُ في اقتناء جميع ما طُبِعَ من كتب ابن الجوزي - رحمه الله - ورسائله، في جميع الفنون ، وما استطعتُ الحصول عليه من المخطوطات المتعلقة بالعقيدة، وقراءتها كذلك، حتى استخلصتُ منها كلامه وأقواله في الجانب العقدي، ثم صنفتُ ذلك كله وفق المباحث العقديّة المصطلح عليها.

- من حيث المنهج في تحرير عقيدة ابن الجوزي :

اقتصرتُ في تحرير عقيدة ابن الجوزي على ذكر كلامه في المسألة لأنه هو المقصود، وليس المقصود بسط عقيدة السلف وتحريرها، فإن لذلك مصنفات مستقلة، وليس مقصوداً كذلك ذكر أقوال الفرق المخالفة لعقيدة السلف، وبيان خطئهم والرد عليهم؛ لأن ذلك أيضاً تصانيف عديدة.

اللهم إلا في المواطن التي رأيتُ - وفقاً لعقيدة السلف - أن ابن الجوزي - رحمه الله - قد أخطأ فيها وجانب الصواب؛ فإني - حينئذ - أتعبه وأرد على خطئه من خلال أقوال علماء السلف وأدلتهم.

خلاصة في عقيدة ابن الجوزي عموماً :

بعد اطلاعي على عدد كبير من مؤلفات الشيخ -رحمه الله- المطبوعة والمتيسر من مخطوطاته في العقيدة، فإني خلصتُ إلى نتيجة وقناعة أن الشيخ -رحمه الله- موافق لأهل السنة عموماً، عدا في مسألتين هما : مسألة الصفات الإلهية ، ومسألة التبرك بالقبور؛ فإنه جانب الصواب فيهما، بل هو في المسألة الأولى مضطرب لم يثبت على رأي واحد، فهو تارة يقول بالإثبات، وتارة يقول بالتفويض، وأخرى بالتأويل، وقد بينتُ هذا بصورة تفصيلية في موضعه من هذا الفصل.

انتساب ابن الجوزي :

إن ما وقع فيه ابن الجوزي -رحمه الله- من أخطاء عقدية، هي - في نظري - زلة عالم، لا يتبع عليها، ولا يُقتدى به فيها.

غير أن هذه الأخطاء لم تصدر عنه من واقع انتساب إلى مذهب بدعي أو فرقة ضالة، بل ابتلي بذلك بسبب تقليده لبعض العلماء كابن عقيل وغيره. زيادة على أن الخطأ من سمات البشر، والعصمة للأنبياء؛ لذلك لا ندعي العصمة لابن الجوزي - رحمه الله -، وما وقع منه من خطأ كان سببه الغلو الذي كان من بعضهم في الإثبات، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «وقع الاعتداء في النفي والإثبات في الحنابلة مما دبَّ إليهم من غيرهم الذين اعتدوا حدود الله بزيادة في النفي والإثبات»^(١).

وهذه بعض الملامح العامة لمنهج الإمام ابن الجوزي في التلقي والاستدلال على العقيدة، وبعد ذلك يكون الحكم للأغلب، ويُحمل الخطأ على القصور البشري

(١) مجموع الفتاوى (٤/١٧٠).

وتأثير الشيوخ على التلاميذ سلباً وإيجاباً، والله يعفو عن الجميع بمنه وكرمه.

١. حثُّه على لزوم السنة واجتناب البدعة:

عقد الإمام ابن الجوزي — رحمه الله — عدة أبواب في كتبه، ساق فيها النصوص التي تحث على لزوم السنة واجتناب البدعة^(١).

كما اعتنى ببيان معنى السنة والمقصود بأهلها، وأنهم: «أهل النقل والأثر، المتبعين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم على تلك الطريق التي لم يحدث فيها حادث»^(٢)، وقال عنهم — مادحاً لهم — إن «كلمتهم ظاهرة، ومذهبهم مشهور، والعاقبة لهم»^(٣).

وقد سلك ابن الجوزي — رحمه الله — في هذا المضمار منهجاً متميزاً في ترجمته للأعلام في كتابه «المنتظم»، بحيث يحرص على ذكر مذهب المترجم له ثناءً إن كان ملتزماً بالسنة صحيح العقيدة، وذمماً إن كان بخلاف ذلك^(٤).

كما نافع عن الإمام ابن بطة ودافع عنه بشدة وغيره كبيرة^(٥).

وعلى غرار السنة وأهلها، تطرق ابن الجوزي إلى البدعة وأهلها، وعرفهم بأنهم

(١) انظر: تليس إبليس — القسم المحقق — (ص ١٤٨٢، ١٤٨٣)؛ وصيد الخاطر (ص ١٧٢)؛ والحدائق (١/٥٣٧-٥٤٨).

(٢) القسم المحقق (ص ١٣٥). وانظر: الحدائق (١/٥٣٧-٥٤٨).

(٣) القسم المحقق (ص ١٥٠).

(٤) انظر: المنتظم (١٠/٢٤٦)، (١١/٦٧)، (١١/٢٣٩)، (١٤/١٤)، (١٤/٢٨٤)، (١٤/١٤).

(١٤٨)، (١٦/٩٦)، (١٥/١٨٨)، (١٥/٢٦٨)، (١٥/٣٣٨)، (١٦/١٠٥)، (١٦/١٠٥)، (١٦/٢٢)، (١٦/١٩٤)، (١٧/١٥٣)، (١٧/٢٧٤)، (١٨/٢٢).

(١٨/٢٥)، (١٨/٣١)، (١٨/٤٥)، (١٨/٥٧).

(٥) انظر: المنتظم (١٦/١٣٣)، (١٤/٣٩٠).

«المظهرون شيئاً لم يكن قبل، لا مستند له»^(١)، وشدد على أن «الأغلب في المبتدعات أنها تصادم الشريعة بالمخالفة، إذ يوجب التعاطي عليها زيادة أو نقصان»^(٢).

ومن أقواله — رحمه الله — في التحذير من المبتدعة، قوله: «فإن الله من مخالطة المبتدعة، وعليكم بالكتاب والسنة ترشدوا»^(٣).

٣. ذمُّه للكلام وأهله^(٤)؛

حذر الإمام ابن الجوزي — رحمه الله — من خطر «علم الكلام»، فكتب ووعظ في ذلك لشدة إدراكه لعاقبة الخوض فيه؛ فقد أفضى الكلام بأكثر من حاض فيه (إلى الشكوك، وبيعضهم إلى الإلحاد)^(٥).

كما كان يبين — رحمه الله — أن الالتزام بالكتاب والسنة وترك الكلام هو السبيل القويم، ليس عجزاً عن الكلام وجهلاً بمسالكه، ولكن طلباً للنجاة لأنه داء

(١) القسم المحقق (ص ١٥٠).

(٢) القسم المحقق (ص ١٣٦). وانظر: كشف المشكل (١/٣١٠)؛ والتذكرة في الوعظ (ص ٣٦).

(٣) صيد الخاطر (ص ٦٠٣).

(٤) قد يقول قائل: إن ابن الجوزي — رحمه الله — قد حاض في بعض الكلام. والجواب عن هذا أنه كان يرى استعمال ذلك الأسلوب من العالم العارف بمزالق الكلام يسوغ ويجوز للحاجة، من باب الردّ على أهل الاصطلاح باصطلاحهم، ولم يجعله منهجاً مطّرداً، وطريقة متبعة.

انظر: أبو الفرج ابن الجوزي آراؤه الكلامية والأخلاقية للدكتورة آمنة نصير (ص ٥٦، ٥٥).

(٥) القسم المحقق (٤٨٨).

وليس بدواء. ولذلك قال رداً على من يتعلم على السلف: «لم يسكت القدماء من فقهاء هذه الأمة عن الكلام عجزاً، ولكنهم رأوا أنه لا يشفي غليلاً، ثم يردّ الصحيح غليلاً، فأمسكوا عنه، ونهوا عن الخوض فيه»^(١).

ومن كلامه الجامع قوله: «ليعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكلف الأعراب سوى مجرد الإيمان، ولم تتكلم الصحابة في الجواهر والأعراض. فمن مات على طريقهم مات مؤمناً سليماً من بدعة. ومن تعرّض لساحل البحر، وهو لا يحسن السباحة، فالظاهر غرقه»^(٢).

٣. تعظيمه للنقل:

لا شك أن ارتباط ابن الجوزي — رحمه الله — بعلوم الكتاب والسنة دراسةً وتدریساً، أنشأ في نفسه تعظيماً لنصوصهما، وتقديمهما على أي مصدرٍ آخر للعلوم.

ومن الأمثلة على ذلك، ما علّل به منعه لأن يُقال: (ملك الملوك)، وهو أنه قد صحّ في الحديث ما يدلّ على المنع، ولكن الفقهاء المتأخرين عن النقل بمعزل^(٣).

كما جرت عاداته — رحمه الله — في كتابه «تلبیس إبلیس» أنه يردّ على جميع الانحرافات بما ثبت في الكتاب والسنة^(٤).

وفي أثناء مناقشته للمتكلمين قال: «بالله تأملوا، أليس قد وجب علينا هجر

(١) القسم المحقق (٤٨٨). وانظر: صيد الخاطر (ص ٣٦٣)؛ (ص ٦٠٣).

(٢) صيد الخاطر (ص ٤٥٠). وانظر في المصدر نفسه: (ص ٣٦٣، ٤٥٠، ٦٠٣).

(٣) المنتظم (٢٦٥/١٥).

(٤) انظر على سبيل المثال: القسم المحقق (ص ٤٠٢، ٤٠٨، ٤٢٢، ٤٣٧، ٤٤٧، ٤٧٠،

٤٨٢، ٥٧٧، ٦١٥، ٧٤٤، ٨٢٢، ١٠٧١، ١١٥١، ١١٨١، ١٣٢٨).

الربا بقوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾ [آل عمران: ١٣٠]، وهجر الزنا بقول: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا﴾ [الإسراء: ٣٢]؟ فأبي فائدة لنا في ذكر قراءة ومقروء وتلاوة ومتلو، وقديم ومحدث.

فإن قيل: فلا بدّ من اعتقاده. قلنا: طريق السلف أوضح محجّة؛ لأننا لا نقولسه تقليداً، بل بالدليل، ولكننا لم نستفده عن جوهر وعرض، وجزء لا يتجزأ، بل بأدلة النقل، مع مساعدة العقل، من غير بحث عما لا يُحتاج إليه»^(١).

وكلام المصنف يحتاج إلى تفصيل مفاده: أن هذه الأسماء لها معان وبينها فروق معلومة، وهي معروفة للصحابة وإن لم يتكلموا بها لعدم الحاجة إلى ذلك، ولما حدثت البدع احتاج العلماء إلى ذكر هذه الأسماء وبيان معانيها، وما بينها من فروق ليزول الاشتباه الناشيء عن الاشتراك اللفظي والمعنوي.

٤. الإيمان بكل ما نُخبر به عن الصادق المصدوق:

هذه قاعدة عظيمة، وهي من أصول الإيمان، وشرط الشهادة لمحمد بن عبد الله بالرسالة. ولهذا كان الصّديق أبو بكر رضي الله عنه أفضل الناس بعد الأنبياء لكمال تصديقه بخبر النبي ﷺ.

والشيخ — رحمه الله — ذكر هذه القاعدة في أثناء شرحه لحديث احتجاج آدم وموسى — عليهما السلام — الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحهما^(٢).

فأورد إشكالاً، مفاده: كيف اجتماعا ومتى اجتماعا؟ (أي آدم وموسى).

فأجاب رحمه الله بقوله: «إنه يجب الإيمان بكل ما نُخبر به عن الصادق المصدوق، وإن لم نطلع على كفيته... وليس هذا بأول خبرٍ يجب علينا الإيمان به،

(١) صيد الخاطر (ص ٣٦٣-٣٦٤).

(٢) البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢).

وإن جهلنا معناه^(١)، فإن عذاب القبر ونعيمه، وسؤال منكر ونكير فيه حق، ولا يطلع على حقيقة ذلك، ومتى ضاقت الحيل في كشف المشكلات للإحساس لم يبق إلا فرض التسليم^(٢).

٥. التسليم وترك التأويل:

المقصود بهذه القاعدة هو عدم الخوض في الأخبار المتلقاة عن الله ورسوله بالآراء والأهواء، ولذلك لما تكلم الطحاوي — رحمه الله — عن رؤية الله عز وجل، وأنها حق غير أنها بغير إحاطة ولا كيفية قال: «وتفسيره على ما أراد الله وعلمه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا؛ فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه»^(٣).

والإمام ابن الجوزي — رحمه الله — له عدة إشارات إلى هذا المعنى الجليل، منها قوله: «أبيها السامع لما جاء من أحاديث الصفات والآثار المشكلات، سسّم الأمور إلى باريها، وترك تأويلها إن كنت تاليها وقاريها»^(٤).

ومنها قوله أيضاً: «جادة التسليم سليمة، وادي النقل بلا نقع»^(٥)، انزل عن علو

(١) لو قال الشيخ: (وإن جهلنا كنهه أو كفيته) لكان أولى، كما ذكر هو نفسه في القاعدة.

(٢) كشف مشكل الصحيحين (٣/٣٨٢-٣٨٣).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٠٧).

(٤) بستان الواعظين (ص ١١١).

(٥) نقع الماء: إذا اصفرّ وتغيّر. شبه المصنف النصوص بالوادي الذي ماؤه عذب وصاف لم يتكدر. انظر: القاموس المحيط (نقع).

غلو التشبيه، ولا تعلُّ قُلل^(١) أباطيل التعطيل، فالوادي بين جبلين، المشبه متلوث بفرث التجسيم، والمعطل نجس بدم الجحود، ونصيب الحق لبين خالص هو التنزيه^(٢)»^(٣).

ومن توجيهاته للمتصدين للتعليم والوعظ قوله: «لا ينبغي للواعظ أن يتكلم في الأصول، إلا أن يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، وأخبار الصفات تمسّر كما جاءت»^(٤).

غير أن الشيخ ابن الجوزي — رحمه الله — حرم هذه القاعدة، واستعمل التأويل في توجيه جملة من نصوص الصفات. وهذا المسلك خطأ من الشيخ — رحمه الله — لكني بتأمل كلامه وتبعه في هذا المضمار، وجدته خاضه لعدة أسباب، منها:

الأول: وهذا — في رأبي — أهمها، وهو ظنه أن الإمام أحمد — وقد كان ابن الجوزي من المعظمين له جداً — أول بعض النصوص، وقد ذكر ابن الجوزي هذا في تفسيره نقلاً عن القاضي أبي يعلى عن أحمد أنه قال في قوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله﴾ المراد به قدرته وأمره^(٥).

فابن الجوزي — رحمه الله — لم يمحّص هذه الرواية عن الإمام أحمد، ويسير

(١) قُلل: جمع قلة، وهي أعلى كل شيء، من رأس أو سنام أو جبل. انظر القاموس المحيط (قلل).

(٢) المناسب لما سبق من كلامه أن يقول: الإثبات بلا تشبيه، والتنزيه بلا تعطيل.

(٣) المدهش (ص ١٣٧).

(٤) القصّاص والمذكرين (ص ٣٦٧). وانظر: القسم المحقق (ص ٥٣١)؛ وزاد المسير (١/٥٤)؛ و(٣/٢١٣)؛ والتبصرة (١/٣٢).

(٥) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (١/٢٢٥)، وكشف مشكل الصحيحين (٣/٣٧٩).

طريقها ليتحقق من صحتها أو ضعفها^(١)، بل سلم بها، وجعل منها مسوغاً للتأويل، وأن الحكم يتعدى من هذه الصفة إلى سائر الصفات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد كلامه عن هذه الرواية: (ثم من يذهب منهم إلى التأويل - كابن عقيل وابن الجوزي وغيرهما - يجعلون هذه عمدتهم، حتى يذكرها أبو الفرج بن الجوزي في تفسيره ولا يذكر من كلام أحمد والسلف ما يناقضها)^(٢).

السبب الثاني: متابعتة لشيخه المبجل - وإن لم يلتق به - أبي الوفاء ابن عقيل^(٣)، فقد كان غارقاً - قبل توبته - في أقوال أهل الكلام وآرائهم، مما أنشأ عنده شبهات حاول إزالتها بالمبالغة في تنزيه الباري تعالى، فجرّه ذلك إلى الغلو في النفي والإغراق في التأويل.

السبب الثالث: اعتماده - رحمه الله - على سعة اللغة العربية، فأخذ منها الغثّ والسمين لإثبات العقائد الدينية أو نفيها، بل لقد وقع في تناقضات كثيرة في هذا المجال، بحيث أثبت بحجة اللغة ما نفاه بالحجة نفسها^(٤).

(١) فالرواية لا تثبت عن الإمام أحمد، وقد أوجب عنها بعدة أجوبة، منها: أن الرواية من طريق حنبل، وهي مما تفرّد به وقد خالفت المتواتر والمشهور عن الإمام أحمد. ومنها: أن الإمام أحمد قالها إلزاماً لخصومه المعتزلة. انظر: إبطال التأويلات لأبي يعلى (ص ٦١)؛ ومجموع الفتاوى (٤٠٠/٥)، و(٤٠٥/١٦)؛ والاستقامة لابن تيمية (٧٨-٧٤/١)؛ ومختصر الصواعق لابن القيم (٢٦٠/٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٤٠٠/٥).

(٣) انظر: (ص ٣٩-٤٣) من هذه المقدمة.

(٤) انظر: رسالة أبي إسحاق العثي التي ذكرها ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة (٢١٠/٤) في الإنكار على ابن الجوزي فيما تأوله؛ ومجالس ابن الجوزي (مخطوط)

ولهذا ردّ عليه كثير من العلماء في عصره وبعده :

فقد أرسل إليه أبو إسحاق العليّ رسالة مناصحة قال له فيها : (اعلم أنه قد كثر النكير عليك من العلماء... بمقاتك الفاسدة في الصفات، وقد أبانوا وهاء مقاتك) ثم قال مبينا تناقضه : (ثم لك قصيدة مسموعة عليك في سائر الآفاق، اعتقدها قوم وماتوا بخلاف اعتقادك الآن فيما يبلغ عنك)^(١).

وقال عنه موفق الدين المقدسي : (كان ابن الجوزي إمام أهل عصره في الوعظ.. وكان حافظاً للحديث، وصنف فيه، إلا أننا لم نرض تصانيفه في السنة وطريقته فيها)^(٢).

وقال ابن رجب : (ومنها وهو الذي من أجله نقم جماعة من مشايخ أصحابنا وأئمتهم من المقداسة والعلثيين، من ميله إلى التأويل في بعض كلامه، واشتد نكرهم عليه في ذلك، ولا ريب أن كلامه في ذلك مضطرب مختلف)^(٣).

والخلاصة هي ما فصلّ فيه الحكم بالحق والعدل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - إذ قال: «إن أبا الفرج - يعني ابن الجوزي - نفسه متناقض في هذا الباب، لم يثبت على قدم النفي ولا على قدم الإثبات؛ بل له كلام في الإثبات نظماً

(ق ١/ب)؛ ودفع شبه التشبيه (ص ١١٥) فما ينسبه للمعتزلة في رسالة المجالس ويرد عليه، وهو تفسير صفة اليد بالقدرة والنعمة، يقول به في كتاب دفع الشبه!

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٤/٤٠٦، ٤٠٩).

(٢) المصدر السابق (٣/٤١٥).

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٣/٤١٤). وبين الدكتور أحمد الزهراني في رسالته الماجستير

«ابن الجوزي بين التأويل والتفويض» (ص ١٥٤) أن ابن الجوزي مثبت لصفات

المعاني، ومضطرب في الصفات الخيرية ولم يستقر على رأي.

ونثراً ما أثبت به كثيراً من الصفات التي أنكرها في هذا المصنف^(١). فهو في هذا الباب مثل كثير من الخائضين في هذا الباب من أنواع الناس، يبتون تارة وينفون أخرى في مواضع كثيرة من الصفات، كما هو حال أبي الوفاء ابن عقيل وأبي حامد الغزالي^(٢).

(١) يعني كتاب «دفع شبه التشبيه».

(٢) مجموع الفتاوى (٤/١٦٩).

المبحث الثاني

عقيدته في التوحيد

وفيه مطالب .

المطلب الأول : توحيد الربوبية:

اهتم ابن الجوزي — رحمه الله — بهذا القسم من التوحيد، وساق لإثباته أنواعاً عديدة من الأدلة، إما تقريراً له أو رداً على شبه الملحدين، من دهرية وطبائعيين.

وكان سلاحه في ذلك الجهاد العظيم، آيات القرآن العظيم التي عول عليها متأملاً فمفسراً. كما كان يحث دائماً على استعمال نعمة العقل للتدبير والتفكير والاستدلال على وجود الباري تعالى وأنه تعالى المتفرد بالخلق والتدبير؛ وفي مقابل ذلك ينفي أن يكون الحس أداةً صالحةً للتعرف على وجود الله تعالى، حتى قال في ذلك: «وإنما يخبط الجاحد لأنه طلبه من حيث الحس»^(١).

وقد تضمن تقريره لتوحيد الربوبية، ورده لشبه الدهرية والطبائعيين جملة من الأدلة، أطلق عليها المتكلمون مصطلحات معينة، لكن ابن الجوزي خالفهم في ذلك منهجاً وتطبيقاً.

فمن حيث المنهج، نجد أن الإمام ابن الجوزي — رحمه الله — جعل المجادلة والرد وسيلة لتقرير العقيدة الصحيحة التي تليق بمقام الرب جلّ وعلا، واستعمل لذلك الآيات الباهرة من الكتاب المتلو، ومن الكون المنظور.

أما المتكلمون فقد كان أكثر همهم الجدل والمراء، وإبطال أدلة الخصم وإن كانت صحيحة!

أما من حيث التطبيق، فلم يُطلق عليها تلك الأسماء؛ وقد تضمن منهجه الأدلة التالية^(٢):

(١) القسم المحقق (ص ٣٠٣).

(٢) انظر: أبو الفرج ابن الجوزي: آراؤه الكلامية والأخلاقية (ص ١١٢ وما بعدها).

أولاً: إثباته لحقيقة دور العقل السليم: وهو الاستدلال على وجود الحق تبارك وتعالى، لا أن يكون وسيلة للضلال والانحراف؛ فقال عن فضيلة العقل من جهة الاستنباط: «إنما تتبين فضيلة الشيء بثمرته وفائدته، وقد عرفت ثمرة العقل وفائدته، فإنه هو الذي دلّ على الإله، وأمر بطاعته وامتنال أمره، وثبت معجزات الرسل وأمر بطاعتهم، وتأمّل العواقب فاعتبرها فراقبها وعمل بمقتضى مصالحها، وقاوم الهوى... وحثّ على الفضائل ونهى عن الرذائل»^(١).

وقال عن الدهرية ناعياً: «وهؤلاء لما لم يدركوا الصانع بالحس، ولم يستعملوا في معرفته العقل جحدوه. وهل يشك ذو عقل في وجود صانع؟!»^(٢).

ثانياً: الخلق دليل على الخالق: «أو دليل الخلق والاختراع»:

وقد ملأ تفسيره بالردود على الطبائعيين ومن على شاكلتهم ممن يشكّ في الخالق جلّ وعلاً أو يجحدوه. فعند تفسيره لقول الله تبارك وتعالى: ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض﴾ [يونس: ١٠١] قال: «قل للمشركين الذين يسألونك الآيات على توحيد الله، انظروا بالتفكر والاعتبار ماذا في السماوات والأرض من الآيات والعبير التي تدل على وحدانيته، ونفاذ قدرته، كالشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والشجر، وكل هذا يقتضي خالقاً مدبراً»^(٣).

ومما ذكره في كتابه التلبيس قوله: «فإن الإنسان لو مرّ بقاع ليس فيه بنيان، ثم عاد فرأى حائطاً مبنياً علم أن لا بدّ له من بانٍ بناه. فهذا المهاد الموضوع، وهذا

(١) ذم الهوى (ص ١٧).

(٢) القسم المحقق (ص ٣٠١).

(٣) زاد المسير (٤/٦٨). وانظر كذلك في هذا الموضوع: زاد المسير (١/١٦٨)،

(٤/٦٨)، (٣٣/٨)؛ اللطائف (ص ١٤٢-١٤٣)؛ تبيه النائم الغمر (ص ٨٣)؛

أحكام النساء (ص ١٣٠)؛ المنتظم (١/١١٨-١١٩)، صيد الخاطر (ص ٤٦٧).

السقف المرفوع، وهذه الأبنية العجيبة والقوانين الجارية على وجه الحكمة، أما تدلّ على صانع؟!»^(١).

ثالثاً: تدبير الأمر دليل على ربوبية الخالق: «أو دليل العناية»:

فالباري جلّ وعلا لم يترك خلقه سُدىً، بل ربّاهم ورعاهم من أضعف مخلوق إلى أعظم، إمّا بالتنشئة والخلق، وإمّا بالرزق والهداية.

وللتنبية على هذا الدليل، قال ابن الجوزي: «من تأمل تحديد الأسنان لتقطع، وتعريض الأضراس لتطحن، واللسان يقَلِّب المضموغ، وتسليط الكبد على الطعام ينضجه ثم يُنفذ إلى كل جارحة قدر ما تحتاج إليه من الغذاء... والعقل الذي يرشد إلى المصالح، وكل شيء من هذه الأشياء ينادي: أفي الله شك؟!»^(٢).

وقال — أيضاً —: «لما تلمّحت تدبير الصانع في سَوِّق رزقي بتسخير السحاب وإنزال المطر برفق، والبذر دفين تحت الأرض كالموتى قد عفن ينتظر نفخة من صور الحياة، فإذا أصابته اهتز خضراً، وإذا انقطع عنه الماء مدّيد الطلب يستعطي، وأمال رأسه خاضعاً ولبس حلل التغير، فهو محتاج إلى ما أنا محتاج إليه، من حرارة الشمس، وبرودة الماء، ولطف النسيم»^(٣).

رابعاً: دليل النفس:

وقد استدللّ ابن الجوزي — رحمه الله — بهذا الدليل ليثبت به أمرين:

الأول: وقد مرّ معنا في دليل الخلق، والعناية، وقد ذكر هذا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ [الذاريات: ٢١] فقال: «آياتٌ إذ كنتم نُطفأً، ثم عظاماً،

(١) القسم المحقق (ص ٣٠٢).

(٢) القسم المحقق (ص ٣٠٢).

(٣) صيد الخاطر (ص ١٢٧).

ثم علقاً، ثم مُضغاً...»^(١)... ولا داعي للتفصيل في هذا دفعاً للتكرار.

الثاني: ومضمون هذا الدليل أن النفس مقطوع بوجودها، رغم أن الحس لم يثبت ذلك فضلاً عن أن يحيط بها علماً؛ فإذا صحَّ هذا في النفس وهي مخلوقة أفلا يكون الخالق عزَّ وجلَّ أولى أن لا تدركه الحواس.

وهذا من أعظم الأدلة التي حاجَّ بها ابن الجوزي عقول الملحدين المعاندين.

وهذه بعض أقواله الجامعة في ذلك: «لنا أشياء لا تدرك إلا جملة كالنفس والعقل، ولم يمتنع أحدٌ من إثبات وجودهما»^(٢).

وقال أيضاً: «من أكبر الدليل على وجود الخالق سبحانه، هذه النفس الناطقة المميزة الحركة للبدن على مقتضى إرادتها، فقد دبرت مصالحها، وترقت إلى معرفة الأفلاك، واكتسبت ما أمكن تحصيله من العلوم... فلم يحجبها سترٌ وإن تكاثف، ولا يُعرف مع هذا ماهيتها، ولا كيفيتها، ولا جوهرها، ولا محلها...»

وهذا كله يوجب عليها أن لها مدبراً وخالقاً، وكفى بذلك دليلاً عليه، إذ لو كانت وُجدت بها لما خفيت أحوالها عليها، فسبحانه سبحانه»^(٣).

خامساً: دلائل طول الحوادث:

استدل ابن الجوزي — رحمه الله — للمرة الوحيدة — فيما وقفتُ عليه — بهذا الدليل الكلامي على وجود الخالق تعالى، وقد علَّقتُ على هذا في موطنه، وبيَّنتُ حقيقة هذا الدليل وما يترتب عليه عند أهل الكلام^(٤)، غير أن ابن الجوزي قد

(١) زاد المسير (٣٣/٨).

(٢) القسم المحقق (ص ٣٠٣).

(٣) صيد الخاطر (ص ٣٤٠-٣٤١).

(٤) القسم المحقق (ص ٣٠٥).

نحالف المتكلمين — كما قدّمتُ سابقاً — في الاستدلال به، فلم يتماد في ذكر لوازمه الباطلة، من نفي الصفات عن المولى تعالى ذكره، ومن نفي قدرته تعالى على الفعل... في تفاصيل خطيرة؛ بل اختصره فقال: «ومن الأدلة القطعية على وجوده: أن العالم حادث، بدليل أنه لا يخلو من الحوادث، وكل ما لا ينفك عن الحوادث حادث، ولا بدّ لحدوث هذا الحادث من سبب وهو الخالق سبحانه»^(١).

وهذه طريقة ابن عقيل فيما ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢).

المطلب الثاني: توحيد الألوهية:

لا شك أن اعتناء الإمام ابن الجوزي بعلوم الكتاب والسنة، والتصنيف فيها؛ قد ترك أثراً قوياً لديه من حيث الاعتقاد والتمسك بمقتضى تلك العلوم. فوجدته موافقاً للكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح فيما وقفتُ عليه من موضوعات هذا التوحيد، عدا كلامه في موضوع التبرك كما سيأتي.

وسأورد بعض ما وقفتُ عليه من كلامه وتحريراته في ذلك الخصوص:

أولاً: استحقاق الربّ جلّ وعلا للعبادة وحده، دون سواه؛ لكونه

خالقاً:

فالذي يخلق هو الذي يُعبد، قال ابن الجوزي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾ [الأنبياء: ١٦]: «أي: لم نخلق ذلك عبثاً، إنما خلقناهما دلالة على قدرتنا ووحدانيتنا ليعتبر الناس بخلقهم، فيعلموا أن العبادة لا تصلح إلا لخالقه...»^(٣).

(١) القسم المحقق (ص ٣٠٥).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٩/١٦٠).

(٣) زاد المسير (٥/٣٤٣).

ثانياً: استحقاق الربّ جلّ وعلا للعبادة وحده، دون سواه؛ لكونه

رازقاً:

قال — رحمه الله — في تفسير قول الله جلّ وعلا: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض، قل الله﴾ [سبأ: ٣٤]: «إنما أمر أن يسأل الكفار عن هذا، احتجاجاً عليهم بأن الذي يرزق هو المستحق للعبادة، وهم لا يثبتون رازقاً سواه؛ ولهذا قيل له: ﴿قل الله﴾ لأنهم لا يجيبون بغير هذا»^(١).

ثالثاً: عدم جواز اتخاذ معبود غير الله:

قال في معنى قوله تعالى: ﴿هذا ذكر من معي، وذكر من قبلي﴾ [الأنبياء: ٢٤]: «المعنى: هذا القرآن، وهذه الكتب التي أنزلت قبله، فانظروا هل في واحدٍ منها أن الله أمر باتخاذ إله سواه؟ فبطل بهذا البيان جواز اتخاذ معبود غيره من حيث الأمر به»^(٢).

كما تكلم الإمام ابن الجوزي — رحمه الله — في بعض التفاصيل المتعلقة بتوحيد العبادة، ومن ذلك:

١. النهي عن تعظيم القبور، والصلاة عندها:

ففتنة القبور من أعظم ما كاد به إبليسُ بني آدم، إذ سَوَّلَ لهم الغلوَّ في القبور بدعاء الموتى، والطواف حول قبورهم، فهووا في دركات الشرك؛ ولهذا لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في نزعات الموت — بأبي هو وأمّي — اليهود

(١) زاد المسير (٦/٤٥٤).

(٢) زاد المسير (٥/٣٤٦).

والنصارى^(١)؛ لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، والغاية من ذلك هي: التحذير من صنيعهم.

قال ابن الجوزي — رحمه الله — : «وأما نهيه عن اتخاذ القبور مساجد فلكللاً تُعظَّم، لأن الصلاة عند الشيء تعظيم له، وقد أغرب أهل زماننا بالصلوات عند قبر معروف^(٢) وغيره، وذلك لغلبة الجهل وملكة العادات»^(٣).

وقال — رحمه الله — : (أصل عبادة الأوثان والأصنام من تعظيم قبور الأولياء والصالحين، ولهذا نهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن تعظيم القبور والصلاة عندها والعكوف عليها، فإن ذلك هو الذي أوقع الأمم الماضية في الشرك الأكبر.

ولهذا نجد أيضاً في هذا الزمان أقواماً من الضلال الذين استحوذ عليهم الشيطان يتضرعون عند القبور، وعند سماع ذكر مشايخهم ويخشعون عندها، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في المسجد ولا في السَّحَر، ومنهم من يسجد للقبر، فهذا هو الشرك بالله نعوذ بالله).^(٤)

٣. منع الحلف بغير الله:

علل ابن الجوزي — رحمه الله — النهي عن الحلف بغير الله، لما فيه من تعظيم لذلك الشيء المحلوف به، فقال في معرض تعليقه على قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم»^(٥) : (كان من عادة العرب أن يحلفوا

(١) أخرجه البخاري في الصلاة (١/٥٣٢ برقم ٤٣٥-٤٣٦)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (١/٣٧٧ برقم ٥٣١) من حديث عائشة وابن عباس.

(٢) أي الكرخي.

(٣) كشف المشكل (٥٠/٠٢). انظر المصدر نفسه (٣/٣٣٤).

(٤) تذكرة أولي البصائر في معرفة الكبائر لابن الجوزي (مخطوط) (٤ق).

(٥) البخاري في الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم (١١/٥٣٠ برقم ٦٦٤٧)؛

بآبائهم. والحلف بالشيء تعظيم له، فنهى رسول الله عن تعظيم غير الله بالقسم به^(١).

٣. النهي عن سب الدهر:

بين ابن الجوزي — رحمه الله — أن العرب كانوا إذا أصابتهم مصيبة يسببون الدهر، وينسبون ذلك إليه، ويرونه الفاعل لتلك الأشياء، ولا يرونها من قضاء الله عز وجل.

وقال في معنى حديث: «لاتسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر»^(٢) أي هو الذي يصيبكم بهذه المصائب، فإذا سببتم فاعلها فكأنكم قصدتم الخالق^(٣).

٤. النهي عن قول: مطرنا بنوء كذا:

نقل أقوال العلماء في الأنواء وهي النجوم، وأن العرب كانت تنسب كل غيث يكون بعد طلوع نجم وسقوط آخر إلى ذلك النجم الساقط، فيقولون: مطرنا بنوء كذا. ولا شك أن هذا شرك عظيم برب العالمين.

ثم بين الضابط الصحيح في ذلك فقال: «ومن لم يكن اعتقاده أن الكوكب يفعل لم يضره هذا القول. وقد أجاز العلماء أن يُقال: مطرنا في نوء كذا، ولا يقال: بنوء كذا»^(٤).

ومسلم فيه، باب النهي عن الحلف بغير الله (٣/١٢٦٦ برقم ١٦٤٦).

(١) كشف المشكل (١/٥١).

(٢) رواه مسلم في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر

(٤/١٧٦٢ برقم ٢٢٤٦).

(٣) كشف المشكل (٣/٣٤٦-٣٤٧). وانظر في هذا الموضوع: صيد الخاطر (ص ٥٠٣-

٥٠٤).

(٤) كشف المشكل (٢/٢٦٢).

٥. النهي عن التطير:

عرّف التطير بقوله: (الطيرة: من التطير، وهو التشاؤم بالشيء تراه أو تسمعه وتتوهم وقوع المكروه به)^(١).

وعلل نفي النبي صلى الله عليه وسلم للعدوى بقوله: « لا عدوى » بأنه إنما أراد إضافة الأشياء إلى القدر، لثلا يقف الإنسان مع السبب وينسى المسبب، والله تعالى قد يعمل الأسباب وقد يظلمها؛ فأراد النبي صلى الله عليه وسلم إضافة الواقعات من الضرر والنعف إلى الله عزّ وجلّ^(٢).

أخطاء الشيخ في هذا النوع من التوحيد :

مرّ فيما سبق نهي ابن الجوزي - رحمه الله - عن تعظيم القبور والصلاة عندها، وتحذيره من ذلك، إلا أنه أخطأ في بعض كتبه عندما ذكر شيئاً من التبرك غير المشروع، كالتبرك بقبور الصالحين ، من ذلك :

١- ما نقله عن جعفر الخلدي^(٣) دون أن يعلّق على ذلك النقل ويبيّن بطلانه؛ أنه قال: (كان بي جرب عظيم فتمسحت بتراب قبر الحسين، فغفوت فانتبهت وليس عليّ منه شيء. وزرت قبر الحسين فغفوت عند القبر غفوة، فرأيت كأن القبر قد شقّ وخرج منه إنسان، فقلت: إلى أين يا ابن رسول الله؟ فقال: من يد هؤلاء)^(٤).

ومثل هذا الفعل إن كان عن اعتقاد البركة في تراب القبر، فهو حرام ووسيلة

(١) كشف المشكل (٤٧٢/٢). وانظر: (٤٨٢/١).

(٢) انظر: المصدر السابق (٤٧١-٤٧٢)؛ (٢٦٨/٢)؛ (٣٧٦-٣٧٧).

(٣) ستأتي ترجمته عند الأثر برقم [٢٢].

(٤) المنتظم: (٣٤٦-٣٤٧).

إلى الشرك الأكبر؛ وإن كان عن اعتقاد أن الميت هو الذي يشفي، فذلك شرك في الربوبية، ودعاؤه والاستغاثة به شرك في العبادة.

٢— قال في ترجمة أحمد القزويني: كان من الأولياء المحدثين... وقبره ظاهر يترك به في الطريق إلى معروف الكرخي^(١) (٢).

٣— ما أورده من قصص ومنامات في فضل قبور بعض الصالحين^(٣).

وما أورده ابن الجوزي - رحمه الله - في التبرك بقبور الصالحين، كله داخل في التبرك الممنوع الذي لا يجوز، لعدم وجود ما يدل على مشروعيتها من الكتاب والسنة، ولا فعله أو أرشده إلى فعله أحد من الصحابة وتابعيهم بإحسان. أو أئمة الدين المتبوعين.

بل الوارد هو النهي الشديد عن ذلك، ومن ذلك قول النبي : «... إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»^(٤).

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : (لو كان الدعاء عند القبور، والصلاة عندها، والتبرك بها فضيلة أو سنة أو مباحاً، لفعل ذلك المهاجرون والأنصار، وسنوا ذلك لمن بعدهم، ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلف التي خلفت بعدهم، وكذلك التابعون لهم بإحسان راحوا على هذا السبيل؛ وقد كان

(١) ستأتي ترجمته عند الأثر رقم [١٣٤].

(٢) المنتظم (١٥٦/١٧).

(٣) انظر: مناقب بغداد لابن الجوزي (ص ٢٩)؛ مناقب الإمام أحمد (ص ١٩٤)؛ بحر الدموع (ص ٣٩)، المنتظم (٣٤٦/٥)، (٢١١/١١).

(٤) أخرجه مسلم في المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد (٣٧٧/١ برقم ٥٣٢).

عندهم من قبور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمصار عدد كثير، وهم متوافرون، فما منهم من استغاث عند قبر صاحب، ولا دعاه، ولا دعا به، ولا دعا عنده، ولا استشفى به، ولا استسقى به، ولا استنصر به. ومن المعلوم أن هذا مما تتوفر الهمم على نقله بل على نقل ما دونه^(١).

المطلب الثالث : عقيدته في صفات الله تعالى :

تردد موقف الإمام ابن الجوزي — رحمه الله — في مسألة صفات الربّ تعالى، بين النفي والإثبات. فتارة يثبت الصفات على طريقة السلف، وتارة أخرى ينجح إلى التفويض، وتارة يميل إلى التأويل كما هو بارز في كتابه " دفع شبه التشبيه " الذي أوّل فيه كثيراً من نصوص الكتاب والسنة الواردة في صفات الله عزّ وجلّ. وكان اضطرابه واختلاف أقواله في هذا الموضوع ناتجاً عن بعض القواعد المجانبة للصواب، والتي بنى عليها اعتقاده في الصفات الإلهية.

ومن هذه القواعد ما يلي^(٢) :

١ — تسميته لأخبار الصفات إضافات، وقرّر أن (ليس كل مضاف صفة)^(٣) ، ثم حكم بأنه (قد ابتدع من سمى المضاف صفة)^(٤) .

ولا شك في كون ابن الجوزي متأثر في هذا المصطلح بشيخه ابن عقيل؛ إذ هو

(١) إغاثة اللفهان (٣١٩/١). وانظر : اقتضاء الصراط المستقيم (٦٨١/٢).

(٢) انظر: دفع شبه التشبيه (ص ١٠٤-١٠٧).

(٣) المصدر نفسه (ص ١٠٤).

(٤) المصدر نفسه (ص ١٠٤).

الذي أثار عنه استعمال هذا المصطلح أتباعاً منه للمعتزلة؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولابن عقيل أنواع من الكلام، فإنه كان من أذكى العالم، كثير الفكر والنظر في كلام الناس؛ فتارة يسلك مسلك نفاة الصفات الخيرية، وينكر على من يسميها صفات، ويقول: إنما هي إضافات موافقة للمعتزلة، كما فعله في كتابه «ذم التشبيه وإثبات التنزيه» وغيره من كتبه، واتبعه على ذلك أبو الفرج بن الجوزي في كتابه «كف التشبيه بكف التنزيه»، وفي كتابه «منهاج الوصول»^(١).

٢- أن آيات الصفات من المتشابه، فلا ظاهر لها يجب أن تحمل عليه، وقد استقر في ذهنه أن الظاهر هو المألوف عند الخلق فقال: (فهل ظاهر الاستواء إلا القعود، وظاهر النزول إلا الانتقال)^(٢).

وهذا الرأي باطل، إذ مؤداه إلى القول بعدم الاستفادة من الكتاب والسنة شيئاً من العلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (من قال عن جبريل ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما، وعن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين والجماعة: إنهم كانوا لا يعرفون شيئاً من معاني هذه الآيات، بل استأثر الله بعلم معناها، كما استأثر بعلم وقت الساعة، وإنما كانوا يقرأون ألفاظاً لا يفهمون لها معنى، كما يقرأ الإنسان كلاماً لا يفهم منه شيئاً، فقد كذب على القوم، والنقول المتواترة عنهم تدلّ على نقيض هذا، وأنهم كانوا يفهمون هذا كما يفهمون غيره من القرآن)^(٣).

(١) درء تعارض العقل والنقل (٦٠/٨).

(٢) دفع شبه التشبيه (ص ١٠٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٤٢٥/١٧).

وقال الشيخ الشنقيطي - صاحب أضواء البيان - : (آيات الصفات لا يطلق عليها اسم المتشابه... لأن معناها معلوم في اللغة العربية، وليس متشابهاً، ولكن كيفية اتصافه جلّ وعلا بها ليست معلومة للخلق، وإذا فسرنا المتشابه بأنه هو ما استأثر الله بعلمه دون خلقه، كانت كيفية الاتصاف داخلة فيه، لا نفس الصفة) (١)

٣- استعمال التأويل، ظناً منه أنه أثر عن الإمام أحمد، وقد سبقت لي الإشارة إلى ذلك عند حديثي عن منهجه العام في العقيدة (٢).

٤- شبهة أن إثبات الصفات يؤدي إلى التحسيم، وقد تأثر في هذا الجانب بما حدث من بعض مثبتة الصفات من غلو.

وهذه أيضاً شبهة باطلة ناتجة عن عدم تنزيه الله تعالى واعتقاد صفاته تجسيماً وتشبيهاً بصفات المخلوقين.

لأن الله تعالى يوصف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم وصفاً حقيقياً تفصيلاً، يليق بجلاله وعظمته، مع الاعتقاد الحازم بأن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. وهذا الاعتقاد لا يجاوز ما جاء في القرآن والسنة (٣).

هذه أهم القواعد التي - في رأبي - بنى عليها الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - أقواله وآراءه في باب « صفات الله تعالى ».

لكنه - كما أسلفت - لم يثبت على رأي واحد، فقد كان أحياناً يخفف من

(١) مذكرة في أصول الفقه (ص ٦٥).

(٢) انظر: (ص ٨١ وما بعدها) من هذه المقدمة.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٦/٥)، ومنهج القرطبي في أصول الدين (وهي رسالتي

للماجستير مطبوعة على الآلة) (١/١٢٧-٢٣٢).

التأويل إلى القول بالتفويض^(١)، اعتقاداً منه أن ذلك الموقف هو الذي يقتضيه النص؛ أو هروباً من التعطيل الذي كان لا يرتضيه، ويهاجم أصحاب ذلك المذهب الرديّ وعلى رأسهم الجهمية.

والخلاصة أن ابن الجوزي — رحمه الله — لم يتمحّص ولم يثبت على قول واحد، كما أن له كلاماً في تقرير عقيدة التوحيد في الأسماء والصفات موافقاً لما أثار عن السلف، وهذا لا يمكن أن نتجاهله، أو نظّرحه بسبب ما ورد عنه من الأقوال المخالفة لذلك.

وأشدّد على أن سلوك الإمام ابن الجوزي — رحمه الله — هذا الاتجاه — أي مسلك التأويل — ليس من مبدأ انتساب إلى فرقة مبتدعة، ولا استناداً إلى حججهم العقلية والكلامية المستمدة من غير مناهج المسلمين؛ بل إنه أتى من عدم كونه — في هذا الباب — على درجة كبيرة من التحقيق والنظر في كلام الطوائف المناوئة للسنة في باب «توحيد الأسماء والصفات» على وجه الخصوص.

ولهذا نجد له كلاماً في إثبات بعض الصفات يكون غاية في الصحة والصواب، بل قد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله — أن لابن الجوزي (من الكلام في الإثبات نظماً ونثراً ما أثبت به كثيراً من الصفات)^(٢).

ولأهمية هذه المسألة، ودحضاً لشبهات من يصف الشيخ — رحمه الله — بالتجهم، أو بمعاداة مذهب السلف والأئمة الأعلام، أرى لزاماً عليّ أن أذكر جُملاً من كلام الشيخ — رحمه الله — في الإثبات والتنزيه وافق فيها منهج السلف.

(١) انظر القسم المحقق (ص ٥٢٥-٥٢٦)

(٢) مجموع الفتاوى (٤/١٦٩).

أولاً: بعض عباراته الجامعة:

— في تفسيره لمعنى «العرش» وعرضه لمختلف الآراء في معناه قال: (وإجماع السلف منعقد على ألا يزيدوا على قراءة الآية، وقد شدّ قوم فقالوا: العرش بمعنى الملك، وهو عدول عن الحقيقة إلى التجوُّز مع مخالفة الأثر، ألم يسمعوا قوله: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ أفترأه كان الملك على الماء؟! (١).

(إذا أثبتنا ذاتاً قديمة خارجة عما يُعرف، فليُعلم أن الصفات تابعة لتلك الذات، فلا يجوز لنا أن نقيس شيئاً منها على ما نفعله ونفهمه، بل نؤمن به ونسلّمه) (٢).

وكلام الشيخ — رحمه الله — هنا منسجم تماماً مع قاعدة: (القول في الصفات كالقول في الذات) (٣).

— وقال عند حديثه عن صفة «الإصبع» لله تعالى: (ومذهب علماء السلف السكوت عن مثل هذا الحديث، وأن يُمرَّ على ما جاء من غير تشبيه ولا تأويل) (٤).

— وقال: (وأخبار الصفات تُمرَّ كما جاءت) (٥).

— وقال: (فإن قيل: عبت طريق المقلدين في الأصول وطريقة المتكلمين، فما الطريق السليم من تلبس إبليس؟

فالجواب: أنه ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتابعوهم

(١) زاد المسير (٣/٢١٣).

(٢) صيد الخاطر (ص ٤٢٤).

(٣) التدمرية لابن تيمية (ص ٤٣).

(٤) كشف المشكل (١/٢٧٠).

(٥) كتاب القصاص (ص ٣٦٧).

ياحسان، من إثبات الخالق سبحانه وإثبات صفاته على ما وردت به الآيات والأخبار، من غير تنقيح ولا بحث عما ليس في قوى البشر إدراكه^(١).

— وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]:
(تأكيد «كَلَّمَ» بالمصدر يدلّ على أنه سمع كلام الله حقيقة. ثم ذكر من طريق ثعلب^(٢) قوله: (لولا أن تعالى أكد الفعل بالمصدر، لجاز أن يكون كما يقول أحدنا للآخر: قد كلمتُ لك فلاناً، بمعنى: كتبت إليه رقعة، أو بعثت إليه رسولا، فلما قال: «تكلّماً» لم يكن إلا كلاماً مسموعاً من الله^(٣)).

— ومما نظمه في صفات الله تعالى على طريقة السلف، قصيدته الدالية في السنة. ومما جاء فيها:

قوله:

صفاته كذاته قديمةٌ سبحانه من ملك جواد

وقوله:

وهو على العرش كذا أخير نا وكرر القول على العباد

نزوله إلى السماء ثابت في الليل فاهجر لذة الرقاد

وقوله:

كلامه صوت وحرّف وبه نادى الكلّيم جلّ من منادي

(١) القسم المحقق (ص ٥٣١).

(٢) هو أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني، مولا هم. أبو العباس البغدادي، العلامة المحدث، إمام النحو، صاحب «الفصيح والتصانيف». قال الخطيب: ثقة حجة، دين صالح، مشهور بالحفظ. مات سنة ٢٩١هـ. انظر: (تاريخ بغداد ٢٠٤/٥، السير ٥/١٤).

(٣) زاد المسير (٢/٢٥٦).

وقوله:

واتبع مقال السلف الذين ما زادوا ولا قالوا برأي بادي^(١)

وقال عن صفة «الحياء»: (صفات الحق عز وجل لا يُطَّلَع لها على ماهية، وإنما تَمَرُّ كما جاءت)^(٢).

ثانياً: بعض تحريراته ومناقشاته:

١- ناقش ابن الجوزي - رحمه الله - وردَّ على من فسَّر الاستواء بأنه الاستيلاء، فقال: (وبعضهم يقول: استوى بمعنى استولى؛ ويحتج بقول الشاعر:
حتى استوى بشرٌ على العراق من غير سيفٍ ودمٍ مهراق^(٣))
وبقول الشاعر:

هما استويا بفضلهما جميعاً على عرش الملوك بغير زور

وهذا منكر عند اللغويين، قال ابن الأعرابي^(٤): العرب لا تعرف استوى بمعنى

(١) الدالية في السنة لابن الجوزي (مخطوط) (ق ١/أ، ب، ق ٢/أ).

(٢) زاد المسير (٥٤/١).

(٣) انظر لسان العرب (سوى) (٤١٤/١٤) والصحاح للجوهري (٢٣٨٥/٦).

وهذا البيت لم ينسب لقائل معين، بل قال فيه شيخ الإسلام: (لم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه، وقالوا: إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة). مجموع الفتاوى (١٤٦/٥). وانظر: مختصر الصواعق المرسله (ص ٣٨٨).

(٤) هو محمد بن زياد بن الأعرابي، أبو عبدالله الهاشمي مولاهم، إمام اللغة، النسابة. قال ثعلب: انتهى إليه علم اللغة والحفظ. وقال الأزهري: صالح، زاهد، ورع صدوق. مات بسامراء سنة ٢٣١هـ. ينظر: (معجم الأديباء ١٨/١٨٩، السير ١٠/٦٨٧، الزهر للسيوطي ٤١١/٢).

استولى، ومن قال ذلك فقد أعظم. قالوا: وإنما يقال: استولى فلان على كذا، إذا كان بعيداً منه غير متمكّن منه ثم تمكّن منه؛ والله عزّ وجلّ لم يزل مُستولياً على الأشياء؛ والبيتان لا يُعرف قائلهما، كذا قال ابن فارس اللغوي. ولو صحّا، فلا حجة فيهما لما بيّنا من استيلاء من لم يكن مستولياً. نعوذ بالله من تعطيل الملحّدة وتشبيه الجسمة). اهـ^(١).

٢- كما أجاد - عليه رحمة الله - في تحرير مسألة رؤية الله عزّ وجلّ يوم القيامة بالأبصار، ومما قاله بهذا الخصوص:

(رؤية الله عزّ وجلّ حق لا شكّ فيه. والأحاديث فيها صحاح)^(٢).

وفي تفسير قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿لن تراني﴾ [الأعراف: ١٤٣] قال: (تعلّق بها نفاة الرؤية وقالوا: لن) لنفي الأبد، وذلك غلط، لأنها قد وردت وليس المراد بها الأبد في قوله: ﴿ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم﴾ [البقرة: ٩٥] ثم أخبر عنهم بتمنيه في النار بقوله: ﴿يا مالك ليقض علينا ربك﴾ [الزخرف: ٧٧]...

وفي هذه الآية دلالة على جواز الرؤية، لأن موسى مع علمه بالله تعالى سأها، ولو كانت مما يستحيل لما جاز لموسى أن يسأها، ولا يجوز أن يجهل موسى مثل ذلك؛ لأن معرفة الأنبياء بالله ليس فيها نقص، ولأن الله تعالى لم ينكر عليه المسألة، وإنما منعه من الرؤية. ولو استحالت عليه لقال: (لا أرى)، ألا ترى أن نوحاً لما قال: ﴿إن ابني من أهلي﴾ [هود: ٤٥] أنكر عليه بقوله: ﴿إنه ليس من أهلك﴾ [هود: ٤٦].

ومما يدلّ على جواز الرؤية أنّه علّقها باستقرار الجبل، وذلك جائز غير

(١) زاد المسير (٣/٢١٣). وانظر مختصر الصواعق (ص ٣٨٨).

(٢) المصدر السابق (٨/٤٢٢-٤٢٣). وانظر: (٣/٩٨-٩٩) من المصدر نفسه.

مستحيل، فدلّ على أنها جائزة، ألا ترى أن دخول الكفار الجنة لما استحال علّقه
بمستحيل، فقال: ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] اهـ^(١).

٣- وفي مناقشته للمعتزلة في تفسيرهم لصفة «اليد» في قوله تعالى: « ما
منعك أن تسجد لما خلقت بيدي » [ص : ٧٥] بأنها القدرة، قال: (وقول المعتزلة:
إن المراد باليد القدرة، باطل لأنه يؤدي إلى أن تكون للحق سبحانه قدرتان، فإنه
قال بيديه. وأجمع المسلمون قاطبة أنه لا يجوز أن تكون لله قدرتان...
وكذلك لا يجوز أن يقال: إن الحق تعالى خلقه بنعمتين، لأن النعمة
مخلوقة...)^(٢).

ولعلّ في هذا القدر كفاية للدلالة على المقصود من هذا المبحث.

(١) زاد المسير (٣/٢٥٦).

(٢) مجالس ابن الجوزي (مخطوط) (ق ١/ب).

المبحث الثالث

عقيدته في الإيمان

وفيه مطالب .

للإمام ابن الجوزي — رحمه الله — إشارات إلى مسائل تتعلق بمباحث الإيمان، سأذكر ما وقفتُ عليه من ذلك:

المطلب الأول : مسائل في الإيمان:

١. تعريف الإيمان لغة واصطلاحاً، ودخول الأعمال في مسمى الإيمان:

قال في معنى قوله تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ [البقرة: ٣]: (الإيمان في اللغة: التصديق. والشرع أقره على ذلك، وزاد فيه القول والعمل)^(١).

وبعد نقله لقول ابن قتيبة وابن خزيمة في معنى «الإيمان» في قوله تعالى، ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ [الشورى: ٥٢] وأن المراد به: (شرائع الإيمان ومعلمه، وهي كلها إيمان؛ وقد سمي الصلاة إيماناً بقوله: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ [البقرة: ١٤٣])^(٢) قال: (والقول ما اختاره ابن قتيبة وابن خزيمة)^(٣).

٢. زيادة الإيمان ونقصانه :

قال في قوله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً﴾ [التوبة: ١٢٥]: (لأنهم إذا صدقوا بها وعملوا بما فيها، زادتهم إيماناً)^(٤).

٣. من أهل الكبائر من يدخل النار لكن لا يدخل فيها:

فقد عاب على المرجئة قولهم بأن من أقرّ بالشهادتين وأتى بجميع المعاصي لم يدخل النار أصلاً، وعقّب على قولهم بقوله: (وخالفوا الأحاديث الصحاح في إخراج الموحّدين من النار)^(٤).

(١) زاد المسير (٢٤/١).

(٢) المصدر السابق (٢٩٨/٧). وانظر: (١٥٥/١-١٥٦) من المصدر نفسه.

(٣) زاد المسير (٥١٨/٣-٥١٩).

(٤) القسم المحقق (ص ٤٩٤). وانظر: كشف المشكل (٤٥٣/٣).

وفي هذا ردّ على المرجئة والوعيدية من الخوارج والمعتزلة.

المطلب الثاني : مسائل في الإيمان بالرسول:

١. دلائل النبوة:

قال ابن الجوزي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ [يوسف: ١١٢]: (أي في خبر يوسف وإخوته... ﴿عبرة﴾ أي عظة، ﴿لأولي الألباب﴾ أي: لذوي العقول السليمة، وذلك من وجهين:

أحدهما: ما جرى ليوسف من إغرازه وتمليكه بعد استعباده، فإن من فعل ذلك به قادرٌ على إغراز محمد ﷺ وتعلية كلمته.

والثاني: أنّ من تفكّر، علم أن محمداً صلى الله عليه وسلم مع كونه أمياً، لم يأت بهذه القصة على موافقة ما في التوراة من قبل نفسه، فاستدلّ بذلك على صحة نبوته^(١).

وقال أيضاً: (لما خصّهم — أي الإنس والجنّ — بقوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن﴾ [الإسراء: ٨٨] فلم يكن في وسعهم، عجزهم، فكأنه يقول: قد أوضحت لكم بما سبق من الآيات ما يدلّ على نبوتي، ومن ذلك: التحديّ بمثل هذا القرآن...^(٢).

وتكلّم ابن الجوزي عن بعض أوجه الإعجاز في القرآن العظيم، وأنّه من أعظم الأدلة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، وصحة نبوته، فقال: (ما تضمن من

(١) زاد المسير (٤/٢٩٧).

(٢) زاد المسير (٥/٨٨).

أخبار الأمم السالفة وسير الأنبياء التي عرفها أهل الكتاب، مع كون الآتي بها أمياً لا يكتب ولا يقرأ، ولا علم بمجالسة الأحبار ولا الكهّان، ومن كان من العرب يكتب ويقرأ ويجالس علماء الأحبار لم يدرك ما أخبر به القرآن... إخباره عن الغيوب المستقبلية الدالة على صدقه قطعاً لوقوعها على ما أخبر... أنه محفوظ من الاختلاف والتناقض^(١).

٣. التفضيل بين الأنبياء:

قد فضل الله تعالى بعض الأنبياء والرسل على بعض، قال تعالى: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال: ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ [الإسراء: ٥٥].

ولهذا التفاضل أوجه، قال ابن الجوزي: (و كذلك فضل بعض النبيين على بعض، وذلك عن حكمة منه وعلم؛ فخلق آدم بيده، ورفع إدريس، وجعل الذرية لنوح، واتخذ إبراهيم خليلاً، وموسى كليماً، وجعل عيسى روحاً، وأعطى سليمان ملكاً جسيماً، ورفع محمداً صلى الله عليه وسلم فوق السماوات، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)^(٢).

وبين في توجيه النهي الوارد في تفضيل بعض الأنبياء على بعض، كما جاء في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا يقولن أحدكم إني خير من يونس بن متى»^(٣)؛ أنه خوف الانتقاص من قدر المفضل. ثم قال: (والمعنى: قولوا ما قيل

(١) الوفا بأحوال المصطفى (١/٢٦٩-٢٧٠). وانظر: كلاماً رائعاً للمصنف في صيد الخاطر (ص ٥١٧-٥١٨).

(٢) زاد المسير (٥/٤٨)، وانظر: مباحث المفاضلة في العقيدة د. الشظيفي (ص ١٢٠-١٣١).

(٣) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وإن يونس لمن

لكم ولا تخيروا برأيكم، وليس المراد أن لا تعتقدوا تفضيل قوم على قوم، فقد قال الله تعالى: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾ [البقرة: ٢٥٣] (١).

٣. موت الخضر:

يرى ابن الجوزي — رحمه الله — أن الخضر (٢) العبد الصالح ميت، وأنه (قد زعم قوم أن الخضر حيٌّ إلى الآن، واحتجوا بأحاديث لا تثبت، وحكايات عن أقوام — سليمي الصدور — ويقول أحدهم: لقيت الخضر) (٣).

ثم سرد جملة من تلك الأحاديث وقال: (وكل هذه الأحاديث لا تثبت) (٤)، وعن تلك الحكايات قال معلقاً: (وربما ظهر الشيطان لشخص فكلمه، وربما قال بعض المتهمين لبعض: أنا الخضر. وأعجب الأشياء أن يصدّق القائل أنا الخضر، وليس لنا فيه علامة نعرفه بها) (٤).

ومما نقله من كلام الحسين بن المنادي (٥) في مسألة حياة الخضر، قوله: (أين

المرسلين) (٦/٤٥٠ برقم ٣٤١٢).

(١) كشف المشكل (٣/٤٦٦-٤٦٧).

(٢) انظر ترجمته في: تاريخ الطبري (١/٣٦٥-٣٧٦)، التعريف والإعلام فيما أبهم في

القرآن للسهيبي (ص ١٨٨-١٩١)، المنتظم (١/٣٦٥-٣٦٥).

(٣) المنتظم (١/٣٦١).

(٤) المنتظم (١/٣٦٣).

(٥) هو أحمد بن جعفر بن محمد، أبو الحسين بن المنادي، الإمام المقرئ الحافظ البغدادي،

صاحب التوالمف. قال أبو عمرو الداني: مقرئ جليل غاية في الإتقان، فصيح

اللسان، عالم بالآثار، نهاية في علم العربية، صاحب سنة، ثقة مأمون. مات سنة

٣٣٦هـ. ينظر: (تاريخ بغداد/٤٩/٦٩، طبقات الخنابلة ٣/٢، السير ١٥/٣٦١).

كان الخضر عند تبشير أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بالخلافة. وهذه الأخبار واهية الصدور والأعجاز لا تخلوا في حالها من أحد أمرين:

— أن تكون أُدخلت من حديث بعض الرواة المتأخرين استغفالاً.

— وإما أن يكون القوم عرفوا حالها فرووها على وجه التعجب، فنسبت إليهم على وجه التحقيق.

وقال: والتخليد لا يكون لبشر لقول الله عزَّ وجلَّ لنبيِّه صلى الله عليه وسلم: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلدَ أفإن منته فهمُ الخالدون﴾ [الأنبياء: ٣٤].

ونقل قول إبراهيم الحربي^(١) وقد سئل عن تعمير الخضر، فأنكر ذلك، وقال: هو متقادم الموت.

قال: وروجع غيره في تعميره، وأن طائفة من أهل زماننا يرونه ويروون عنه، فقال: من أحال على غائب حيٍّ أو مفقود ميت لم ينتصف منه، وما ألقى ذكر هذا بين الناس إلا الشيطان...^(٢).

ولابن الجوزي — رحمه الله — كتاب حول الخضر، سماه: «عجالة المنتظم بشرح حال الخضر»، قال عنه: (ذكرتُ فيه هذه الأحاديث والحكايات ونظائرها وبيّنتُ خطأها)^(٣).

(١) ستأتي ترجمته عند الأثر رقم [١٣٦].

(٢) المنتظم (١/٣٦٣-٣٦٤).

(٣) المنتظم (١/٣٦٣).

المطلب الثالث : مسائل في الإيمان باليوم الآخر:

١. عذاب القبر: دليله وحكم الإيمان به:

عند تعليق ابن الجوزي — رحمه الله — على حديث أبي أيوب الأنصاري أنه: «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما غربت الشمس، فسمع صوتاً فقال: ﴿يهود تعذب في قبورها﴾^(١)؛ قال: (قد دلّ هذا الحديث على عذاب القبر. واعلم أن الإيمان بعذاب القبر واجب للأحاديث الواردة فيه)^(٢).

وقال أيضاً: (قد أشكل على الناس أمر النفس وماهيتها، مع إجماعهم على وجودها... ثم أشكل عليهم مصيرها بعد الموت، ومذهب أهل الحق أن لها وجوداً بعد موتها، وأنها تنعم وتعذب)^(٣).

٣. أشرط الساعة:

خروج الدابة: قال عنها: (هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم﴾ [النمل: ٨٢]، وهي دابة تخرج في آخر الزمان، تكلم الإنس، وتنتك في وجه الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه،

(١) رواه البخاري في الجنائز، باب التعسود من عذاب القبر (٣/٢٤١ برقم ١٣٧٥) ومسلم في باب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار، وإثبات عذاب القبر، والتعسود منه (٤/٢١٩٩ برقم ٢٨٦٩).

(٢) كشف المشكل (٢/٨٤).

(٣) صيد الخاطر (ص ٧٤). وانظر من المصدر نفسه (ص ٧٥).

وتنكت في وجه المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه، فيعرف المؤمن من الكافر^(١)... وإنما تخرج هذه الدابة لعقوبة الكفار وفضيحتهم؛ فإنهم رأوا من الآيات ما يشفي ويكفي فلم ينتفعوا بما رأوا، فخرجوا بالإعراض عن فهم الدليل عن حيز الآدمية إلى حيز الحيوان البهيم، فأخرجت لعقوبتهم دابة^(٢).

طلوع الشمس من مغربها: وقال عن هذه الآية العظيمة: (طلوع الشمس من مغربها آية تعم الكل، وتدلل على الصانع المقلب للأشياء، وقد سبق الوعد بذلك في القرآن، فإذا اضطرتهم ذلك إلى التصديق لم يقبل إيماناً من يؤمن حينئذ. ولقد زعم الملحدون وأهل النجوم أن ذلك لا يكون، فبين كذبهم، ويظهر القدرة على ما طلبه الخليل من نمرود بقوله: ﴿فأت بها من المغرب﴾ [البقرة: ٢٥٨])^(٣).

المطلب الرابع: مسائل في الإيمان بالقدر:

١. الإيمان بالقدر:

بوّب ابن الجوزي في كتابه الحقائق في علم الحديث والزهديات^(٤) باباً ترجمه بقوله: باب الإيمان بالقدر، وسرد تحته الأحاديث الدالة على ذلك.

٢. الفرق بين الإرادة والمحبة:

قال في التفسير: (الإرادة معنى غير المحبة، فإن الإنسان قد يتناول المر ويريد

(١) ذكر المصنف هذا بناءً على ما رواه الطبري في تفسيره من حديث ابن عمر موقوفاً (١٥/٢٠).

(٢) كشف المشكل (٤٧٦/٣). وقد فصل القول فيها في تفسيره (١٩٠/٦-١٩٣).

(٣) كشف المشكل (٤٧٦/٣).

(٤) (٥٤٩/٣).

بط الجرح ولا يجب شيئاً من ذلك.

وإذا بان في المعقول الفرق بين الإرادة والمحبة، بطل ادعاؤهم التساوي بينهما، وهذا جواب معتمد^(١).

٣. خلق أفعال العباد:

قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قال أتعبدون ما نتحتون. والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصفات: ٩٥ — ٩٦] بعد أن نقل كلام الطبري في معنى «ما»: (وفي هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله)^(٢).

٤. الاحتجاج بالقدر على المعاصي:

قال في التفسير: (قوله تعالى: ﴿سيقول الذين أشركوا﴾: أي إذا لزمتهم الحجة، وتيقنوا باطل ما هم عليه من الشرك وتحريم ما لم يحرمه الله «لو شاء الله ما أشركنا» فجعلوا هذا حجة لهم في إقامتهم على الباطل؛ فكأنهم قالوا: لو لم يرض ما نحن عليه، لحال بيننا وبينه... فيقال لهم: لم تقولون عن مخالفكم إنهم ضالون؟! وإنما هم على المشيئة أيضاً، فلا حجة لهم، لأنهم تعلقوا بالمشيئة، وتركوا الأمر؛ ومشية الله تعم جميع الكائنات، وأمره لا يعم مراداته، فعلى العبد اتباع الأمر، وليس له أن يتعلل بالمشيئة بعد ورود الأمر)^(٣).

(١) زاد المسير (١/٢٢٢). وانظر: (١٦٤/٧).

(٢) زاد المسير (٧/٧٠).

(٣) زاد المسير (٣/١٤٥). وانظر: القسم المحقق (ص ٤٠٩).

المبحث الرابع

موقفه من الفرق

وفيه مطالب .

اهتم الإمام ابن الجوزي — رحمه الله — بآراء الفرق المخالفة للإسلام، سواء المنتسبة إليه أو الخارجة عنه بالكلية. فاطلع على آرائها وناقشها، وردّ عليها وفندها. وقد ظهر هذا جلياً هنا في كتاب «تليس إبليس»، وسأركز في عرضها على ما تناوله ابن الجوزي بالردّ والمناقشة؛ لنطلع على جانب من جهود الشيخ — رحمه الله — في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، ودحض الشبهات التي أثيرت حولها، سواء من قبل النحل الكافرة، أو الفرق المبتدعة..

المطلب الأول: الملل والنحل الخارجة عن الإسلام:

١. السوفسطائية^(١):

عرض لآرائهم وردّ عليها بأقوال العلماء، وكان في مناقشته متهمكماً بهم لمخالفتهم أدنى قضايا العقول السليمة.

٣. الدهرية^(٢):

عرّف مقاتلهم المادية الصرفة، وعابهم في تركهم استعمال العقل في معرفة الخالق؛ ثم عرض لأدلة الخلق المنصوبة الدالة على وجود الخالق المدبر رداً عليهم ودحواً لآرائهم.

٣. الطبائعيون^(٣):

وهم القائلون بأن الطبيعة هي التي أوجدت هذا الكون بما فيه، وذلك باجتماع الطبائع الأربع... وبهذا الدليل الذي زعموه أبطل ابن الجوزي نظريتهم المتهاففة بكون امتزاج الطبائع واجتماعها دليلاً على أنها مقهورة؛ كما استدل على عجز

(١) انظر: القسم المحقق (ص ٢٨٧-٣٠٠).

(٢) انظر: القسم المحقق (ص ٣٠١-٣٠٦).

(٣) انظر: القسم المحقق (ص ٣٠٧-٣٠٩)؛ وزاد المسير (٤/٣٠٣).

الطبيعة عن الخلق، بكون هذا الأخير في منتهى الدقة التي لا تصدر إلا عن حكيم خبير، وهم قد سلموا بأن الطبيعة ليست حية ولا عالمة ولا قادرة.

٤. الثنوية^(١):

ذكر مختلف آرائهم الناتجة عن شبهة أن الشئيين المتضادين لا يمكن أن يصدرا من أصل واحد، فقالوا بالأصلين!

وقد ردّ عليهم بدليل التمانع الذي يستحيل معه وجود إلهين.

٥. الفلاسفة وتابعوهم^(٢):

فبين آفتهم وهي: الاعتماد على العقول، ودعوى الاستغناء عن الأنبياء. ثم فصلّ القول في مختلف آرائهم ودخل معهم في مناقشات، وردّ على أكثر ما أورده من مقالاتهم، وأعرض عن بعضها لتهافتها في نفسها.

ومن ردّ عليهم ابن الجوزي في هذا الباب، أتباع الفلاسفة ممن انتسب إلى الإسلام لكن رفض شرعه، وأهمل الصلاة، ولبس المحظورات، حتى صار اليهود والنصارى أعذر منهم؛ لأنهم متمسكون بشرائع دلت عليها معجزات، وصار المبتدعة في الدين أعذر منهم لأنهم يدعون النظر في الأدلة؛ أما أولئك المتفلسفة فلا مستند لكفرهم إلا اغترارهم بحكمة الفلاسفة.

وختم كلامه بذكر ما آل إليه حال أولئك المتفلسفة من تحيّر وتخبّط وشكّ.

(١) انظر: القسم المحقق (ص ٣١٠-٣١٥).

(٢) انظر: القسم المحقق (ص ٣١٦-٣٣٩).

٦. البراهمة^(١):

ركّز على ذكر شبهاتهم في إنكار النبوات، فعرضها شبهة شبهة، وردّ عليها جميعاً بالمنقول والمعقول.

٧. اليهود والنصارى^(٢):

عدّد بعض فرقهم مع ذكر آراء كلٍّ منها، وكان — على عادته — يناقشهم ويردّ عليهم. وتكلّم في خصائص الأنبياء ودلائل نبوتهم، بما يهدم مزاعم اليهود والنصارى وافتراءهم على الأنبياء.

المطلب الثاني: الفرق المنتسبة للإسلام وليست منه:

١. الباطنية^(٣):

تكلّم ابن الجوزي — رحمه الله — عن هذه الطائفة الخبيثة بإسهاب كبير، وبين بعض أسرارها، وكشف حقيقة مذهبهم، وأنهم قومٌ تستروا بالإسلام ومالوا إلى الرّفص، كما بين إلحادهم، وأن محصول قولهم هو: تعطيل الباري تعالى، وإبطال النبوات والعبادات، وإنكار البعث.

وقد ذكر مختلف أسمائهم وألقابهم التي تلقبوا بها حتى يكشف أمرهم ويهتك أستارهم؛ كما فضح أساليبهم في الدعوة إلى مذهبهم.

(١) انظر: القسم المحقق (ص ٤١٠-٤٢٨).

(٢) انظر: القسم المحقق (ص ٤٢٨-٤٤٩).

(٣) انظر: القسم المحقق (ص ٦٢٢-٦٥٩)؛ والمتنظم (١٢/ وما بعدها)؛ والوفا بأحوال

المصطفى (١/٣٥٠).

٣. الملحدون والزندقة^(١):

وقد ركّز في هذا على ابن الراوندي^(٢) وتطاوله على كتاب الله تعالى، وردّ عليه وسفّه رأيه بكلامه وكلام شيخه ابن عقيل.
كما تصدّى لزندقة أبي العلاء المعريّ وفضحه، وبين زندقته وكفره بالبعث وتنقصه من الأنبياء.

المطلب الثالث: الفرق الإسلامية:

١. الخوارج^(٣):

فقد كانوا من أكثر الفرق التي اهتم ابن الجوزي — رحمه الله — ببيان فساد منهجهم في الاستدلال والاعتقاد، كما أكثر من ذكر أخبارهم.
كما بين أصل ضلالهم وهو: ردّهم للسنة وارتضاؤهم برأيهم. كما فعل ذو الخويصرة. ثم أشار — رحمه الله — إلى المنهج الصحيح بقوله: (لو أن هذا الرجل — أي ذو الخويصرة — وفقّ لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله ﷺ)^(٤).

٣. الرافضة^(٥):

يرى ابن الجوزي — رحمه الله — أن مذهب الرافضة يقوم على الطعن في أصل

(١) انظر: القسم المحقق (ص ٥٤٤-٥٨٨)؛ والمنتظم (٢٩/٨)، (١٠٨/١٣) وما بعدها، (٢٣/١٦) وما بعدها.

(٢) ستأتي ترجمته في الصفحة (٤٢٠) من القسم المحقق.

(٣) انظر: القسم المحقق (ص ٥٤٠-٥٨٣)؛ والمنتظم (١٢٣/٥)، (١٦٦/٦)، (١٩٣).

(٤) كشف المشكل (١١٩/٣).

(٥) انظر: القسم المحقق (ص ٥٨٩-٦٢١).

الدين والنبوة، وأثبت ذلك من كلام شيخه ابن عقيل^(١)، وقال عنهم: (والغالية من الروافض المخالفة لكتاب الله والسنة يتجاهرون بسب الصحابة، ويسرون اعتقاد الكفر ومذهب الإباحة)^(٢).

وكان — رحمه الله — في ترجمته لبعضهم يقول عنه: (كان رافضياً رديء المذهب)^(٣).

ومن كلامه الدال على بغضهم ما عبر به في مواضع من كتابه «المنتظم»، ومنها: — يذكر أن في سنة (٥٦٧هـ) ترك الدعاء للعبّدين^(٤)، فقال: (وانكمد الروافض)^(٥).

— كما يذكر ما حدث معه سنة (٥٧١هـ) فقال: (وكان الرفض في هذه الأيام قد كثر، فكتب صاحب المخزن إلى أمير المؤمنين: إن لم تقو يدي ابن الجوزي لم تطق على دفع البدع. فكتب أمير المؤمنين بتقوية يدي، فأخبرت الناس بذلك على المنبر وقلت: إن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قد بلغه كثرة الرفض،

(١) انظر: القسم المحقق (ص ٦٠٥).

(٢) المنتظم (١٩٥/١٥).

(٣) المنتظم (٨٦/١٥).

(٤) نسبة لعبيد الله بن محمد المهدي مؤسس الدولة العبيدية الشيعية الخيشة، المتوفى سنة ٣٢٢هـ. أول ما قامت هذه الدولة بالقيروان سنة ٢٩٦هـ، ثم انتقل مركزها إلى القاهرة، وأصبحت تعرف في تلك الفترة بالدولة الفاطمية. تعاقب عليها أربعة عشر مستخلفاً، أطولهم مدة المستنصر بالله معد بن علي، حيث أقام في الحكم ستين سنة وأربعة أشهر. انظر: (السير ١٥/١٤١-٢١٥)، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٤٥٠-٤٥١).

(٥) المنتظم (٢٣٧/١٠).

وقد خرج توقيعه بتقوية يدي في إزالة البدع، فمن سمعتموه من العوام ينتقص الصحابة فأخبروني حتى أنقض داره وأخلده في الحبس، وإن كان من الوعاظ حدرته المشان^(١)؛ فانكف الناس^(٢).

— وذكر من حوادث سنة (٥٧٤هـ) ما جرى لرجل رافضي من قطع لسانه بعدما عُرف بسب الصحابة، ثم قتله، فقال ابن الجوزي معقباً: (ثم روع جماعة من الروافض، فجعلوا يحرقون كتباً عندهم من غير أن يطلع عليها مخافة أن يُنم عليهم، وخذت جمرتهم بمرّة، وصاروا أذل من اليهود)^(٣).

٣. المعتزلة:

— ذكر من فضائل الخليفة القادر بالله أنه عمل كتاباً طويلاً، يتضمّن الوعظ وتفضيل مذهب السنة، والطعن على المعتزلة وإيراد الأخبار الكثيرة في ذلك عن النبي ﷺ والصحابة... والطعن على من يقول بخلق القرآن وتفسيره^(٤).

— وذكر في حوادث سنة (٤٠٨هـ) أن القادر بالله استتاب المعتزلة؛ فقال: (في سنة ثمان وأربعمائة استتاب القادر بالله أمير المؤمنين فقهاء المعتزلة الحنيفة، فأظهروا الرجوع، وتبرأوا من الاعتزال، ثم نهاهم عن الكلام والتدريس والمناظرة في الاعتزال والرفض والمقالات المخالفة للإسلام)^(٥).

(١) يقال مشنه بالسوط مشناً أي ضربه به. وحدر الجلد ورم وغلظ من الضرب. فيكون المعنى: أضربه بالسوط حتى يتورّم جلده. انظر: القاموس المحيط (حدر)، والمعجم الوسيط (ص ٨٧٢).

(٢) المنتظم (١٠/٢٥٩).

(٣) المنتظم (١٨/٢٥١).

(٤) انظر: المنتظم (١٥/١٩٦-١٩٩).

(٥) المنتظم (١٥/١٢٥).

— وقال عن أبي الهذيل العلاف^(١) شيخ المعتزلة: (كان فاسقاً في باب الدين)^(٢).

٤. الأشاعرة:

بعد تبني لتراجم بعض الأشاعرة في كتاب «المنتظم» تبين لي أن ابن الجوزي لا يرتضي هذا المذهب بل يعيبه، ويراه مما يشين معتقده.

— ففي ترجمة أبي الحسن الأشعري^(٣) قال: (تشاغل بالكلام وكان على مذهب المعتزلة زماناً طويلاً، ثم عن له مخالفتهم وأظهر مقالة خبطت عقائد الناس، وأوجبت الفتن المتصلة... ثم تبع قوم من السلاطين مذهبه فتعصبوا له، وكثر أتباعه حتى تركت الشافعية معتقد الشافعي^(٤) رضي الله عنه، ودانوا بقول الأشعري^(٥). — وفي ترجمة الباقلاني^(٦)، ذكر سماعه للحديث، وبعض شيوخه، ثم قال: (إلا أنه كان متكلماً على مذهب الأشعري)^(٧).

(١) ستأتي ترجمته في الصفحة (٢٩٣) من القسم المحقق.

(٢) المنتظم (٢٣٤/١١).

(٣) انظر ترجمته في الصفحة (٥٨٧) من القسم المحقق.

(٤) ستأتي ترجمته عند الأثر رقم [٢٧].

(٥) درء اللوم والضميم في صوم يوم الغيم (ص ٤٥-٤٦). وانظر: صيد الخاطر (ص ٣٠٢).

(٦) هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد القاضي، المعروف بابن الباقلاني، أو الباقلاني.

المصري، المالكي، إمام المتكلمين ورأس الشاعرة، صاحب التصانيف. أخذ علم النظر عن أبي عبد الله بن مجاهد الطائي، صاحب الأشعري. مات سنة ٤٠٣ هـ.

ينظر: (تاريخ بغداد ٣٧٩/٥، الأنساب ٥١/٢، السير ١٧/١٩٠، شذرات الذهب ١٦٨/٣).

(٧) المنتظم (٩٦/١٥).

— وقال عن أبي نعيم الأصبهاني^(١) والخطيب البغدادي^(٢): (كانا يتعصبان للمتكلمين والأشاعرة. وما يليق هذا بأصحاب الحديث؛ لأن الحديث جاء في ذم الكلام)^(٣).

— وقال: (غير أن الخطيب يبهرج بعصية باردة في ذم أصحابنا، وإذا ذكر المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم فخّم أمرهم، وذكر من فضائلهم ما يقارب الاستحالة)^(٤).

— وقال عن القشيري^(٥): (اختلف إلى أبي بكر بن فورك فأخذ عنه الكلام، وصار رأساً في الأشاعرة)^(٦).

— وفي ترجمة محمد بن أحمد السمناني^(٧) قال: (... وكان عالماً فاضلاً سخيّاً لكنه كان يعتقد في الأصول مذهب الأشعري)^(٨).

(١) ستأتي ترجمته عند الأثر رقم [١٣].

(٢) ستأتي ترجمته عند الأثر رقم [٤٥].

(٣) المنتظم (١٣٤/١٦).

(٤) درء اللوم والضميم في صوم يوم الغيم (ص ٤٥-٤٦). وانظر: صيد الخاطر (ص ٣٠٢).

(٥) ستأتي ترجمته في الصفحة (٩٥٣) من القسم المحقق.

(٦) المنتظم (١٤٨/١٦).

(٧) هو محمد بن أحمد بن محمد السمناني، أبو جعفر الحنفي، قاضي الموصل، حدث عن

علي بن عمر السكري، وأبي الحسن الدارقطني وابن حبان وغيرهم، ولازم ابن

الباقلاني. قال الخطيب: كتب عنه وكان ضدوقاً، فاضلاً حنفياً، يعتقد مذهب

الأشعري، وله تصانيف. مات سنة ٤٤٤هـ.

ينظر: (تاريخ بغداد ١/٣٥٥، المنتظم ١٥/٣٣٨، السير ١٧/٦٥١).

(٨) المنتظم (٣٣٨/١٥).

٥. الصوفية:

لا شك أن ابن الجوزي — رحمه الله — يُعدّ من أقدم وأشهر نقّاد مذهب التصوف، وكتابه «تلبيس إبليس» خير شاهد على ذلك؛ إذ خصّص أكثر من نصف الكتاب لنقد هذا المذهب المبتدع، كما لم تخل بعض كتبه الأخرى من ذكر لذلك المذهب.

وقد سار في نقد هذه الطائفة على النحو التالي :

- ذكر نسبة الصوفية.
- التركيز على الفرق بين الزهد الشرعي وبين التصوف وغلوه.
- ذكر ما آل إليه التصوف من العقائد المنحرفة الإلحادية، كالقول بالحلول والاتحاد.
- نقد مسالك الصوفية في ترك كثير من الواجبات والمباحات تزهّداً، فستركوا العلم ونفّروا عنه، وتركوا الجماعات في المساجد، إذ استبدلوا المساجد بالأربطة التي كانت مرتعاً للبطالة والكسل، كما تركوا النكاح، ولبسوا المرقعات...
- نقد انحرافهم في عقيدة التوكل، إذ فهموها على أنها ترك الأسباب بالكلية. وغير هذا كثير.

ويكفي في معرفة موقف ابن الجوزي — رحمه الله — من التصوف، أنه تصدى لهذا المذهب وهو في أوج قوّته وانتشاره في بغداد خاصة.

كما انتقد أشهر المؤلفين المتصوفة وأهم مؤلفاتهم^(١)؛ ومنها: اللمع للطوسي، والرسالة للقشيري، وقوت القلوب للمكي، وإحياء علوم الدين للغزالي، والحليّة

(١) انظر: القسم المحقق (ص ٩٤٧-٩٦٦).

لأبي نعيم، والصفوة للمقدسي.

وختاماً لعليّ أكون بهذا العرض قد قدّمت صورة واضحة لمعتقد الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - الذي حرص فيه على الالتزام بنصوص الكتاب والسنة، وما وقع فيه من خطأ كما في باب صفات الله تعالى ومسألة التبرك بالقبور، فقد بينتُ خطأه والأسباب التي أوقعته في ذلك، كما نقلت بعض أقوال أهل العلم في الردّ عليه.

وفي أمثال ابن الجوزي - رحمه الله - يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - : (من يعلم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له قدم صالح وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان، قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل ماجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته في قلوب المسلمين).^(١)

ويقول الإمام الذهبي - رحمه الله - : (إن الكبير من أئمة العلم إذا كثرت صوابه وعُلم تحرّيه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكائه، وعُرف صلاحه وورعه واتباعه؛ يغفر زلله، ولا تضلله ونظره، ونسى محاسنه. نعم ولا نفتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك).^(٢)

(١) إعلام الموقعين (٣/٢٨٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/٢٧٩).

الفصل الثالث

التعريف بالكتاب

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: اسم الكتاب ونسبته للمؤلف.

المبحث الثاني: مصادر المؤلف ومنهجه في

الكتاب.

المبحث الثالث: قيمة الكتاب العلمية.

المبحث الرابع: وصف النسخ الخطية.

المبحث الأول

اسم الكتاب ونسبته للمؤلف

وفيه مطالب :

المطلب الأول: اسم الكتاب.

اسم الكتاب أو عنوانه : هو ذلك اللفظ أو الألفاظ التي تكون على واجهة الكتاب وطرته، ويراد بها أن تكون علامة للكتاب تميزه عن غيره، وتنبئ عن مضمونه، ويكون من وضع المؤلف نفسه غالباً^(١).

والذي يظهر من خلال تتبع من ذكر كتابنا هذا، ومن خلال النسخ المعتمدة في التحقيق أن اسمه هو «تلبيس إبليس»^(٢) ، لأمر، منها:

١— أن المؤلف نفسه صرح بما ذكرناه من اسمه في مقدمته للكتاب^(٣).

٢— أن هذا الاسم، وهو «تلبيس إبليس» جاء مثباً على طرة النسخ التي اعتمدها في التحقيق^(٤).

٣— أن غالب من ترجم لابن الجوزي — رحمه الله — اتفقوا على هذه التسمية، وفيهم من هو أعرف الناس بالمصنف ومؤلفاته، كسبطه أبي المظفر في مرآة الزمان^(٥)، وتلميذه ابن الديبشي^(٦)،

(١) انظر: العنوان الصحيح للكتاب تعريفه وأهميته لحاتم العوني (ص ١٦—١٧)

(٢) جاء في بعض نسخ الكتاب المختصرة تسميته بـ « كشف تلبيس إبليس » أو « الناموس في تلبيس إبليس » ، أو « كشف الناموس » ولم أجد لهذه التسميات ذكراً في كتب ابن الجوزي، ولا من ترجم له من المتقدمين.

(٣) انظر مقدمة المؤلف (ص ١٢) من القسم المحقق.

(٤) سيأتي الكلام عليها عند وصف النسخ المعتمدة في التحقيق.

(٥) (٤٨٤/٨).

(٦) كما في المختصر المحتاج إليه للذهبي (٢/٢٠٧).

وغيرهما^(١).

ولعل هذه التسمية وفكرة التأليف في هذا الموضوع أخذها ابن الجوزي من أبي حامد الغزالي، حيث ذكر هذا الأخير في كتابه « إحياء علوم الدين »^(٢) أنه ينوي التصنيف في مكاييد الشيطان كتاباً يسميه « تلبيس إبليس »، ثم ذكر في كتابه « منهاج العابدين إلى رب العالمين »^(٣) أنه قد صنف هذا الكتاب فقال : (وقد صنفنا كتاباً سميناه : تلبيس إبليس).

المطلب الثاني: توثيق نسبة الكتاب للمؤلف.

لا يتطرق أدنى شك أن هذا الكتاب (تلبيس إبليس) من تأليف الحافظ أبي الفرج بن الجوزي، ويدل على ذلك عدة أمور، وهي:

١- ذكر ابن الجوزي له في مؤلفاته الأخرى، كالمنتظم^(٤)، وصيد الخاطر^(٥)، وصفة الصفوة^(٦)، وأحكام النساء^(٧)، وكشف مشكل الصحيحين^(٨)، ومنهاج القاصدين^(٩).

(١) وسيأتي فيما يلي ذكر جملة منها في توثيق نسبة الكتاب للمؤلف.

(٢) (٣٠/٣)

(٣) (ص ١٣٥).

(٤) (٢٨٨/١٤)، و(١٤٨/١٥).

(٥) انظر: الصفحات (١٨٠-٤٣٩-٥١٨-٥٢٣).

(٦) (١٠/١).

(٧) (ص ٢٩٦).

(٨) (٢٧٤/٤).

(٩) وهو مخطوط، واختصره ابن قدامة وسماه : « مختصر منهاج القاصدين »، وهو مطبوع.

انظر الصفحات : (١٧، ١٨٤، ٤٧٣).

٢- ذكر ابن الجوزي عددا من مؤلفاته في كتابه « تلبيس إبليس » كـ
« المنتظم »^(١) و « كتاب القصص والمذكرين »^(٢) و « منهاج الوصول إلى علم
الأصول »^(٣) و « ذم الهوى »^(٤) و « لقط المنافع »^(٥) و « أخبار النساء »^(٦).

٣- ذكر غالب من ترجم لابن الجوزي له في كتبهم، كسبط ابن الجوزي في
مرآة الزمان^(٧)، والذهبي في السير^(٨)، وابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة^(٩)،
والداوودي في طبقات المفسرين^(١٠)، وحاجي خليفة في كشف الظنون^(١١)،
وغيرهم.

٥- النقول منه والعزو إليه مع تسميته ونسبته له، وسيأتي تفصيلها في مبحث
« قيمة الكتاب العلمية » من هذه الدراسة.

٦- أن أسانيده التي روى بها جملة من الكتب في التلبيس، كمسند أحمد
والزهدي، والصحيحين، والسنن، والحلية، وغيرها، هي نفسها أسانيده التي ذكرها

(١) انظر (ص ٦٥٩) من القسم المحقق.

(٢) انظر (ص ٧١٥) من القسم المحقق.

(٣) انظر (ص ٥٢٠) من القسم المحقق.

(٤) انظر تلبيس إبليس (ط. المنيرية) (ص ٢٧١).

(٥) انظر المصدر السابق (ص ٢٨٧).

(٦) انظر المصدر السابق (ص ٤٠٢).

(٧) (٤٨٤/٨).

(٨) (٣٦٨/٢١).

(٩) (٤١٩/١).

(١٠) (٢٧٧/١).

(١١) (٤٧١/١).

في مقدمة كتابه الخدائق^(١) وكذا في مشيخته، وهذا ابتداء من شيوخه إلى أصحاب تلك الكتب.

٧— منهجه في الكتاب، وأسلوبه فيه يدلّ على أنّه من تأليفه.

المطلب الثالث: موضوع الكتاب.

يدور موضوع هذا الكتاب حول تلبس إبليس — لعنه الله — على الخلق وغرورهم به، على مختلف أنواع طبقاتهم، والتلبس كما فسره المؤلف في كتابه هذا^(١) هو: إظهار الباطل في صورته الحق. وأما الغرور فهو نوعٌ جهلٌ يُوجبُ اعتقادَ الفاسدِ صحيحاً، والردىء جيداً، وسببه وجود شبهة أوجبت ذلك.

فرأى ابن الجوزي — رحمه الله — كما بين في مقدمة كتابه حيث قال: «فرأيت أن أحذر من مكايده، وأدل على مصايده، فإن في تعريف الشرِّ تحذيراً من الوقوع فيه»^(٢).

وقسم المؤلف كتابه إلى ثلاثة عشر باباً، جعل الأبواب الأربعة الأولى منها كمدخلٍ لموضوع التلبس، حيث ذكر فيها الأحاديث والآثار الواردة عن السلف في الأمر بلزوم السنة والجماعة، ثم ذمَّ البدع والابتدعين، ثم التحذير من فتن إبليس ومكايده عموماً، مع بيان معنى التلبس والغرور.

ثم ذكر في بقية الأبواب تلبس إبليس على أصحاب العقائد والديانات من السوفسطائية، والدهرية، والطبائعيين، والثنوية، والفلاسفة، وأصحاب الهياكل، وعباد الأصنام، وعابدي النار والشمس والقمر، والجاهلية، وجاحدي النبوات واليهود والنصارى، والصابئة، والجوس، والمنجمين، وجاحدي البعث، والقائلين بالتناسخ، والخوارج، والرافضة، والباطنية.

ثم ذكر في الباب السادس: تلبس إبليس على العلماء في مختلف أنواع تخصصاتهم من محدثين وفقهاء وقراء وشعراء ولغويين وقصاص ونحوهم.

(١) انظر: (ص ٢٨٠) من القسم المحقق.

(٢) (ص ٨) من القسم المحقق.

وأفرد الباب السابع للولادة والسلطين.

وفي الباب الثامن والتاسع ذكر تلبس إبليس على العباد والزهاد.

وأما في الباب العاشر فقد أفرده للصوفية، حيث توسّع فيه أكثر ما غيره، وكان هذا الباب أطول أبواب الكتاب، وقد أتى فيه ابن الجوزي — رحمه الله — على كل ما يؤخذ على الصوفية، ومن أهم ما يذكر في ذلك:

١— تفریق المؤلف بين الزهد والتصوف.

٢— بين أن التصوف كان مطية للضلال، حيث أدى إلى القول بالحلول وترك الفرائض، وأدى إلى استحلال الحرام وتحريم الحلال، وظهور مذهب الإباحة، إلى غير ذلك.

٣— نقد ابن الجوزي — رحمه الله — مسالك الصوفية في ترك العلم والزهد فيه.

٤— ذكر تلبس إبليس عليهم في بناء الأربطة واستغنائهم بها عن المساجد، وفي تجردهم من الأموال مما يدخل في باب الإسراف من ناحية، وفي باب السؤال والتضييق على الفقراء من ناحية أخرى. كما لبس عليهم في لبس المرقعات، والتقليل من المطاعم وفق ترتيبات أدت ببعضهم إلى التشبه بالبهائم في أكل ورق الشجر وما إلى ذلك.

٥— بين — رحمه الله — انحراف الصوفية في عقيدة التوكل، وأنه ترك الأسباب بالكلية عندهم.

٦— نقد ابن الجوزي — رحمه الله — بعض الكتب المؤلفة لترويج التصوف والابتعاد عن هدي الكتاب والسنة، ومنها: الإحياء للغزالي، وقوت القلوب لأبسي طالب المكي، وطبقات الصوفية للسلمي.

وقد سار المؤلف في هذا الكتاب على بيان الشبه التي يلبس بها إبليس على العباد، سواء في العقائد أو العبادات أو المعاملات، كما شمل ذلك التلبس طوائف كثيرة من الناس، منهم العلماء، والقراء، والمحدثون، والرعاظ، وأهل اللغة، والسلاطين، والعباد والزهاد، والصوفية.

وكرر على كل صور التلبس التي ذكرها بالتحليل والنقد، وكشف زيفها شبهةً شبهةً مستعيناً على ذلك بأدلة الكتاب والسنة.

المبحث الثاني

**مصادر المؤلف ومنهجه في الكتاب
وفيه مطلبان .**

اهتم الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - في هذا الكتاب اهتماماً بالغاً بالرجوع إلى المصادر الأصلية التي يرويها بسنده في الغالب، والتي يكون بعضها من مصادر الطائفة التي تناولها بالمناقشة والردّ في التلبيس، مما يضيف عليه صفة الأصالة والأمانة العلمية.

وسأذكر أولاً مصادر المؤلف في الكتاب ثم منهجه فيه.

المطلب الأول : مصادر المؤلف في الكتاب.

لما كان ابن الجوزي - رحمه الله - من الحفاظ المشاهير، فقد جاء كتابه التلبيس في الغالب بنصوص مسندة بسلسلة من الرواة، وعلى الرغم من صعوبة الوقوف على أسماء الكتب التي روى من طريقها، وما يكتنف بعضها من غموض، إذ قليلاً ما كان يذكر المصدر الذي روى عنه؛ فإنني - والله الحمد - استطعت من خلال المقارنة بين النصوص التي أوردها وبين مواطن ورودها، ومن خلال البحث في تراجم رجال الإسناد، أن أعرف أغلب مصادر الكتاب الرئيسة التي اعتمدها ابن الجوزي.

وأما بالنسبة للمصادر غير المسندة فمنها ما صرح المؤلف بأسمائها، ومنها ما صرح بأسماء مؤلفيها، ومنها مصادر تبين بعد التحقيق.

وقد قسمت مصادر المؤلف إلى قسمين: مسندة وغير مسندة، ثم أعقبت ذلك بخلاصة لتلك المصادر مرتبة على الفنون.

وإليك الآن أسماء تلك المصادر:

أ. المصادر التي رواها بإسناده إلى مؤلفيها^(١):

١- مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت (٢٤١ هـ) [٢-٣-٨-٩-١٠-٣٠-
٣٣-٣٤-٣٥-٣٧-٦٠-٦١-٦٤-٦٦-٦٧-٦٨-٧٠-٨٩-٩٠-٩١-
٩٣-٩٤-٩٧-١١٤-١٢٢-١٢٦-١٤٠-١٤٣-١٤٧-١٥٥-١٥٦-
١٥٧-١٥٩-١٦٠-١٦١-١٧٢-٢٠٠-٢١٦-٢١٧-٢١٨-٢١٩-
٢٢٠-٢٣٣-٢٢١-٢٢٠-٢٤٠-٢٤١-٢٤٥-٢٥١-٢٧٧-٢٨٩-٣١١-
٣١٢-٣١٤-٢١٧]، المجموع: (٥٤ نصاً).

٢- حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني، ت (٤٣٠ هـ) [١٦-١٥-١٣-
١٧-١٨-١٩-٢٨-٣٦-٤١-٤٦-٤٨-٤٩-٥٣-٥٧-٥٩-٧٦-٨٧-
٩٩-١٠٩-١٢٠-١٢١-١٤٥-١٦٦-١٦٧-١٦٨-١٦٩-١٧١-
١٧٤-١٧٥-١٨١-١٨٢-١٩٢-١٩٤-١٩٩-٢٠١-٢١٢-٢٢٤-
٢٢٧-٢٢٨-٢٢٩-٢٣٠-٢٥٤-٢٥٥-٢٥٧-٢٦٠-٢٨٨-٢٩٠-
٢٩٢-٣٠١]، المجموع: (٤٩ نصاً).

٣- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ت (٤٦٣ هـ) [١٢٨-١١٦-١١٠-
١٣٥-١٤٢-١٦٣-١٦٥-١٨٤-١٨٥-١٨٧-١٩٤-١٩٥-٢٠٤-
٢٠٥-٢٠٦-٢٠٧-٢٠٨-٢١٠-٢١١-٢١٢-٢٢٤-٢٣٩-٢٥٩-
٢٨٣-٢٨٤-٣٠٩-٣١٨-٣٢٥]، المجموع: (٢٨ نصاً).

٤- مكائد الشيطان، لابن أبي الدنيا القرشي، ت (٢٨١ هـ) [٦٩-٧٤-

(١) ما بين المعقوفين إحالة على أرقام الأحاديث والآثار. ولم أعتمد في هذا السرد الترتيب الأبجدي ولا الزمني، وإنما آثرت ترتيبها على حسب كثرة نقل المؤلف عنها.

- ١٣- سنن الصوفية، لأبي عبد الرحمن السلمي [١٩٣-٢٨٧-٣٠٢].
المجموع: (٣ نصوص).
- ١٤- المعرفة والتاريخ، ليعقوب بن سفيان الفسوي، ت (٢٧٧ هـ) [١٢٣-
١٣٨-١٣٩]. المجموع: (٣ نصوص).
- ١٥- أنساب قريش، للزبير بن بكار، ت (٢٥٦ هـ) [١٧٧-١٧٨-١٧٩].
المجموع: (٣ نصوص).
- ١٦- كتاب الزهد، لهناد بن السري، ت (٢٤٣ هـ) [١٨٠-٢٤٦-٢٤٧].
المجموع: (٣ نصوص).
- ١٧- سنن الترمذي، للترمذي، ت (٢٧٩ هـ) [١١-٦٢-٦٣]. المجموع:
(٣ نصوص).
- ١٨- الأدب المفرد، للبخاري، ت (٢٥٦ هـ) [٢١٧-٢٥٦].
- ١٩- المصنّف، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت (٢١١ هـ) [٣٧-٩٣].
- ٢٠- المنتخب، لعبد بن حميد، ت (٢٤٩ هـ). [١٥٠-٢٩٣].
- ٢١- الكامل في ضعفاء الرجال، لعبد الله بن عدي، ت (٣٦٥ هـ). [٢٦-
٢٤٨].
- ٢٢- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي [٤٥-
٢٥٩].
- ٢٣- نشوار المحاضرة، للقاضي أبي علي التنوخي، ت (٣٤٩ هـ). [١١٥-
١٣٢].
- ٢٤- غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الجُمحي، ت (١٢٤ هـ)

[٥].

٢٥—جزء لوين، محمد بن سليمان المصيصي، المعروف بلوين، ت (٢٤٦ هـ)، [٣٠].

٢٦—كتاب الشكر لابن أبي الدنيا [٢٧٦].

٢٧—الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي [٢٠٩].

٢٨—اقتضاء العلم العمل، له أيضاً [١٣٤].

٢٩—المصنّف، لابن أبي شيبة، ت (٢٣٥ هـ)، [١٥٢].

٣٠—كتاب الأمّ للشافعي، ت (٢٠٤ هـ)، [١٣٣].

٣١—فتيا فقيه العرب، لأبي الحسين بن فارس، ت (٣٩٥)، [١٤١].

٣٢—صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، ت (٢٦١ هـ). [٢٨١].

٣٣—التاريخ الكبير، للبخاري [٣٢٣].

٣٤—مغن الصوفية، لأبي عبد الرحمن السلمي [١٨٨].

٣٥—أمالي أبي الحسن القزويني، ت (٤٤٢ هـ) [٣٠٧].

٣٦—اللمع، لأبي نصر السراج الطوسي، ت (٣٧٨ هـ) [٢٠٣].

٣٧—صفوة التصوف، لمحمد بن طاهر المقدسي، ت (٥٠٧ هـ). [٢٣٤].

٣٨—الحثّ على التجارة، لأبي بكر الخلال، ت (٣١١ هـ) [٢٢٢].

فيكون مجموع تلك النصوص التي نقلها ابن الجوزي بإسناده (٢٤٤ نصّاً)،

وقد تعرّف على أسماء الكتب المذكورة من خلال تخريجي لتلك النصوص، حيث

وجدتها مثبتة في تلك الكتب كما نقلها ابن الجوزي — رحمه الله — كما أشرت إلى ذلك في مقدمة هذا المبحث، على أن هناك عدداً ليس بالقليل من النصوص المسندة لم أهد إلى أسماء الكتب التي وردت فيها، فلعلها مما سمعه من شيوخه بإسناده ولا يلزم أن تكون في كتاب، وقد وقفت عليها من طرق أخرى، وبعضها لم أقف عليه أصلاً وعددها قليل، وهي^(١):

١— نصوص نقلها من طريق أبي عبد الله بن باكويه ت (٤٢٨ هـ)، ويغلب على الظن أنها من كتابه (أخبار الصوفية) ولم أقف عليه، وأرقامها: [١٣٧-١٩٦-١٩٧-١٩٨-٢٠٢-٢١٣-٢١٤-٢٢٥-٢٣١-٢٣٥-٢٣٦-٢٣٧-٢٦٢-٢٦٤-٢٩٥-٢٩٩-٣٠٦].

٢— نصوص نقلها من طريق البيهقي والحاكم معاً، ولعلها من (تاريخ نيسابور) للحاكم^(٢)، وهو مفقود، وأرقامها: [٥١-١٧٢-٢٥٠-٢٦١-٢٨٦].

٣— نصوص نقلها من طريق عبد الله بن محمد البغوي، صاحب معجم الصحابة، وأرقامها: [٣١-٣٢-١٢٩].

٤— نصوص نقلها من طريق الدارقطني، وأرقامها [٧-٢٧٥].

٥— نصوص نقلها من طريق أبي بكر المروزي، وأرقامها: [٥٥-٣١٤].

٦— نصوص نقلها من طريق أبي بكر الخلال، وأرقامها: [٣١٢-٣١٣].

(١) أعني المصادر التي لم أهد إلى أسمائها.

(٢) وقد صرح بالنقل عنه في هذا الكتاب، انظر (ص ٢٤٢) من الطبعة المنيرية.

ب. المصادر التي نقل منها المؤلف بغير إسناد، وصرّح بأسمائها^(١).

١— كتاب المقالات، لأبي القاسم البلخي، ت (٣١٩ هـ—). [ص ٢٩٦-٤٧٦-٤٩٣].

٢— كتاب الآراء والديانات، لأبي محمد النوبختي، ت بعد (٣٠٠ هـ). [ص ٢٨٩-٢٩٨-٣٠٠-٣٢١-٤٠٩-٤١١-٤٤٥-٤٦٣-٤٦٦-٤٩٠-٥٠٧-٥٩٤].

٣— كتاب المقتبس، للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين، المعروف بابن الفراء، ت (٤٥٨ هـ)، [ص ٤٩٢].

٤— إحياء علوم الدين، للغزالي (ص ١٠٥٣-١٠٥٨-١٢٨٢-١٢٨٥-١٣١٦).

٥— المفصح بالأحوال، له أيضاً (ص ٩٦٥).

٦— سنن الصوفية، لأبي عبد الرحمن السلمي [ص ١٠٨٧].

٧— قوت القلوب، لأبي طالب المكي، ت (٣٨٦ هـ) [ص ١٢٨٣].

٨— الرياضة وأدب النفس (ذكره بعنوان: رياضة النفوس)، للحكيم الترمذي، [ص ١٢٨٤].

٩— صفوة التصوف، للمقدسي [ص ١٠٤٤-١١٤١-١١٤٣-١١٤٩].

١٠— اللمع، لأبي نصر الطوسي السراج [ص ١٠٠٨-١٠٠٩-١٠١١].

(١) ما بين القوسين إحالة على أرقام الصفحات في القسم المحقق.

- ١١—الصحیحان [ص ٢٧٥-٨١٣-٨١٥-٨٤٢-٨٩٥-٩٠٤].
- ١٢—صحیح البخاری [ص ٨٣١].
- ١٣—سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني، [ص ٤٠-١٠٩٣-١٠٩٤].
- ١٤—تاريخ الأمم والملوك، لابن جرير الطبري، [ص ٣٩٥-٦٢٦].
- ١٥—كتاب السنة لأبي بكر الخلال [ص ٩٧٨].
- ١٦—أنساب قريش، للزبير بن بكار [ص ٩٢٦].
- ١٧—مسائل الإمام أحمد، لإسحاق بن إبراهيم بن هانيء، ت (٢٧٥ هـ—)، [ص ١٢٥٠].
- ١٨—الرسالة القشيرية، للقشيري، [من ص ٩٥٣ إلى ص ٩٦١].

ج . مصادر صرح بأسماء مؤلفيها فقط:

وهناك كتبٌ أخرى نقل منها ابن الجوزي كثيراً، لكنه لم يصرح بأسمائها، وإنما ذكر أسماء أصحابها فقط. وقد وقفتُ منها على ما يلي :

- ١— فضائح الباطنية للغزالي (ص ٦٣٩).
- ٢— المعتمد لأبي يعلى (ص ١٠٠٣).
- ٣— إصلاح غلط المحدثين للخطابي (ص ٢٥٨) و(ص ٦٧٨).
- ٤— معالم السنن للخطابي (ص ٦٧٨).
- ٥— تهذيب الآثار للطبري (ص ١٠٨٩).

- ٦- النصائح للحارث المحاسبي (ص ١٠٤٣).
- ٧- غريب الحديث لابن قتيبة (ص ١١٠٧).
- ٨- المعارف لابن قتيبة (ص ٤٠٢).
- ٩- كتاب الأنواء في مواسم العرب لابن قتيبة (ص ٤٠٠).
- ١٠- كتاب الحيوان للحافظ (ص ٣٩٦).

وأخرى لم أستطع الجزم بأسمائها لعدم وقوفي على تلك النصوص، وهي:

١- نصوص نقلها عن أبي الوفاء بن عقيل، ويغلب على الظن أنها من كتابه (الفنون)^(١)، وهو من أكبر مصنفاته، وقد وقع لابن الجوزي منه مائة وخمسون مجلداً^(٢)، وانظر الصفحات التالية من القسم المحقق [ص ٢٩١-٤٢٠-٥٠١-٦٠٥-٦٥٠-٦٥١-٧١٣-٧٥٤-٧٨١-٨٥٧-١٠٩٥-١١٣٨-١١٧٧-١٣١٧].

٢- يحيى بن بشر بن عمير النهاوندي، وقد ذكر ابن الجوزي في كتابنا هذا (ص ٣٢٣) أنه نقل كلامه من نسخة وقف عليها بالنظامية، وقال: إنها كتبت منذ مائتين وعشرين سنة، ولم أقف على ترجمة هذا الرجل، ولا على اسم كتابه، والنصوص التي نقلها ابن الجوزي من نسخته أغلبها في الفرق وعلم الكلام، وانظرها في الصفحات التالية من الرسالة: [ص ٣١٣-٣١٧-٣٢٢-٣٢٣-٣٤٢-٤٧٧].

(١) كتاب الفنون مفقود أكثره، ويوجد منه قطعة طبعت في مجلدين عن مخطوطة باريس الوحيدة، تحقيق جورج المقدسي، ونشرته مكتبة لينسة بدمنهور، مصر، سنة ١٤١١هـ.

(٢) انظر: مناقب الإمام أحمد (ص ٧٠٠).

وهناك أئمة آخرون نقل عنهم، كأبي بكر بن الأنباري اللغوي^(١).

د . مصادر أغفل أسماءها وأسماء مؤلفيها:

إن ابن الجوزي — رحمه الله — لم يلتزم في بعض الحالات بذكر اسم المصدر الذي استقى منه مادته العلمية ولا اسم مؤلفه؛ فنجده يُغفل اسم المؤلف وعنوان الكتاب الذي اعتمده في النقل. وبالبحث والمقارنة توصلت إلى أن ابن الجوزي — رحمه الله — اعتمد على المصادر التالية من هذا القبيل:

١ — بيان وآثار وعلامات الاثنتين وسبعين فرقة، للبلخي. انظر: (ص ١٦٦ وما بعدها).

٢ — الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة، للعراقي. عاش في القرن السادس انظر: (ص ١٦٩ وما بعدها).

٣ — الملل والنحل، للشهرستاني. انظر: (ص ٣٢١، ٣٩٥، ٤٠٢).

٤ — تهافت الفلاسفة، للغزالي. انظر: (ص ٣١٨-٣٢٠-٣٢٩).

٥ — مروج الذهب، للمسعودي. انظر (ص ٤٠٢).

(١) انظر: (ص ٢٧٧).

المطلب الثاني : منهجه في الكتاب :

سار ابن الجوزي - رحمه الله - في هذا الكتاب على نسقٍ واحد، ومنهج مطّرد هو عرض المخالفة التي سوّها إبليس لكل مخالف للحق، سواء كانت تلك المخالفة كفرًا وإلحاداً أم بدعةً وانحرافاً؛ ثم الكرّ عليها بالردّ والنقض.

وكان سلاحه في هذا المضمار ما امتاز به من قوة الحافظة واستحضار نصوص الكتاب والسنة، وأقوال السلف، وغزارة المصادر التي اطلع عليها وكثرتها، إضافة إلى ما أوتي من قوة في الحجاج العقلي.

فنجده طويل النفس في الاستشهاد بالنصوص، حريصاً على سؤقها بأسانيدہ الخاصة، مستقصياً في عرض الآراء التي خالفت بها كل طائفة الكتاب والسنة، وذكر الشبهات التي عرضت لها؛ ثم نراه مستجمعاً كل قوته العلمية والعقلية في ردّ تلك المخالفات ودحض الشبهات.

وتفصيلاً في عرض منهج ابن الجوزي في كتابه « تلبيس إبليس » ، فسأذكر أهم السمات التي ميزت ذلك المنهج :

١- الغرض من كتاب « تلبيس إبليس » :

أبان المصنف - رحمه الله - عن غرضه من تأليف هذا الكتاب، وهو التحذير من فتن إبليس وكشف تلبيساته، فقال : (وقد وضعتُ هذا الكتاب محذراً من فتنه، ومخوفاً من محنه، وكاشفاً عن مستوره، وفاضحاً له في خفيّ غروره).^(١)

وقد وفقى المصنف - رحمه الله - بهذا الغرض في أغلب كتابه، وقد تجنّب الاستطرادات التي غالباً ما تخرج عن غرض التأليف وهدفه.

(١) القسم المحقق (ص ١٢).

٢- تقسيم الكتاب إلى أبواب وفصول :

سلك ابن الجوزي - رحمه الله - في كتابه هذا درباً منظماً جداً، حيث قسّم كتابه إلى أبواب، كما أدرج في كل باب مجموعة فصول تنتظم مجموعها غالب مسائل الباب الواحد.

كما ابتدأ هذا النظم بمقدمة عامة للموضوع وهو كيد إبليس، اشتملت على ما أنعم الله به على البشر من نعمة العقل، ثم تعزيزها بنعمة الشرع التي لا يقوى إبليس معها على إضلال بني آدم.

كما اشتملت على ذكر بداية ضلال البشر، واختلافهم بسبب اتباعهم للهوى، واستجابتهم لداعي إبليس.

وهي - بهذا - مقدمة موطئة للموضوع، ذكر بعدها عنوان الكتاب وأبوابه.^(١)

٣- توضيح معاني المصطلحات :

استعمل المصنف - رحمه الله - جملة من المصطلحات في كتابه، فكان من منهجه توضيح معاني تلك المصطلحات، حتى جعل الباب الرابع من الكتاب في بيان معنى التلبس والغرور^(٢). كما عرّف السنة والبدعة في فصل كامل.^(٣)

كما بين الفروق بين بعض المصطلحات التي قد تشبه معانيها على كثير من

(١) انظر القسم المحقق (ص ١٢-١٣).

(٢) انظر القسم المحقق (ص ٢٨١).

(٣) انظر القسم المحقق (ص ١٣٥).

الناس لشيوع تماثلها وعدم الفرق بينها في أذهانهم، والأمر في حقيقته خلاف ذلك. وقد برز ذلك جلياً في حرصه - رحمه الله - على التفرقة بين « الزهد » و«التصوف».^(١)

٤- إرشاد القارئ إلى مواضع بسط بعض المباحث :

ربط المصنف - رحمه الله - بين جزئيات المبحث الواحد من المباحث التي تطرّق إليها، فأحال القارئ على مواضع بسطها ليكتمل تصوره عن المبحث الواحد، وفي ذلك فوائد علمية جليّة. وكانت إحالاته على ضربين :

الضرب الأول : الإحالة داخل كتاب « تلبس إبليس » نفسه، كقوله : (قد بينا أن القوم...)^(٢) ، وقوله : (قد ذكرنا هذا الحديث في الباب الذي قبله)^(٣) ، وقوله : (وسيأتي في غضون هذا الكتاب منها ما يليق بكل موضع)^(٤) ، وقوله : (قد ذكرنا كيف لبس عليهم في عبادة الأصنام)^(٥) ، وقوله : (وقد سبق ذكر شبههم وجوابها)^(٦) ، وقوله : (وقد زدنا هذا شرحاً في الردّ على الفلاسفة)^(٧) ، وقوله : (قد أسلفنا جواب هذا)^(٨) ، وقوله : (كما ذكرنا في حق القراء)^(٩) ،

(١) انظر القسم المحقق (ص ٩٥٣).

(٢) انظر القسم المحقق (ص ١٤٩).

(٣) القسم المحقق (ص ١٥٧).

(٤) القسم المحقق (ص ٢٥٢).

(٥) القسم المحقق (ص ٤٠٢).

(٦) القسم المحقق (ص ٤٦٣).

(٧) القسم المحقق (ص ٤٧٣).

(٨) القسم المحقق (ص ٥٤٢).

(٩) القسم المحقق (ص ٧١٢).

وقوله : (قد سبق ذكر جملة من تلبس إبليس على القراء)^(١)، وقوله : (وقد ذكرنا تلبس إبليس على الزهاد..)^(٢) ، وقوله : (سنذكر منها ما يصلح ذكره..)^(٣) ، وقوله : (وقد روينا في أول كتابنا هذا..)^(٤) ... وغير هذه من الإحالات.

الضرب الثاني : الإحالة على مواضع بسط بعض المباحث في مصنفاته الأخرى

مثل :

- كتاب « منهاج الوصول إلى علم الأصول » : حيث قال : (وقد ذكرنا جمهور كلامهم في كتابنا المسمى « منهاج الوصول إلى علم الأصول »)^(٥).

- كتاب « الموضوعات » : قال : . وقد ذكرتُ منها جملة في كتاب «الموضوعات»^(٦) .

- كتاب « المنتظم » أي التاريخ، قال : (وقد ذكرنا من صفة إقدامهم على القوم في « التاريخ » أحوالا عجيبة، فلم نر التطويل بها ههنا)^(٧) . وقال : (وقد شرحنا أحوال جماعة من الفريقين في « التاريخ » فلم نر التطويل بذلك)^(٨) .

(١) القسم المحقق (ص ٨٢٣) .

(٢) القسم المحقق (ص ٩١٨) .

(٣) القسم المحقق (ص ٩٦٢) .

(٤) القسم المحقق (ص ٩٧٠) .

(٥) القسم المحقق (ص ٥٢٠) .

(٦) القسم المحقق (ص ٦٠٦) .

(٧) القسم المحقق (ص ٦٥٩) .

(٨) القسم المحقق (ص ٦٦٣) .

- كتاب « القصاص والمذكرين »: حيث قال : (وقد ذكرنا آفاتهم في كتاب « القصاص والمذكرين »)^(١) .

٥- الأمانة العلمية في توثيق النقول وعزوها إلى مصادرها :

حرص ابن الجوزي - رحمه الله - على نسبة الأقوال إلى قائلها، أو إلى الكتب التي نقل منها.

وأكتفي هنا بعبارة واحدة تجنباً للتكرار، ودلالة على أمانته العلمية - رحمه الله -، ففي حديثه عن آراء الرافضة الفقهية قال: (ولهم مذاهب في الفقه ابتدعوها تخالف الإجماع، فنقلتُ منها مسائل من خطَّ ابن عقيل، قال : نقلتها من كتاب المرتضى «فيما انفردت به الإمامية»)^(٢) .

٦- الوقوف عند المسائل المهمة مع الاختيار والترجيح :

لم يكن من منهج ابن الجوزي - رحمه الله - سرد الأقوال دون مناقشة أو اختيار أو ترجيح لما يراه صواباً، بل على العكس من ذلك فإنه كان يقف عند المسائل المهمة فيبدي رأيه ويستدرك على ما يراه محتاجاً لذلك^(٣) .

(١) القسم المحقق (ص ٧١٥).

(٢) القسم المحقق (ص ٦٠٧).

(٣) انظر القسم المحقق (ص ٢٥٨، ٢٦٢، ٢٩١، ٥٢٤، ٥٢٦، ٦٧٢، ٧٣١، ٩١٧،

٩٣٧، ١٠١٢).

٧- الاستشهاد بالنصوص :

كثر استشهاد المصنف - رحمه الله - بالنصوص من الكتاب والسنة وآثار الصحابة وأقوال السلف رحمة الله عليهم، حيث زاد عدد الأحاديث والآثار - المسندة وغيرها - في القسم المحقق وحده عن خمسمائة حديث وأثر.

٨- الشمول والاستيعاب :

جاء كتاب « تلبس إبليس » شاملاً ومستوعباً لأغلب المخالفات الظاهرة والسائدة في الأمم والجماعات الخارجة عن الإسلام، أو المنتمية إليه. وكذلك الطوائف الإسلامية وما ظهر فيها من انحراف سؤلّه إبليس للجميع سواء من الناحية العقديّة والعلمية، أو من الناحية العملية.

فالكتاب جاء مستوعباً لأغلب صور التلبس التي من أجلها أُلّف الكتاب.

٩- طول النفس والصبر :

سار المصنف - رحمه الله - من أول كتابه إلى نهايته على منوال واحد من طول النفس والمداومة على عرض الآراء المخالفة للحق التي لبس بها إبليس على الخلق؛ فلم يتعجل - رحمه الله - في ذلك، اللهم إلا إذا رأى أنه قد بسط مبحثاً معيناً في مصنف آخر له، فإنه يحيل عليه تجنباً للإطالة والتكرار.

١٠- الرد على الفرق المنحرفة :

لم يكتف المصنف - رحمه الله - بنقل أقوال الفرق وآرائها المنحرفة، كما هو الحال في كثير من كتب الفرق والمقالات، بل نجده يرد على أقوالهم، وينقض آراءهم بالكتاب والسنة والحجج العقلية، والفطرة السليمة.

١١- الاختصار :

نصّ المصنف - رحمه الله - على أنه يسلك في هذا الكتاب مسلك الاختصار، فقال في آخر الكتاب : (وينبغي أن تكفّ عنان القلم اقتصاراً على هذه النبذة، فإن هذا الأمر يطول. ولو بسطنا النبذ المذكورة في هذا الكتاب ، أو شيدنا ردّنا على من ردّدنا عليه بالأحاديث والآثار لاجتمعت مجلدات).^(١)

١٢- طريقته في إيراد النصوص :

تنوّعت طريقة المصنف - رحمه الله - في إيراد النصوص على عدة أوجه، وبما أن الكتاب غلب عليه إيراد النصوص المسندة، فإن المصنف سلك فيه مسلك المحدثين في إيراد النصوص بأسانيده المستقلة إلى صاحب القول، سواء كان ذلك النص حديثاً مرفوعاً، أو أثراً عن صحابي أو من دونه من الأئمة والعلماء وغيرهم، وباعتبار أن أسانيده إلى كتب في الغالب^(٢)، فإنه التزم الألفاظ المروية في تلك الكتب في أكثر نقله^(٣)، لكنه قد ينقل بالمعنى خاصة في الأحاديث والآثار التي يذكرها من غير سند^(٤).

وأما النصوص الأخرى غير المسندة، فهو تارة يكشف عن اسم المؤلف والكتاب^(٥)، وتارة أخرى يقتصر على اسم المصنّف فقط^(٦)، وقد يقتصر على اسم

(١) تلبس إبليس (ط. المنيرة) (ص ٤٠٣-٤٠٤).

(٢) كمسند الإمام أحمد، وتاريخ بغداد للخطيب، والحلية لأبي نعيم.

(٣) انظر مثلاً : (رقم ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣...) وغيرها.

(٤) انظر مثلاً : (ص ٨٦١، ٨٦٢، ١٢٥٠، ١٢٨٧، ١٢٩٣).

(٥) انظر مثلاً : (ص ٢٨٨، ٢٩٥، ٤٨٩، ٩٢١، ٩٤٩، ٩٧٢، ١٠٣٦).

(٦) انظر مثلاً : (ص ٢٥٨، ٤٠٢، ٦٣٩، ١٠٠٣، ١٠٨٩، ١١٠٧).

١٣- الصناعة الحديثية في الكتاب :

— لم يشترط المؤلف - رحمه الله - الصحة فيما يورده من أحاديث وآثار، بل يورد الصحيح وغيره، لكن الغالب على أحاديث الكتاب الصحة أو الحسن، فالكثير منها في الصحيحين^(٢)، أو أحدهما^(٣)، أو في بعض الكتب الستة^(٤)، أو مسند الإمام أحمد^(٥)، ولم يلتزم ذكر درجة الحديث أو الأثر اعتماداً منه على الإسناد، إذ من أسند فقد أحالك.

— قد يتكلم المؤلف على بعض الأحاديث تصحيحاً وتضعيفاً^(٦)، خاصة عند رده على بعض ادعاءات الصوفية.

— يشير أحياناً بعد روايته للحديث بإسناده إلى من خرجه من الأئمة المشهورين، كأن يقول : أخرجاه في الصحيحين^(٧)، أو انفراداً بإخراجه البخاري^(٨)،

(١) انظر مثلاً : (ص ٢٧٦ ، ٢٩٠ ، ٣١٣ ، ٣٩٥ ، ١٠٩٧).

(٢) انظر مثلاً : (رقم ٣٠ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٦٠ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ١٢٢ ، ١٥٥ ، ٢١٨).

(٣) انظر مثلاً : (رقم ٣٢ ، ٣٣ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٩٠ ، ٢١٧).

(٤) انظر مثلاً : (٢ ، ٣ ، ٦ ، ١١ ، ٣٤ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٩٦ ، ١٢٠ ، ١٥٠ ، ٢١٩).

(٥) انظر مثلاً : (رقم ٨ ، ٩ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٦٠ ، ٦٧ ، ٩٠ ، ١١٤ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ،

١٤٠ ، ١٦٠ ، ١٧٢ ، ٢١٩ ، ٢٣٣ ، ٣١١) وغيرها.

(٦) انظر مثلاً : (ص ١٠٧٥ ، ١٠٨١ ، ١١٦٥ ، ١٢٩٧ ، ١٣١٩).

(٧) انظر مثلاً : (ص ٢٧٥ ، ٨١٥ ، ٨٣٤).

(٨) انظر مثلاً : (رقم ٣٣).

أو انفرد بإخراجه مسلم^(١)، ويذكر أحياناً من خرّج الحديث من غير روايته له بسنده، كأن يقول: وفي الصحيحين من حديث فلان^(٢)، أو في أفراد البخاري من حديث فلان^(٣)، أو في أفراد مسلم من حديث فلان^(٤)، أو روى أبو داود من حديث فلان^(٥)، وهكذا.

— استدلاله بالأحاديث الضعيفة أحياناً^(٦).

— كلامه في الرواة أحياناً جرحاً أو تعديلاً مع نقل كلام أهل العلم فيهم^(٧).

— وقوعه في الوهم في الإحالة أحياناً، كأن يعزو الحديث إلى البخاري -مثلاً- وليس عنده باللفظ المذكور^(٨)، أو يعزوه إلى الصحيحين معاً وليس عند أحدهما^(٩).

(١) انظر مثلاً: (رقم ٩٢).

(٢) انظر مثلاً: (ص ٩٠٠).

(٣) انظر مثلاً: (ص ٨٣١).

(٤) انظر مثلاً: (ص ٨٠٣).

(٥) انظر مثلاً: (ص ٤٠، ١٠٩٣).

(٦) انظر مثلاً: (ص ١٠١٣).

(٧) انظر مثلاً: (ص ١٠٧٥، ١٠٧٧، ١٢٩٧).

(٨) انظر مثلاً: (رقم ٣٣، ٩٧).

(٩) انظر مثلاً: (رقم ٩٧).

المبحث الثالث

قيمة الكتاب العلمية

من الكتب التي صنّفها ابن الجوزي -رحمه الله- وانتفع بها خلق لا يحصون من الناس، كتاب « تلبس إبليس ». وهذا راجع لما للكتاب من قيمة علمية، الأمر الذي سأحاول في هذا المبحث أن أحلي بعض عناصره، ثم أختمه بالحديث عن بعض السليبيات في الكتاب لا تنقص من قيمته العلمية، بل تؤكد حقيقة أن الكمال لله وحده، وأن النقص من سمات البشر التي لا تفتأ تنفك عنهم.

فمما يبرز قيمة هذا الكتاب العلمية العناصر التالية :

- ١- مؤلف الكتاب علم مشهور من علماء المسلمين، ذو اطلاع واسع على كثير من العلوم.
 - ٢- اهتمام المصنّف -رحمه الله- برواية أغلب أحاديث الكتاب وآثاره بأسانيده الخاصة.
 - ٣- موضوع الكتاب من الموضوعات التي لم تُتناول بالتفصيل الذي تناوله به المصنّف -رحمه الله-، حيث إنه أتى على أغلب صور التلبس التي يكدب بها إبليس بني آدم، حتى أضلّهم عن سواء السبيل، وصدق فيهم قول الله تعالى : ﴿ ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين ﴾ [سبأ : ٢٠] .
 - ٤- في كتاب التلبس هتِكٌ للنحل الخارجة عن الإسلام، والفرق المنتسبة إليه وليست منه، والفرق المبتدعة وردّ عليها.
- وقد أطل المؤلف النفس في الرد على الصوفية.

لذلك فإن أهمية كتاب « تلبس إبليس » تكمن في كونه من أقدم وأقوى المصادر التي أفردت للتصدي للتيار الصوفي، ونقد رجالاته وكتبه ومناهجه، وهو في قوته وحظوة رجاله في عصر ابن الجوزي - رحمه الله -.

٥- كثرة المصادر التي رجع إليها المصنف - رحمه الله - وأصالتها، خاصة إذا عرفنا أن بعضها مفقود، ككتاب « المقتبس » لأبي يعلى، وكتاب « المقالات » للبلخي، و« الآراء والديانات » للنوبختي، وكتاب « أخبار الحلاج » لابن باكويه، وكتاب « سنن الصوفية » لأبي عبد الرحمن السلمي؛ ولا يخفى ما للتنصيص على هذه المصادر من فوائد علمية - خاصة وقد فقدت الآن - منها : حفظ بعض نصوص تلك الكتب، ومنها: توثيق نسبة تلك الكتب إلى مؤلفيها.

٦- كون كتاب « التلبس » من موارد بعض الأئمة والعلماء، وكونه موضوعاً من أعمال بعض العلماء.

وبالنظر إلى اهتمام العلماء بهذا الكتاب، يمكننا تصنيف هذا الاهتمام إلى ثلاثة أقسام :

من اقتبس من الكتاب ونص على ذلك:

- ١- الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله - في كتابه « إغاثة اللهفان »^(١) وكتاب « مسألة في السماع »^(٢).
- ٢- الإمام ابن رجب الحنبلي - رحمه الله - في كتابه « ذيل طبقات الحنابلة »^(٣).

(١) انظر : إغاثة اللهفان (تحقيق عفيفي) (١/٢١٠-٢١١، ٢٥٢) .

(٢) مسألة في السماع لابن القيم (ص ١٤٣) .

(٣) انظر : ذيل طبقات الحنابلة (١/٤٣٣) .

٣- الإمام ابن الوزير اليماني - رحمه الله - في كتابه « العواصم والقواصم »^(١).

٤- جلال الدين السيوطي - رحمه الله - في كتابه « صون المنطق »^(٢).

٥- الشيخ الألوسي - رحمه الله - في كتابه « جلاء العينين في محاكمة الأحمدين »^(٣).

٦- الشيخ ابن بدران الحنبلي - رحمه الله - في كتابه « المدخل إلى مذهب الإمام أحمد »^(٤).

ومما قاله الشيخ ابن بدران في كتابه : (وأما مناهضة أهل البدع، فأجمع كتاب رأيت لأصحابنا كتاب « تليس إبليس » للحافظ ابن الجوزي... وهو كتاب مجلد نافع جداً، لا يستغني عنه طالب الحق)^(٥).

من اقتبس من الكتاب دون تنقيص، ومنهم :

١- الحافظ ضياء الدين المقدسي - رحمه الله - في كتابه « اتباع السنن واجتناب البدع »^(٦).

— جلال الدين السيوطي - رحمه الله - في كتابه « الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع »^(٧).

(١) انظر : العواصم من القواصم (٣/٣٢٤).

(٢) انظر : صون المنطق (ص ١٨٣).

(٣) انظر : جلاء العينين (ص ٣٥٩).

(٤) انظر : المدخل إلى مذهب الإمام أحمد (ص ٤٥٨-٤٥٩).

(٥) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد لابن بدران (ص ٤٥٨-٤٥٩).

(٦) انظر الصفحات : ٥٩، ٦٠، ٦١... وغيرها.

(٧) انظر الصفحات : ٩٥، ٩٦، ٩٧...

من اختصر الكتاب وهذبه :

- الحافظ ابن حجر - رحمه الله-، له كتاب « مختصر تلبس إبليس »^(١).

٧- ومما يبرز القيمة العلمية لكتاب « تلبس إبليس » كونه أثار حفيظة أتباع مذهب التصوف، بما فضح من خبايا ذلك المذهب، من عقائد فاسدة، وسلوكيات منحرفة، وبدع في العبادات ما أنزل الله بها من سلطان.

فكان أن انبرى للرد على هذا الكتاب بعض المؤلفين المتصوفة، ومنهم :

- عز الدين بن عبد السلام بن أحمد المقدسي (٦٧٨هـ)، حيث أُلّف ردًّا سمّاه : « تفليس إبليس ». ومما قال فيه : (فإني لما اطلعتُ على كتاب « تلبس إبليس » رأيتُه بئس الجليس، قائد يشتمل على تنقيص أولياء الله والقدح في علو مراتبهم...)^(٢).

- عبد الله بن أسعد اليافعي، انتقد كتاب « التلبس » في كتابه « نشر

الحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية »^(٣).

- عبد الرحمن الثعالبي (٨٧٥هـ) فقد شكك في كتابه « رياض الصالحين

وتحفة المتقين » في نسبة كتاب « التلبس » لابن الجوزي، ثم قام بالرد على ما ورد فيه من نقد للصوفية وعلمائهم^(٤).

(١) انظر نظم العقيان للسيوطي (ص ٤٩) ، و « ابن حجر ودراسة مصنفاته » للدكتور

شاكر عبد المنعم (ص ٦٦٦) .

ويبدو أن هذا المختصر مفقود، فقد بحثُ عنه ولم أجده.

(٢) تفليس إبليس (تحقيق سليم الهلالي) (ص ٢٨) .

(٣) انظر (ص ٣٨-٤٠) من الكتاب المذكور.

(٤) انظر : مقدمة مشيخة ابن الجوزي (تحقيق محمد محفوظ) (ص ٣١-٣٢) .

- عبد الوهاب الشعراني (٩٧٣هـ) له كتاب سماه « اعتراضات ابن الجوزي على حجة الإسلام الغزالي » قال في أوله : (فهذه كلمات اعترضها ابن الجوزي على الغزالي وغيره من الصوفية في كتابه « تلبس إبليس »)^(١) .

الْمَأْخُذُ عَلَى الْكِتَابِ :

رغم ما لكتاب « تلبس إبليس » من مزايا، فإنه لم يخلُ - مع ذلك - من مأخذ ونقائص.

من ذلك :

- وقوع مؤلفه في أخطاء عقديّة، حيث خالف في تقريرها منهج السلف، وقد علّقتُ على ذلك في مواضعه من التحقيق. وهذا مأخذ كبير على المؤلف والكتاب.

- شدة المصنف على أهل العلم من مختلف الفنون، وبخاصة أهل الحديث منهم، وأهل الفقه.

- عدم تحقيقه لبعض ما ينقل عن المصادر، ويبرز ذلك في سرده للفرق الثنتين والسبعين، حيث لم يدقق في الآراء التي نسبها لكل فرقة، وهو في ذلك مقلد

(١) انظر : نوادر المخطوطات العربية في تركيا، رمضان ششن (٥٦/١). وذكر أن كتاب الشعراني هذا يوجد نسخة منه في مكتبة ولي الدين أفندي برقم (١٦٨٤)، تقع في ثماني ورقات، كتبت سنة ١٠٨٩هـ.

للمصدر الذي نقل منه ، وهو - كما أُشِرْتُ في القسم المحقق - كتاب البلخي في الفرق.

وعلى كل حال، فهذه المآخذ لا تنقص من قيمة الكتاب العلمية، فالكتاب - كما قال ابن بدران - نافع، ولا يستغني عنه طالب الحق..

المبحث الرابع

وصف النسخ الخطية

وفيه مطالبان .

ما إن عزمتُ على خدمة كتاب «تلبيس إبليس» ليكون موضوعاً لأطروحتي للدكتوراه، حتى بدأتُ أبحث عن نسخ الكتاب الخطية، وذلك بتقليب الفهارس والمعاجم التي اهتمت بفهرسة الكتب العربية المخطوطة في مكتبات العالم، ومنها الفهارس الموجودة في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود، وجامعة الملك سعود، ومركز الملك فيصل للبحوث، والجامعة الإسلامية بالمدينة، وجامعة أم القرى بمكة، ومكتبة الملك عبدالعزيز بالرياض، ومكتبة الملك فهد بالرياض، ومكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة، واستعنتُ ببعض الأصدقاء من طلبة العلم بكل من المغرب والهند وتركيا، وسافرت من أجل ذلك إلى سوريا، ومصر، والإمارات العربية المتحدة، والكويت.

وبعد البحث والتنقيب، حصلت على أكثر من ست وعشرين نسخة لكتاب «تلبيس إبليس». اخترتُ منها أربع نسخ لتكون هي المعتمدة في التحقيق، وباقى النسخ سيأتي ذكرها بعد الانتهاء من وصف النسخ المعتمدة.

المطلب الأول : النسخ المعتمدة في التحقيق :

١ — نسخة الخزانة العامة بالرباط التابعة لوزارة الأوقاف، وإليها الإشارة بـ (الأصل).

وهي مصورة عن نسخة خطية موجودة بالخزانة العامة بالرباط التابعة لوزارة الأوقاف بالمملكة المغربية، وهي نسخة كاملة ختمت بخاتم الخزانة، وفي وسط الخاتم كتب رقم النسخة وهو (٢٣٢)، وفي أول النسخة وآخرها ختم آخر باسم (مكتبة الزاوية الناصرية — تمكروت) بجانب الختم الأول وبداخله رقم (٨٧٠)،

ولعلّ مخطوطات هذه الأخيرة نقلت إلى مكتبة جامع القرويين^(١)، كما نقلت مخطوطات كثيرة من جامع القرويين بفاس إلى الخزانة العامة بالرباط. وفي أول سطر من ظهر الغلاف اسم مالك النسخة وهو «أحمد بن محمد بن ناصر»^(٢).

كما أن هذه النسخة عليها تملكات أخرى على ظهر الغلاف، الأول باسم «أحمد بنجل ناصر الودعي» والثاني باسم «الشيخ أبو العباس أحمد بنجل ناصر النيراسي»، ولعلّ ملك هذه النسخة انتقل من المالك الأصلي وهو «أحمد بن محمد بن ناصر» إلى هؤلاء.

وعلى ظهر الغلاف أيضاً كتبت ترجمة مختصرة لابن الجوزي منقولة من البداية والنهاية لابن كثير كما نصّ كاتبها، واسم «محمد بن موسى بن محمد بن ناصر»

تاريخ نسخها واسم الناسخ:

جاء في آخر النسخة ما نصّه: «وكان الفراغ من نسخه في أول يوم من شهر ذي الحجة سنة ثلاث عشرة وستمائة على يد العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن

(١) انظر: قائمة لنوادير المخطوطات العربية المعروضة في مكتبة جامع القرويين بفاس (رقم ١٢٣).

(٢) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر، المتوفى سنة ١١٢٩هـ، صاحب الزاوية الناصرية ومكبتها، التي تولى رئاستها بعد أبيه (أبي عبد الله محمد بن ناصر) وكان من علماء عصره البارزين.

انظر: دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت، للأستاذ محمد المنوني (ص ٢٣، ٢٩).

سعيد بن أحمد النَّاسِخ». أي بعد وفات المؤلف بست عشرة سنة.

عدد أوراقها ومسطرتها:

وعدد أوراقها (٢٢٨ ورقة) كما جاء مكتوباً على ظهر الورقة الأولى من صورة الميكروفيلم، في كل ورقة صفحتان، ومقياس الصفحة كما يبدو من القياس (السانتيمترى) الموضوع على وجه الغلاف (١٣×٢١).

عدد الأسطر في كل صفحة (٢٣) سطراً، وقد تنقص أو تزيد قليلاً إذا تخللتها عناوين الفصول والأبواب.

وعدد الكلمات في كل سطر لا تزيد على (١٥) كلمة غالباً.

بيان موضع القسم الخقق:

يقع الجزء الذي قمت بتحقيقه من أول المخطوط إلى نهاية فصل «الصوفية والحواع» من باب «تلبس إبليس على الصوفية من جملة الزهاد».

وعدد أوراقه (١٢٥ ورقة)، ويمثل هذا العدد نصف الكتاب تقريباً.

نوع الخط:

كتبت هذه النسخة بخط مغربي جميل ومقرؤ بوضوح، تكتب فيه الفاء مثلاً بنقطة واحدة من الأسفل، والقاف بنقطة واحدة من الأعلى، ولم تضبط الأحرف فيها بالشكل، كما يظهر من خلال تصفح النسخة أن ناسخها متقن متحرز عن تشويه الكتاب.

كما ميزت عناوين الأبواب والفصول بخط كبير واضح.

وقد اعتنى الناسخ بكتابة الكلمة الأولى من وجه الصفحة الثانية بأخر الصفحة الأولى تنبيهاً على التصفيح. وهذا واضح في كل ورقة.

ملحوظات عامة على نسخة الأصل:

- ١— يوجد في نسخة الأصل سقطٌ مقداره صفحة ويقع في وسط الورقة (أ٢)، علماً بأن هذا السقط وقع في الورقة التي كتبت بخط آخر مغاير للخط المغربي.
- ٢— جاءت بعض الأوراق في نسخة الأصل بخط مغاير للخط المغربي الذي كتبت به النسخة وهي (ق ١، ق ٢، ق ٣، ق ٨٧، ق ٨٨، ق ١٢١، ق ١٢٢ أ).
- ويظهر أن هذه النسخة قد أثرت الرطوبة على بعض أوراقها من الأسفل، فقام بعض النساخ بكتابة تلك المواطن بخط مغاير^(١).
- ٣— هذه النسخة مقابلة على نسخة أخرى، يدلّ على ذلك وجود دوائر في آخر السطر أو الفقرات ووسطها وبداخلها نقطة هكذا ()، وهي علامة على المقابلة.
- ٤— تكرار انتقال بصر ناسخ الأصل^(٢).
- ٥— عدم التنبيه على الضرب أحياناً^(٣)، مع الإشارة إلى أن طريقة كاتب النسخة في الضرب نظيفة، لم تتشوه النسخة بها.
- ٦— يوجد بهذه النسخة إشارات لحق، غير أن بعضها لا يظهر لوجود بعض التآكل في النسخة، كما يوجد بها إلحاقات أخرى بخط مغاير.
- ٧— ابتداءً من (ق ١٠٢) كتبت عناوين صغيرة في الهوامش.

(١) انظر مثلاً: (ق ٤، ق ٥، ق ٦، ق ٧٧، ق ٧٩، ق ٨٠).

(٢) انظر مثلاً: (ق ٨٠، ق ١١٩، ق ١٢٢ ب).

(٣) انظر مثلاً (ق ٤٦ أ، ق ٥١، ق ٦٠ أ).

٨— وقعت في هذه النسخة بعض التحريفات والتصحيفات في الألفاظ وأسماء الرواة، وقد بذلت جهدي لتصحيحها إما من النسخ الأخرى حيث تأتي سليمة من ذلك، أو من كتب التراجم والرواة، وغيرها.

٩— جاءت الأوراق الأولى (من ق ١ - ق ٧) من المخطوط غير مرتبة، فقامت بترتيبها وترقيمها وفق الترتيب الجديد الذي هي عليه الآن.

أسباب اختيار هذه النسخة أصلاً:

اتخذت هذه النسخة أصلاً مقدماً على غيرها من النسخ الأخرى للأسباب التالية:

١— أنها أقدم النسخ من حيث التاريخ، فهي نسخة عتيقة جداً، كتبت سنة (٦١٣ هـ) كما ذكر ذلك ناسخها في آخر المخطوط، أي بعد وفاة ابن الجوزي — رحمه الله — بـ (١٦ سنة).

٢— أنها أكمل النسخ، خاصة وأنها قد انفردت بجملة من الأسانيد ليست في بقية النسخ، فالنسخة الأحمدية مثلاً (أ) جاءت أوراقها الأولى مأكولة الجوانب، واضطربت كثيراً في باب الأصنام تقديمًا وتأخيراً كما سيأتي في وصفها، أما النسخة التركية (ت) فقد اختصرت منها جملة من الأسانيد، والنسخة التركية الثانية (ك) لا يوجد منها إلا الجزء الثاني.

هذان هما السببان القويان لاتخاذها أصلاً، ومقابلة الباقية عليها.

٣— نسخة المكتبة الأحمدية بحلب وإليها الإشارة بـ (أ).

وهي مصورة عن نسخة خطية موجودة بالمكتبة الأحمدية بمدينة حلب، وقد صورتها من مكتبة الأسد بدمشق، حيث نقلت أغلب مخطوطات المكتبات العامة

بسورية إليها، كالمكتبة الأحمدية والظاهرية وغيرهما.

وهي نسخة كاملة تقع في (٢٤٦ ورقة) تحت رقم (١٤١١٧)، وتتكون من جزئين:

الجزء الأول: من أول الكتاب إلى نهاية فصل «الصوفية والجوع»، وينتهي عند الورقة (ق ١١٩)، ويمثل هذا الجزء القسم الذي أقوم بتحقيقه.

الجزء الثاني: يبدأ من قول المؤلف: «ذكر تلبس إبليس على الصوفية في السماع والرقص والوجد» عند الورقة (ق ١٢٠) إلى نهاية الكتاب.

وقد كُتب على ورقة الغلاف اسم الكتاب، وهو «تلبس إبليس»، وعلى الورقة نفسها ختم دائري كُتب في وسطه: (من الكتب التي أوقفها السيد أحمد أفندي ظهر زاده على مدرسة الأحمدية ... سنة ١١٣٥). كما كُتب على الورقة الأولى من المخطوط (وقف المدرسة الأحمدية بمدينة حلب المحمية).

كما يوجد في آخر ورقة من المخطوط أسماء من نظر في هذا الكتاب وطالعه، مما يدل على أن هذه النسخة تعاقب على قرائتها والنظر فيها أكثر من واحد، ودونك أسماء هؤلاء متسلسلة:

الأول: حسن بن علي بن موسى بن شريك.

الثاني: أحمد بن الحاج عمر بن المرحوم الحاج موسى النجار.

الثالث: الحاج عبد الله.

تاريخ نسخها واسم ناسخها:

جاء في آخر النسخة ما نصّه: «وكان الفراغ من هذه النسخة المباركة - نفع الله تعالى بها مالکها ومن كتبها وقابلها ونظر فيها وغفر لهم ولسائر المسلمين آمين

يا رب العالمين - في بكرة نهار الأحد ثاني عشرين شهر ربيع الأول المشرف من شهور سنة، تسع وتسعين وسبعمائة...».

فتاريخ نسخها إذاً هو سنة (٧٩٩ هـ).

مسطرتها:

مقاس الصفحة فيها (٢٣ × ١٤ سم).

وعدد الأسطر في كل صفحة (٢٥ سطرًا).

وعدد الكلمات في السطر لا تزيد على (١٢ كلمة) غالباً.

نوع الخط:

كتبت بخط نسخي واضح ومقرؤ، وجاءت هذه النسخة غفلاً من التشكيل كسابقتها، كما أهمل ناسخها التنقيط في بعض الكلمات غير أن أغلب الحروف في النسخة منقوطة.

ويضع الناسخ أحياناً فوق الكلمات غير المقروءة حرف «ط».

اللقح:

وهو قليل في هذه النسخة، ويكتب بعد الانتهاء منه رمز «صح» في الغالب.

البياض:

وقع في هذه النسخة بياض في أسفلها من جانبي المخطوط في الأوراق الأولى منه، وعددها (١١ ورقة)، والظاهر أنه من عمل الأرضة أو الرطوبة التي أتت على جوانبه.

التصفيح والتعقيب:

لا تختلف النسخة الأحمدية عن الأصل في هذا الجانب، حيث يكتب فيها الكلمة الأولى من الوجه الثاني في آخر الوجه الأول دلالة على تعقيب الصفحات.
المقابلات:

يوجد بهذه النسخة دوائر منقوطة في وسطها نقطة هكذا (). مما يدل على أنها مقابلة مع نسخة أخرى.

بعض الملحوظات على هذه النسخة:

١- الاضطراب الشديد في باب الأصنام من هذه النسخة، حيث وقع فيه تقديم وتأخير^(١).

٢- وقع اضطراب أيضاً في اسم شيخ ابن الجوزي، وهو حمد بن أحمد الحداد راوي الحلية عن أبي نعيم، فمرة يكتبه حمد بن أحمد، ومرة أحمد بن أحمد.

٣- نسخة مكتبة متحف طوبقي التامة، وإليها الإشارة بـ (ت).

وهي مصورة عن نسخة خطية موجودة بمكتبة متحف طوبقي باستانبول (تركيا) تحت رقم (٥٠٦٧)، وتقع في مجلد واحد عدد أوراقه (١٨٢ ورقة) وهي نسخة كاملة، وينتهي الجزء الذي أحققه عند الورقة (ق ١٠٢).

وأصل هذه النسخة فيما يظهر من المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة بدليل وجود ختم المكتبة على غلاف المخطوط وبداخله، وقد كتب في وسطه: «وقف كتبخانه

(١) انظر (ق ٣٠، ٣١، ٣٢).

مدرسة المحمودية في المدينة المنورة» كما يوجد على غلاف المخطوط أيضاً ختم آخر كتب في وسطه «وقف محمد أمين أفندي ابن شيخ الإسلام وليّ الدين أفندي ابن الحاج مصطفى آغا الحاج حسين آغا»، وهو اسم المكتبة التي انتقلت إليها هذه النسخة، ثم ألحقت هذه المكتبة — كغيرها — بمتحف طوبقبي.

وفي أعلى غلاف المخطوط يوجد بعض التملكات:

الأول على يمين الورقة ونصّه: «من كتب أبي بكر رستم الشرواني».

والثاني في وسط الورقة ونصّه: «في كتب المدين ولي الدين عفي عنه».

والثالث على يسار الورقة ونصّه: «ابن محمد الحنبلي».

تاريخ نسخها واسم ناسخها ومكان النسخ:

جاء في آخر النسخة ما نصّه: «وافق الفراغ من تعليقه يوم الأربعاء ثامن عشر ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين وسبعمئة هجرية على يد العبد الفقير إلى الله تعالى المستغفر من ذنبه الراجي رحمة ربه يوسف بن حسين بن أبي القاسم الفراهاني غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات بمدينة السلام بغداد حماها الله تعالى...».

فتاريخ نسخها إذاً هو سنة (٧٢٨ هـ)، وهي أقدم من الأحمديّة السابقة الذكر، غير أنني أخرتها عنها لاختصار ناسخها لجملة من أسانيد الأحاديث والآثار.

ومسطرة هذه النسخة (١٨ × ١٢).

وعدد الأسطر في كل صفحة (٢٣ سطرًا).

وعدد الكلمات لا تزيد على (١٢ كلمة) غالباً.

وكتبت هذه النسخة بخط واضح ومقروء، واعتنى ناسخها بالشكل في كثير من الكلمات بخلاف النسخ الأخرى، ويكتب أحياناً (بلغ مقابلة) كما في (ق ١١٢).

بعض الملحوظات على هذه النسخة:

١- اختصار ناسخها لجملة من أسانيد الكتاب.

٢- فيها سقط قدره (٦) ورقات، وهي: (١٠ب، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦). وقد يكون هذا السقط أيضاً بقدر سطر كما في الورقة (٢٨ ب) مثلاً.

وقد يشير الناسخ إلى السقط أحياناً كما في (ق ١١٢).

٣- انفردت هذه النسخة بزيادات كالدعاء في آخر الكلام والتعوذ ونحوهما، كما يزيد صاحبها كلمات على الهامش من باب التوضيح، كالإشارة إلى باب جديد أو شرح غريب ونحوه. ويظهر أن صاحبها له علم وعناية بالكتب.

٤- قدم فصل "التلبيس على الدهرية" على فصل "التلبيس على السوفسطائية" كما في الورقة (١٥ أ).

٤- نسخة مكتبة متحف طوبقي الناقصة، وإليها الإشارة بـ (ك):

وهي مصورة عن نسخة موجودة بمكتبة متحف طوبقي، وهذه النسخة ناقصة، يوجد منها الجزء الثاني فقط، وعدد أوراقه (١٤٢ ورقة)، ويبدأ من قول المُصنّف: «ومن تلبيس إبليس على أصحاب الحديث...» وينتهي عند فصل «الصوفية والجوع» (نهاية القسم المطلوب تحقيقه)، ورقمها بمكتبة طوبقي (٥٠٦٨).

ولا يوجد على هذه النسخة سماعات أو تملكات، ولم يكتب فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، وسبب ذلك أنها جزء من المخطوط.

وكتبت هذه النسخة بخط جيد ومقروء، وهي نسخة نظيفة، خالية من الضرب والكشط والمحو، ولا يوجد بها بياض.

ومسطرتها هي (١٥ × ١٠).

وعدد الأسطر في كل صفحة (١٥ سطرًا).

وعدد الكلمات في كل سطر (٨ كلمات) غالباً.

ويوجد بها دوائر منقوطة في وسطها هكذا () مما يدل على أنها مقابلة مع نسخة أخرى.

ولا يوجد بها تصفيح كما هو في بقية النسخ، كما لا يوجد بها لحن إلا في مواضع نادرة جداً، لكن اعتنى صاحبها بالشكل أكثر من بقية النسخ الأخرى.

وأما بالنسبة للسقط في هذه النسخة فهو قليل، ففي الورقة (١١٩ أ) سقط بقدر (٥) صفحات من المطبوع، وفي الورقة (١٤١ أ) سقط بقدر (٥) صفحات من المطبوع.

المطلب الثاني: النسخ الأخرى :

أ- النسخ المسندة (كلياً أو جزئياً) :

١- نسخة من مكتبة محمد عبد الحي الكتّاني بفاس (مصورة من معهد المخطوطات بالقاهرة)، وهي نسخة مسندة، لكنها ناقصة، سقط منها (٢١)

صفحة من البداية، وأكثر من (٤٠) صفحة في النهاية مقارنةً بالطبعة المنيرية، كما سقط منها بعض الصفحات في الداخل، ولا يوجد عليها تاريخ نسخها.

كما أن فيها بعض الصفحات غير مقروءة بسبب ما أصابها من رطوبة.

٢- نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق، تقع في (١٤٧) ورقة، بعضها مسند. وهي برقم (٧٠٣٠).

٣- نسخة مكتبة خُدا بخش (بتنا) بالهند، تقع في (١٥١) ورقة، بعضها مسند. وهي برقم (١١٥٠).

٤- نسخة مكتبة (بوهار) بالهند، تقع في (٤٦٨) صفحة، نُسخَت عام ١٢٩٤هـ، بعضها مسند.

٥- نسخة المكتبة المحمودية، وهي بمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة، تقع في (٢٢٥) ورقة، مقدار نصف الكتاب تقريباً، بعضها مسند، نُسخَت بخط متأخر، وهي برقم (١٣٦) تصوف، (١٧٠٢) عام.

ب - نسخ مختصرة محذوفة الأسانيد :

٦- نسخة المكتبة الأصفية، تقع في (٣٧٥) صفحة، نسخت سنة ٩٩٤هـ، وهي برقم (٢٩٩٤).

٧- نسخة أخرى من المكتبة الأصفية، تقع في (٢٨٩) صفحة، نسخت سنة ٧٣٤هـ، وهي برقم (١٦٦٨١).

— دار الكتب المصرية وفيها سبع نسخ :

٨- النسخة الأولى : تقع في (٧٧) ورقة، نسخت عام ٨٧٣هـ، وهي برقم

(٣٢٥١/تصوف).

٩- النسخة الثانية : تقع في (٩١) ورقة، نسخت عام ١١١٤هـ، وهي برقم (١٣٩٦/تصوف).

١٠- النسخة الثالثة : تقع في (١٤٨) ورقة، وهي برقم (٤٠٦/مباحث إسلامية، طلعت).

١١- النسخة الرابعة : تقع في (١٣٩) ورقة، نسخت عام ١١٢١هـ، وهي برقم (تصوف تيمور).

١٢- النسخة الخامسة : تقع في (١٤١) ورقة، نسخت عام ١١٧٤هـ، وهي برقم (٤١٤٢/تصوف).

١٣- النسخة السادسة : تقع (٤١١) صفحة، وهي برقم (١٦٢/تصوف تيمور).

١٤- النسخة السابعة : تقع في (١٦٤) ورقة، وهي برقم (٣٥٧/مباحث إسلامية طلعت).

١٥- نسخة بلدية الإسكندرية، برقم (٣٦٠٤٠/ج)، وهي بعنوان (كشف ناموس تلبیس إبلیس).

١٦- نسخة جامعة الإسكندرية : تقع في (١٤٨) ورقة، نسخت عام ١١٢٥هـ، وهي برقم (١١٦/جعفر ولي).

١٧- نسخة مؤسسة الملك فيصل بالرياض : تقع في (٨٦) ورقة، نسخت عام ١١١٤هـ، وهي برقم (١٠٨/٢ف).

- ١٨- نسخة محمد عبد الحي الكتاني بفاس في الخزانة العامة بالرباط، تقع في (١٥٠) ورقة، نسخت عام ١١١٣هـ، وهي برقم (٤٩٨٣ك).
 ١٩- نسخة آيا صوفيا بتركيا (هي الآن ضمن مكتبة السليمانية)، تقع في (١٨٩) ورقة، وهي برقم (١٧٣٩).
 ٢٠- نسخة مكتبة أسعد أفندي بإستانبول (هي الآن ضمن مكتبة السليمانية)، تقع في (١٩٠) ورقة، برقم (١٦٤١)، وهي بعنوان (كشف ناموس)، ونسخت عام ١٠٨٣هـ.
 ٢١- نسخة مكتبة شهيد علي بتركيا (هي الآن ضمن مكتبة السليمانية)، نسخت عام ١١١٥هـ، وهي برقم (١٤٧٤).
 ٢٢- نسخة رئيس الكتاب بتركيا (هي الآن ضمن مكتبة السليمانية)، تقع في (٨٨) ورقة، نسخت عام ١١١٢هـ، وهي برقم (٥٨٦).

طباعات الكتاب :

طُبع كتاب « تليس إبليس » عدة طباعات، وكانت أول طبعة له في الهند سنة ١٣٢٣هـ، وقد طبع آنذاك على الحجر.
 ثم طبع بالمطبعة المنيرية، لصاحبها محمد منير الدمشقي - رحمه الله - سنة ١٣٤٠هـ، وسنة ١٣٤٧هـ. وقد ذكر في تلك الطبعة أنه اعتمد على نسختين خطيتين، الأولى منهما كان نسخها سنة ١١٣٥هـ، والثانية سنة ١٠٩٤هـ.

ثم طبعه طبعة ثالثة سنة ١٣٦٨هـ، وذكر فيها أنه حصل على نسخة خطية ثالثة، لم يذكر تاريخ نسخها، وهذه الطبعة هي التي اعتمدها جميع من طبع الكتاب بعد ذلك؛ عدا طبعة محمد علي أبي العباس^(١)، فقد اعتمد في طبعته على نسختين خطيتين مختصرتين للكتاب من دار الكتب المصرية.

وأما الطبعة التي حققها د. السيد الجميلي^(٢)، فقد ذكر أنه اعتمد على نسختين خطيتين للكتاب، الأولى برقم (٣٢٥١/تصوف)، من دار الكتب المصرية، والثانية برقم (٤٠٦/مباحث إسلامية طلعت).

وفي الواقع وبعد المقارنة، تبين لي أنه لم يرجع إلى هاتين النسختين، بل لعله لم يقف عليهما أصلاً، وذلك أن هاتين النسختين المشار إليهما محذوفتا الأسانيد في حين أن طبعته جاءت متضمنة للأسانيد! والخلاصة هي أن طبعته نسخة عن الطبعة المنيرية.

وهذا الكلام نفسه يقال عن صاحب طبعة دار الكتب العلمية، حيث وضع في بداية الكتاب صورة من نسخة آيا صوفيا (برقم ١٧٢٩)، وهي نسخة مختصرة الأسانيد أيضاً، وطبعته جاءت مسندة، مما يجعلنا نشك في رجوعه إلى تلك النسخة الخطية التي أشار إليها.

ويبقى الفضل - بعد الله تعالى - في السابق إلى نشر هذا الكتاب إلى الأستاذ محمد منير الدمشقي، غير أنه وقع في طبعته ما يقع في الكتب المنشورة عن نسخ متأخرة، أو غير متقنة، بسبب السقط والتحريف التي يصاحبها.

(١) نشرتها مكتبة القرآن، القاهرة، مصر.

(٢) نشرتها دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٥، ١٤١٢هـ.

و بمقارنة سريعة لهذه الطبعة مع النسخة المغربية التي اعتمدها كأصل، والنسخة الأحمدية التي رمزتُ لها بحرف (أ)، وجدت أن الطبعة المنيرية قد سقط منها - في القسم الذي قمتُ بتحقيقه فقط - تسعون سنداً، كما وقع فيها سقط وتحريف في غير الأسانيد مقدار مائة عبارة. أما الأخطاء المطبعية فهي كثيرة.

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا، أن أحد المحققين وهو يحيى بن خالد بن توفيق قام بتخريج أحاديث الكتاب المرفوعة، سماه « النفيس في تخريج أحاديث تلبس إبليس »^(١).

إلا أنه لم يخرج الآثار الواردة في الكتاب، وهي أكثر من الأحاديث المرفوعة، وكذا فإنه لم يستوعب تخريج الأحاديث حيث فاته بعضها، أو أنه لم يقف على تخريجها، أو هي موجودة في بعض الكتب الستة أو مسند الإمام أحمد ولم يعزُ إليها... إلى غير ذلك من الملحوظات التي لا تخل بالجهود الذي قام به لخدمة هذا الكتاب النفيس.

(١) نشرته مكتبة التربية الإسلامية للتحقيق والتراث، الجزيرة، مصر، ط١، ١٤١٤هـ.

الفصل الرابع

دراسة لأهمّ موضوعات الكتاب

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: وجوب لزوم السُّنة واجتناب

البدعة

المبحث الثاني: نقد التصوف والمتصوفة

المبحث الأول

وجوب لزوم السنة واجتناب البدعة

وفيه مطالب :

المطلب الأول : تعريف السنة والبدعة :

السنة لغة: هي الطريقة؛ لأنها مأخوذة من السنن وهو الطريق^(١). والسنة في الاصطلاح، لها عدة إطلاقات:

١- ففي اصطلاح المحدثين هي: «ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقواله وأفعاله وتقريره، وما هم بفعله»^(٢).

٢- وفي اصطلاح علماء أصول الفقه هي: «ما جاء منقولاً عن النبي صلى الله عليه وسلم على الخصوص، مما لم ينص عليه في الكتاب العزيز، بل إنما نص عليه من جهته عليه الصلاة والسلام، كان بياناً لما في الكتاب أو لا»^(٣).

٣- وفي اصطلاح الفقهاء هي: «ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب»^(٤). فتكون بمعنى المندوب.

٤- وتطلق أيضاً في مقابل «البدعة» وهذا الذي يهمننا كثيراً في هذا المبحث، فيقال: (فلان على السنة: إذا عمل على وفق ما عمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم، كان ذلك مما نص عليه الكتاب أو لا. ويقال: فلان على بدعة: إذا عمل على خلاف ذلك...

ويطلق أيضاً لفظ السنة على ما عمل عليه الصحابة، وُجد ذلك في الكتاب والسنة أو لم يوجد؛ لكونه اتباعاً لسنة ثبتت عندهم لم تنقل إلينا، أو اجتهداً

(١) انظر: اللسان (سنن).

(٢) وهذا تعريف الحافظ ابن حجر. انظر: فتح الباري (٢٥٤/١٣).

(٣) الموافقات للشاطبي (٢٩٠/٤).

(٤) إرشاد الفحول للشوكاني (ص ٣١).

مجتمعاً عليه منهم أو من خلفائهم^(١).

فلزوم السنة هو اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنياً وظاهراً، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ؛ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(٢).

أما البدعة في اللغة، فمن معانيها أنها (ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال)^(٣).

أما في الاصطلاح فمن أجمع ما عرفت به قول الشاطبي - رحمه الله - : (البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية)^(٤)، ومنها ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (أن البدعة هي: الدين الذي لم يأمر الله به ورسوله، فمن دان ديناً لم يأمر الله ورسوله به فهو مبتدع بذلك، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]^(٥).

وقال أيضاً: (فإن البدعة ما لم يشرعه الله من الدين، فكل من دان بشيء لم يشرعه الله فذاك بدعة، وإن كان متأولاً فيه)^(٦).

(١) الموافقات للشاطبي (٤/٢٩٠).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/١٥٧).

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (١/٢٠٩).

(٤) الاعتصام للشاطبي (١/٣٧).

(٥) الاستقامة (١/٥).

(٦) الاستقامة (١/٤٢).

المطلب الثاني: الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب لزوم السنة

واجتناب البدعة :

وقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب لزوم السنة وأتباعها، وعلى مفارقة البدع واجتنابها؛ لما في ذلك من تحقيق للسعادة الدنيوية والأخروية، لأن السنة النبوية هي الدين، وهي الشرع، وهي جبل الله المتين.

قال الله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ [النور: ٦٣]، وقال: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾ [النساء: ١١٥].

وفي حديث العرياض بن سارية^(١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنه من يعش منكم بعدي سرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضواً عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»^(٢).

وعن عائشة^(٣) رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ)^(٤).

(١) ستأتي ترجمته عند الحديث رقم [٣٤].

(٢) رواه أحمد (٤/١٢٦، ١٢٧). وانظر الصفحة (٩٠) من القسم المحقق.

(٣) ستأتي ترجمتها عند الحديث رقم [٣٠].

(٤) انظر تخريجه في الصفحة (٨٥) من القسم المحقق.

وعن عبد الله بن عمرو^(١) رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من رغب عن سنتي فليس مني)^(٢)

كما وردت آثار في ذلك كثيرة، منها:

ما يُروى عن معاذ بن جبل^(٣) — رضي الله عنه — أنه كان يقول في كل مجلس يجلسه: (هلك المرتابون، إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال، ويُفتح فيها القرآن حتى يأخذه الرجل والمرأة، والحرّ والعبد، والصغير والكبير، فيوشك الرجل أن يقرأ القرآن في ذلك الزمان فيقول: ما بال الناس لا يتبعوني، قد قرأت القرآن، فيقول: ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره؛ فإياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة)^(٤).

وعن أبي بن كعب^(٥) أنه قال: (عليكم بالسييل والسنة، فإنه ما على الأرض عبدٌ على السيل والسنة وذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله عز وجل فيعذبه...)^(٦).

(١) ستأتي ترجمته عند الحديث رقم [١١] .

(٢) انظر تحريجه في الصفحة (٨٨) من القسم المحقق .

(٣) ستأتي ترجمته عند الحديث رقم [٩] .

(٤) أخرجه أبو داود في السنة، باب لزوم السنة (١٧/٥ برقم ٤٦١١)، والحاكم

(٤٦٦/٠٤)، واللالكائي في أصول السنة (٨٩/١ برقم ١١٧)، وأبو نعيم في الحلية

(٢٣٣/١)، والبيهقي في المدخل إلى السنن (ص ٤٤٤). قال الحاكم : صحيح على

شرط مسلم ولم يخرجاه .

(٥) ستأتي ترجمته عند الأثر رقم [١٣] .

(٦) انظر تحريج هذا الأثر برقم [١٣] .

وعن عثمان الأزدي^(١) قال : (دخلتُ على ابن عباس رضي الله عنهما فقلت له: أوصني. فقال : عليك بتقوى الله، والاستقامة : اتبع ولا تبتدع)^(٢).

المطلب الثالث : البدعة الفعلية والبدعة التركيبية :

وكما تكون البدعة - بمفهومها المتقدم - بالفعل، تكون كذلك بالترك إذا كان الترك تديناً؛ ويتضمن هذا الترك ما هو جائز شرعاً.

ومن أمثلة الترك البدعي:

ما أخرجه الشيخان، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني اصلي الليل أبداً. وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال الآخر: أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.

فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأحشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني ». ^(٣)

(١) من التابعين، يروي عن أنس بن مالك وجابر بن عبد الله. قال أبو زرعة: يمانني، حميري

ثقة. انظر : (تهذيب الكمال ٣٤٩/١٩ ، والتقريب ص ٣٨٢).

(٢) أخرجه الدارمي (٤٢/١ برقم ١٤١).

(٣) رواه البخاري في النكاح، باب الترغيب في النكاح (٩/١٠٤ برقم ٥٠٦٣) ، ومسلم

في النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه (٢/١٠٢٠ برقم ١٤٠١).

وما رواه الترمذي ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « يا رسول الله، إنني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء، وأخذتني شهوتي ، فحرمتُ علي اللحم. فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلَّ الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين. وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً. ﴾ [المائدة : ٨٦-٨٧]. (١)

ومن ذلك أيضاً ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إذ هو برجل قائم، فسأل عنه؛ فقالوا: أبو إسرائيل (٢) نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل ولا يتكلم، ويصوم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مره فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه ». (٣)

فهؤلاء قصدوا التدين يترك المباحات من النوم والنساء وأكل اللحم، خلافاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فهذه الأحاديث وأمثالها تبين أن سنته صلى الله عليه وسلم التي هي الاقتصاد في العبادة وفي ترك الشهوات، خيرٌ من رهبانية النصارى التي هي ترك عامة الشهوات من النكاح وغيره، والغلو في العبادات صوماً وصلاةً. وقد خالف سنته هذه بعض العباد والفقهاء جهلاً وتأويلاً. (٤)

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، باب من سورة المائدة (٥/٢٣٨ برقم ٣٠٥٤) وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٥٩٠/١١) : أبو إسرائيل المذكور لا يشاركه أحد في كنيته من الصحابة، واختلف في اسمه... وهو قرشي ثم عامري. وانظر : الإصابة (١٢/١١).

(٣) رواه البخاري في الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وهو معصية (١١/٥٨٦ برقم ٦٧٠٤).

(٤) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٩٠)، ومجموع الفتاوى (١١/٦١٤).

المطلب الرابع : خطورة البدعة :

تختلف البدعة عن مطلق المعاصي الأخرى من جهة ما يقترن بكل منها، ومن ذلك:

١- أن العاصي لا يعتقد أنه بمعصيته يرضي الله تعالى، بخلاف المبتدع فإنه يعتقد في عمله المحدث أنه إنما يفعله تقرباً إلى الله تعالى.

ومن هنا تنجم خطورة البدعة، وهذا ما يفسر قول من قال من السلف: « إن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية ». (١)

فالمبتدع لما كان يرجو من بدعته القرب من الله تعالى والتعبد له بها، فإنه لا ينفك عن ملازمة عمله ذلك، فضلاً عن أنه يشعر بوجوب التوبة منه. بل يعتقد في غيره ممن لا يفعل تلك البدعة، أو من ينهى عن فعلها، أنه على ضلال؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (من اعتقد البدع التي ليست واجبة ولا مستحبة، قرينة وطاعة وطريقاً إلى الله وجعلها من تمام الدين، ومما يؤمر به التائب والزاهد والعابد؛ فهو ضالّ خارج عن سبيل الرحمن، متبع لخطوات الشيطان). (٢)

ولهذا السبب تشيع البدعة في الناس وتنتشر حتى ينشأ عليها الصغير، ويموت عليها الكبير.

ومما يدل على هذا المعنى كذلك من قول السلف، ما ذكر عن أبي بكر بن عياش (٣) أنه قال : « كان عندنا فتى يقاتل ويشرب... وذكر أشياء من الفسق. ثم

(١) هذا من قول سفيان الثوري - رحمه الله - وسيأتي ذكر المصنف له في القسم المحقق (ص ١١٠) فانظر تحريجه هناك.

(٢) مجموع الفتاوى (٢١/١١٨-١١٩).

(٣) ستأتي ترجمته عند الأثر رقم [٤].

إنه تقرأ فدخل في التشيع، فسمعت حبيب بن أبي ثابت^(١) وهو يقول: لأنت يوم كنت تقاتل وتفعل ما تفعل خير منك اليوم». ^(٢)

ومما ذكره العلماء في عدم توبة المبتدع وعلته ما قاله الإمام الشاطبي في معنى قوله صلى الله عليه وسلم: « تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه »^(٣): (يريد أن كل من دخل من أمته في هوى من تلك الأهواء، ورآها وذهب إليها، فإن هواه يجري فيه مجرى الكلب بصاحبه فلا يرجع أبداً عن هواه، ولا يتوب من بدعته).^(٤)

٢- اعتقاد الفضيلة لذلك العمل البدعي، ولا فضل له في الشرع على الحقيقة؛ فهذا الاعتقاد ضلال في حد ذاته، لأنه يجرّ إلى محذور عظيم يمس عصمة النبي صلى الله عليه وسلم، وخاصة في تبليغ الرسالة، كما يمس الهدى الذي كان عليه أصحابه رضوان الله عليهم.

يتبين هذا بما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بقوله: (لأن ذلك الفضل إن لم يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أصحابه ولا التابعون، ولا سائر

(١) ستأتي ترجمته عند الحديث رقم [٢٤١].

(٢) البدع والنهي عنها لابن وضاح (ص ٧٧ برقم ٨٩).

(٣) أخرجه أبو داود في السنة (٥/٥-٦ برقم ٤٥٩٧)، وأحمد (٤/١٠٢)، وابن أبي

عاصم في السنة (ص ٧ برقم ١)، والطبراني في الكبير (١٩/٣٧٦-٣٧٧ برقم

٨٨٤)، والحاكم (١/١٢٨)، واللالكائي في أصول السنة (٢/١١٣ برقم ١٥٠)،

وغيرهم من حديث معاوية بن أبي سفيان، مطولا ومختصراً، ونقل الألباني - رحمه الله

- في الصحيحة (١/٣٥٩) تصحيحه عن بعض الأئمة.

(٤) الاعتصام للشاطبي (٢/٢٧٠). وانظر (٢/٢٨٠-٢٨١) من المصدر نفسه.

الأئمة، امتنع أن نعلم نحن من الدين الذي يقرب إلى الله ما لم يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة والتابعون، وسائر الأئمة.

وإن علموه، امتنع - مع توفر دواعيهم إلى العمل الصالح، وتعليم الخلق والنصيحة لهم - أن لا يُعلموا أحداً بهذا الفضل، ولا يسارع إليه واحد منهم.

فإذا كان هذا الفضل المدعى مستلزماً لعدم علم الرسول وخير القرون ببعض دين الله، أو لكتمانهم وتركهم ما تقتضي شريعتهم وعاداتهم ألا يكتمود، ولا يتركوه. وكل واحد من اللازمين منتفٍ، إما بالشرع وإما بالعادة مع الشرع، علم انتفاء الملزوم وهو الفضل المدعى^(١).

٣- تعظيم ذلك العمل البدعي وإجلاله: فمن المحاذير الخطيرة كذلك الناجمة عن ذلك الاعتقاد، ما ينطوي عليه من منازعة للرسل عامة وما جاؤوا به من عند الله من الاعتقادات الصحيحة الواجبة.

كما أن ذلك الاعتقاد قد يتبعه أحوال في القلب كالتعظيم والإجلال لذلك العمل المبتدع، وهذه أحوال باطلة ليست من دين الله تعالى، (ولو فرض ان الرجل قد يقول: أنا لا أعتقد الفضل، فلا يمكنه مع التعبد أن يزيل الحال الذي في قلبه، من التعظيم والإجلال.

والتعظيم والإجلال لا ينشأ إلا بشعور من جنس الاعتقاد، ولو أنه وهم أو ظن أن هذا أمر ضروري، فإن النفس لو خلت عن الشعور بفضل الشيء امتنع مع ذلك أن تعظمه... فهو من حيث اعتقاده أنه بدعة، يقتضي منه ذلك عدم تعظيمه. ومن حيث شعوره بما روي فيه، أو بفعل الناس له، أو بأن فلاناً وفلاناً فعلوه، أو بما يظهر له فيه من المنفعة يقوم بقلبه عظمته.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٦١٠-٦١١).

فعلمت أن فعل هذه البدع يناقض الاعتقادات الواجبة، وينازع الرسل ما جاؤوا به عن الله، وأنها تورث القلب نفاقاً، ولو كان نفاقاً خفيفاً.^(١)

المطلب الخامس : قاعدة « كل بدعة ضلالة » :

بالإضافة إلى ما سبق من أن البدع تنشأ من الزيادة في التعبد على غير هدي السنة، ومن اعتقاد الفضل في بعض الأعمال - ولا فضل فيها شرعاً - فإن مما يدفع إلى نشوء البدع، كذلك، هو الذهول عن قاعدة عظيمة حددتها السنة بحيث لا زيادة بعد ذلك عليها، ألا وهي أن " كل بدعة ضلالة " كما جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام مسلم.^(٢)

قال الإمام ابن رجب : (فقلوه صلى الله عليه وسلم « كل بدعة ضلالة » من جوامع الكلم، لا يخرج عنه شيء وهو أصل عظيم من أصول الدين..... فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه، فهو ضلالة. والدين بريء منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة).^(٣)

فهذه القاعدة الجليلة تبطل الاعتقاد الفاسد الشائع والسائد بين كثير من الناس ممن يحسنون البدع، أن من البدع ما هو حسن، ومنها ما هو سيء. بل البدع كلها مذمومة لم يقع فيها استثناء من الشرع، فكل من استثنى في هذه المسألة فليس معه

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦١١/٢).

(٢) في كتاب الجمعة من صحيحه، باب تخفيف الصلاة والخطبة (١ / ٥٩٢ برقم ٨٦٧).

(٣) جامع العلوم والحكم (ص ٢٥٢). وانظر : اللمع في الحوادث والبدع لإدريس

التركماني (١ / ١٦ وما بعدها).

دليل صحيح، بل قوله مناقض للأدلة الشرعية الواردة في ذم عموم البدع. فوجب المصير إلى الإطلاق والعموم للذين وردت بهما تلك القاعدة العظيمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن المحافظة على عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم: « كل بدعة ضلالة » متعين، وإنه يجب العمل بعمومه. وأن من أخذ يصنف البدع إلى حسن وقبيح، ويجعل ذلك ذريعة إلى أن لا يحتج بالبدعة على النهي فقد أخطأ).^(١)

كما دلّ على هذه القاعدة إجماع السلف الصالح، من الصحابة والتابعين لهم، على ذم البدع كلها دون استثناء، حكى هذا الإجماع الإمام الشاطبي - رحمه الله - بقوله عند سوقه للأدلة على هذه القاعدة: (إجماع السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم على ذمها كذلك، وتقبيحها والهروب عنها، وعمن اتسم بشيء منها، ولم يقع في ذلك منهم توقف ولا مثنوية. فهو - بحسب الاستقراء - إجماع ثابت، فدل على أن كل بدعة ليست بحق، بل هي من الباطل).^(٢)

المطلب السادس: أشهر ما استدل به المقسمون للبدع:

أما أشهر ما استدل به المقسمون للبدع، فهو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلاة التراويح جماعة مع الإمام في المسجد: « نعمت البدعة هذه »^(٣)،

(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٣٧٠ - ٣٧٧).

(٢) الاعتصام (١ / ١٤٢). وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٢ / ٥٨٦).

(٣) انظر تخريج هذا الأثر في القسم المحقق (ص ١٤٩). وانظر في الاستدلال بهذا الأثر على تحسين البدع: إتيان الصنعة في تحقيق معنى البدعة لعبد الله الغماري (ص ٦١ وما بعدها)، والبدعة للدكتور عزت عطية (ص ٢٠٣). وفي ردّ هذا الاستدلال: تنبيه أولي الأبصار للدكتور صالح السحيمي (ص ٢٠٢ - ٢١٥)، والرد على محسني البدع لعبد

فقد أجاب العلماء عن هذا الاستدلال بأجوبة دامغة لا يبقى معها مستمسك لمن حاول أن يتخذ من قول عمر رضي الله عنه - وهو حق - مطية وذريعة إلى البدع الكثيرة، وليس إلى بدعة واحدة فقط، بالرغم من أن قول عمر واضح وخصّ به صلاة التراويح جماعة فقط.

فمن تلك الأجوبة :

ما ذكره ابن الجوزي - رحمه الله - في هذا الكتاب، من أن عمر رضي الله عنه جمعهم على أبيّ لأن صلاة الجماعة مشروعة، ومتى أُسند العمل المحدث إلى أصل مشروع لم يُذم، أما إذا كان ذلك المحدث كالمتمم فهذا فيه اعتقاد نقص الشريعة، وإن كان مضاداً لها فهو أعظم.^(١)

ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -^(٢) وسأورده على شكل أجوبة متتالية مختصراً لها دون إخلال بإذن الله:

١- أن تسمية عمر هي تسمية لغوية وليست شرعية، لأن البدعة في اللغة تعمّ كل ما فعل ابتداءً من غير مثال سابق.

أما الشرعية فهي كل ما يدل عليه دليل شرعي، وكل ما دل عليه النبي صلى الله عليه وسلم ونصّ على استحبابه، ولم يعمل به إلا بعد موته، فإنه يصحّ تسميته بدعة في اللغة، لأنه عمل مبتدأ.

٢- أن العمل الذي دلّ عليه الكتاب والسنة ليس بدعة في الشريعة، ومنه صلاة

القيوم السحيباني (ص ١٥-٤٨).

(١) انظر القسم المحقق (ص ١٤٩-١٥٠).

(٢) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٥٩٢-٥٩٨)، ومجموع الفتاوى (٢٢/٢٣٤)،

و(٣٧١/١٠)، و(٢٢٤/٢٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٢٨٢).

التراويح، فالناس كانوا يصلون على عهد النبي صلى الله عليه وسلم صلاة التراويح جماعة وفرادى، وقال لهم في الليلة الثالثة أو الرابعة لما اجتمعوا : « إنه لم يعني أن أخرج إليكم إلا كراهة أن تفرض عليكم »، فعَلَّ صلى الله عليه وسلم عدم الخروج بخشية الافتراض.

فلما كان عهد عمر جمعهم على قاريء واحد، وأسرج المسجد. فصارت هذه الهيئة عملاً لم يكونوا يعملونه من قبل، فسمي بدعة؛ لأنه في اللغة يسمى كذلك، ولم يكن بدعة شرعية، لأن السنة اقتضت أنه عمل صالح، لولا خوف الافتراض؛ وخوف الافتراض زال بموته صلى الله عليه وسلم فانتهى المعارض.

٣- أن فعل عمر - وهو من الخلفاء الراشدين - يعتبر سنة، بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ ». (١)

ما ذكره الشاطبي - رحمه الله - بقوله : (إنما سماها بدعة باعتبار ظاهر الحال من حيث تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم، واتفق أن لم تقع في زمن أبي بكر رضي الله عنه، لا أنها بدعة في المعنى.

فمن سماها بدعة بهذا الاعتبار فلا مشاحة في الأسماء، وعند ذلك فلا يجوز أن يستدل بها على جواز الابتداع بالمعنى المتكلم فيه (أي الشرعي) لأنه نوع من تحريف الكلم عن مواضعه). (٢)

(١) انظر تخريج هذا الحديث في القسم المحقق (ص ٩٠). وانظر كلام الحافظ ابن رجب

في هذا المعنى نفسه في كتابه " جامع العلوم والحكم " (ص ٢٥٢).

(٢) الاعتصام (١ / ١٩٥).

ومما يمكن الاستدلال به على ذم كل البدع، وأنها كلها ضلالة، هو واقع الحال؛ فعند النظر في بعض المحدثات التي يسميها أصحابها بدعا حسنة، ويقصدون بالإقامة عليها التقرب إلى الله تعالى، مع كونها تتهم الشرع بالنقص حيث لم يدل أو لم يأت بما استحدثوه هم من تلقاء أنفسهم بآرائهم وأهوائهم؛ فالناظر في واقع هؤلاء يجد أن تلك البدع قد جلبت على المسلمين المفاصد العظيمة، وأوقعتهم في المفاصد الجسيمة.

كما في بدعة البناء على القبور وما تبعها من أنواع الشرك في التوسل والاستغاثة والدعاء، وهذا من أعظم المفاصد.

وكما في بدعة المولد وما يترتب عليها من فسوق وعصيان باختلاط الرجال مع النساء والمردان، والرقص والغناء، ورواية الأحاديث والأخبار الضعيفة والموضوعة، ونحو ذلك من المفاصد.^(١)

المطلب السابع : حكم البدع :

لما كانت كل بدعة ضلالة فلا شك في حرمة اقترافها وإنشائها، وأشد من ذلك الدعوة إلى فعلها، والترغيب فيها؛ غير أنه مما يجدر بنا ويتأكد ذكره أن أخطر البدع هو ما تعلق منها بالعقائد، ولهذا كان من البدع بدع مكفرة وأخرى غير مكفرة وإن كانت مفسدة.

والبدع الاعتقادية هي اعتقاد شيء على خلاف ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه سواء أكان مع الاعتقاد عمل أم لا .^(١)

(١) انظر : حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد الغامدي (١٤٢/٢-١٤٣).

(١) انظر : الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ (ص ٥٤).

ومن أمثلة البدع الاعتقادية: بدع الخوارج، والمعتزلة، والجهمية، والقدرية، والرافضة، والمرجئة.^(٢)

إلا أن بدعة الجهمية من البدع المكفرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (المشهور من مذهب الإمام أحمد وعامة أئمة السنة تكفير الجهمية، وهم المعطلة لصفات الرحمن، فإن قولهم صريح في مناقضة ما جاءت به الرسل من الكتاب، وحقيقة قولهم جحود الصانع، ففيه جحود الربّ وجحود ما أخبر به عن نفسه على لسان رسله...) إلى أن قال : (ولهذا كفّروا من يقول: إن القرآن مخلوق، وإن الله لا يُرى في الآخرة، وإن الله ليس على العرش، وإن الله ليس له علم، ولا قدرة، ولا رحمة، ولا غضب... ونحو ذلك من صفاته)^(٣).

ومن هذا النوع أيضاً : بدعة الحلولية والاتحادية من الصوفية^(٤).

وما اختلف في كفره من هذه الفرق، كالتدرية المقرين بالعلم، والرافضة غير الغالية، والخوارج، فأقل أحوال بدعهم أنها مفسقة^(٥)؛ ولذلك ردّ بعض الأئمة شهادة المتبدعة مطلقاً، وهذا ما ذهب إليه الإمام مالك - رحمه الله - كما نقل ذلك الونشريسي من المالكية^(٦) عن بعض الأصحاب أنه سئل عن شهادة الخوارج

(٢) جميع هذه الفرق سيأتي التعريف بها في القسم المحقق.

(٣) مجموع الفتاوى (٤٨٥/١٢). وانظر: معارج القبول للشيخ الحكمي (٦١٦/٢ - ٦١٧).

(٤) انظر مجموع الفتاوى (١٤٠/٢ - ١٤١، ٤٩٠).

(٥) انظر مجموع الفتاوى (٣٥٢/٣)، (٥٠٧/٧)، (٤٨٦/١٢).

(٦) هو أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي، التلمساني، أبو العباس. فقيه مالكي، أخذ عن علماء تلمسان، وتُقم عليه أمرٌ فانتهدت داره، ففرّ إلى فاس وتوطنها إلى أن مات بها سنة ٩١٤هـ. انظر : (شجرة النور الزكية ٢٤٧/١ - ٢٤٨، فهرس الفهارس للكتاني

بعضهم على بعض أو على سني... فأجاب :

« مذهب مالك وأصحابه عدم جواز شهادتهم مطلقاً، وغيرهم من العلماء يجيزها للضرورة لبعضهم على بعض، وحيث لا يوجد غيرهم أو هم الأغلب في البلد كلها^(١) .

وردّ شهادتهم بعض الأئمة إذا كانوا دعاة إلى بدعهم مع علمهم بالحق، وهذا ما ذكره ابن القيم - رحمه الله - وغيره.

قال ابن القيم في هذا القسم من المبتدعة - وهم الدعاة - : (أن يسأل ويطلب، ويتبين له الهدى، ويتركه تقليداً وتعصباً، أو بغضاً ومعاداة لأصحابه، فهذا أقل درجاته أن يكون فاسقاً، وتكفيره محل اجتهاد وتفصيل. فإن كان معلناً داعيةً ردّت شهادته وفتاويه وأحكامه، مع القدرة على ذلك. ولم تُقبل له شهادة، ولا فتوى ولا حكم إلا عند الضرورة)^(٢) .

وهذه الأحكام التي رآها أئمة الدين في هؤلاء المبتدعة إنما هي حجراً لهم وزجراً، لينكفّ ضرر بدعتهم عن المسلمين؛ لأن في قبول شهادتهم، والصلاة خلفهم، واستقضائهم وتنفيذ أحكامهم، رضی ببدعتهم وإقراراً لهم عليها، وتعريضاً لقبولها منهم.^(٣)

وهناك أحكام أخرى نصّ عليها علماء أهل السنة تتعلق بالمبتدعة، منها:

.(٤٣٨-٤٣٩).

(١) المعيار المغرب للونشريسي (١٠/١٩١).

(٢) الطرق الحكمية لابن القيم (ص ١٧٤).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص ١٧٢).

— مسألة لعن المبتدعة. — مسألة الصلاة خلف المبتدعة.

— مسألة مناكحة أهل البدع. — مسألة توبة المبتدعة.

— مسألة أكل ذبائح أهل البدع.

— مسألة شهود جنائز أهل البدع.

وغيرها من المسائل - التي ليس هذا مجال تفصيلها - مما يدلّ على خطورة البدعة على الدين، بحيث استدعى الأمر إصدار مثل هذه الأحكام التي قد تشابه في بعض صورها الأحكام الخاصة بالكفار.

ولهذا شدد علماء الإسلام على اجتناب البدع بكل صورها، كما حثوا على لزوم السنة والاعتصام بها، لأن سنة النبي صلى الله عليه وسلم هي الشريعة، وهي الدين الذي لم يمض رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كُمّل، بشهادة ربّ العالمين على ذلك، وكفى بالله شهيداً، حيث قال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [المائدة: ٣].

كما أنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ هذه الشريعة بكمالها، ولم يكتّم منها شيئاً، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «من حدثك أن محمداً كتّم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب، والله تعالى يقول: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ [المائدة: ٦٧].^(١)

فإذا ثبت بهذه النصوص من آيات القرآن العظيم، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وآثار الصحابة والتابعين، إذا ثبت أننا بالاتباع والتمسك بأثر النبي صلى الله عليه وسلم، ولزوم ما شرعه لنا من الدين والسنة؛ فهذا يعنى

(١) رواه البخاري في التفسير، باب «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك»

(٢٧٥/٨ برقم ٤٦١٢) واللفظ له، ومسلم في الإيمان (١٥٩/١ برقم ١٧٧) مطولاً.

التمسك بكل ما جاء به ﷺ، وترك كل ما خالفه، في الاعتقاد والعمل.

المبحث الثاني

نقد التصوف والمتصوفة

وفيه مطالب:

المطلب الأول : نسبة التصوف واشتقاقه:

كثرت الأقوال في النسبة الحقيقية لمصطلح التصوف وتنوعت بين ناظر إلى هذا المصطلح من جهة الاشتقاق اللغوي، أو الأصل التاريخي، أو الحقيقة المذهبية. فمن بين العلماء الذين حاضوا في هذا المضمار في وقت مبكر، الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - في كتابه «تلبيس إبليس»، بحيث أورد مختلف الآراء وناقشها ثم رجح ما رآه صحيحاً في أصل نسبة التصوف واشتقاقه^(١).

وهذه أهم الآراء التي قيلت في نسبة التصوف:

١ - النسبة إلى الصفة^(٢):

قال الكلاباذي^(٣): (وقال قوم: إنما سُموا صوفيةً لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ)^(٤). غير أن هذه النسبة لا تستقيم على مقتضى اللغة، وقد صرح بهذا أئمة

(١) انظر: القسم المحقق (ص ٩٢١-٩٣٧).

(٢) عرفت «الصفة» وأهلها في القسم المحقق (ص ٩٣٠، ٩٣٦).

(٣) هو محمد بن إبراهيم الكلاباذي، أبو بكر البخاري، الصوفي، محدث. من مؤلفاته: «التعرف إلى مذهب التصوف»، «مفتاح معاني الآثار». توفي سنة ٣٨٠هـ. ينظر: (كشف الظنون ١/٢٢٥، فهرس مخطوطات الحديث بالمكتبة الظاهرية للبابي ص ٣٨٢).

(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف، للكلاباذي (ص ١٠)، وانظر: اللمع للسراج الطوسي (تحقيق عبد الحلیم محمود) (ص ٤٧)؛ وكشف المحجوب، للهجويري (ص ٢٢٧)؛ والرسالة، للقتيري (تحقيق عبد الحلیم محمود) (ص ٤٦٤)؛ وعوارف المعارف، للسهروردي (ملحق في آخر إحياء علوم الدين) (ص ٦٥).

التصوف أنفسهم، لكن بعضهم أجاز ذلك رغم ذلك.
من ذلك ما ذكره القشيري بقوله: (النسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو
الصوفي)^(١).

وقال المحجوري^(٢) - بعد ما ذكر اشتقاقات كلمة «تصوف»، ومنها الصفة -
(لكن هذا الاسم على مقتضى اللغة بعيد عن هذه المعاني)^(٣).

ومن تكلف في هذه النسبة، الكلابذي في «التعرف»^(٤) فقال: (وإن أضيفت
إلى الصف أو الصفة كانت صفة أو صفة، ويجوز أن يكون تقديم الواو على الفاء
في لفظ الصوفية وزيادتها في لفظ الصفة والصفة إنما كانت من تداول
الألسن).

وكذلك السهروردي^(٥) في كتابه «العوارف»^(٦) إذ قال: (وهذا وإن كان لا

(١) الرسالة القشيرية (ص ٤٦٤).

(٢) هو علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي، أبو الحسن الغزنوي، المحجوري. من أشهر
مؤلفاته كتاب «كشف المحجوب». توفي بلاهور (باكستان) سنة ٤٥٦هـ -
تقريباً. انظر ترجمته في مقدمة كتاب «كشف المحجوب» بقلم د. إسعاد عبدالهادي
قنديل، (٤٥-٩٨).

(٣) كشف المحجوب (ص ٢٢٧).

(٤) (ص ١٧-١٨).

(٥) هو عمر بن محمد بن عبد الله بن عمويه، أبو حفص القرشي، التيمي، البكري، الملقب
بشهاب الدين السهروردي، من شيوخ الصوفية وفقهاء الشافعية. ولد بسهرورد،
وقدم بغداد في صباه، وسمع منه جماعة من المحدثين كابن نقطة وابن الديبشي وابن
النحار، من مؤلفاته: «عوارف المعارف». توفي بغداد سنة ٦٣٢هـ. انظر: وفيات
الأعيان ٣/٤٤٦، طبقات الأولياء ص ٢٦٢، السير ٣٧٣/٢٢.

(٦) عوارف المعارف (ص ٦٥).

يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي، ولكنه صحيحٌ من حيث المعنى).

كما اعترض على هذه النسبة كذلك:

ابن الجوزي حيث قال: (ونسبة الصوفي إلى أهل الصفة غلطٌ، لأنه لو كان

كذلك لقليل: صفي^(١)).

والبيروني^(٢) وابن تيمية^(٣) وابن تيمية^(٤).

٢- النسبة إلى الصوف:

هذه النسبة من أشهر ما قيل في اشتقاق لفظة « التصوف » ، وهذا القول

أرجح ما قيل في هذه النسبة.

قال الأدفي^(٥): (وقال بعضهم: نسبة إلى لبس الصوف. وهذا صحيحٌ من

(١) القسم المحقق (ص ٩٣٦).

(٢) انظر: تحقيق ما للهند من مقولة، للبيروني (ص ٢٤-٢٥).

(٣) هو محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي، ولد سنة ٣٦٢هـ، فيلسوف، رياضي، مؤرخ. أقام في الهند مدة. له مصنفات، منها: « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة » و « تاريخ الأمم الشرقية » وغيرهما. توفي سنة ٤٤٠هـ. ينظر: (تاريخ حكماء الإسلام ص ٧٢-٧٤، الأعلام لسازركلي ٣١٤/٥).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٣٦٩/١٠)، (٦/١١).

(٥) هو جعفر بن تغلب بن جعفر، أبو الفضل كمال الدين الأدفي، نسبة إلى أدفو، بلد بصعيد مصر. ولد سنة ٦٨٥هـ، أخذ المذهب الشافعي والعلوم عن علماء ذلك العصر كابن دقيق العيد. كان من فضلاء أهل العلم، له مصنفات، منها: « تاريخ الصعيد »، و « الإمتاع في أحكام السماع »، و « البدر السافر في أحكام المسافر » وغيرها. توفي سنة ٧٤٨هـ. ينظر: (النجوم الزاهرة ٢٣٧/١٠، البدر الطالع ١٨٢/١، شذرات الذهب ١٥٣/٦).

حيث اللغة.. ثم علّل ذلك بقوله: (بأنه الغالب على من طلب خشونة العيش والتقلل من الدنيا والتقشف فيها) (١).

وأيد هذه النسبة ونصرها كل من:

- السُّهروردي بقوله: (سُموا صوفيةً نسبة لهم إلى ظاهر اللبسة) (٢). ثم علّل

ذلك بتعليلات عدة منها:

(واختاروا لبس الصوف لكونه أرفق، ولكونه كان لباس الأنبياء عليهم

السّلام) (٣)، و (لأن لبس الصوف كان غالباً على المتقدمين من سلفهم) (٤)، و (أن

نسبتهم إلى اللبسة تنبئ عن تقلّلهم من الدنيا وزهدهم فيما تدعو النفس إليه بالهوى من الملبوس الناعم) (٥).

- وابن تيمية حيث قال: (والنسبة في « الصوفية » إلى الصوف؛ لأنه غالب

لباس الزهاد) (٦).

- وابن خلدون (٧) إذ قال: (الأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف،

(١) الموفي بمعرفة التصوف والصوفي، للأدفوي (ص ٤٠)؛ وانظر: اللمع للطوسي (ص ٤٠ -

٤١)؛ والتعرف للكلاّبذي (ص ١٠)؛ والحلية لأبي نعيم (١٧/١)؛ والرسالة للقشيري

(ص ٤٦٤)؛ ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٦٩/١٠)، (٦/١١).

(٢) عوارف المعارف (ص ٦٤).

(٣) المصدر نفسه (ص ٦٥).

(٤) المصدر نفسه (ص ٦٥).

(٥) المصدر نفسه (ص ٦٥).

(٦) مجموع الفتاوى (٣٦٩/١٠). وانظر: (٦/١١) من المصدر نفسه.

(٧) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد، أبو زيد التونسي ثم القاهري، المالكي، المعروف

بابن خلدون. نشأ بتونس، ورحل إلى عدة بلدان. من مؤلفاته: « العبر... ». توفي

بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ. ينظر: (الضوء اللامع ٤/١٤٥، شذرات الذهب ٧/٧٦).

وهم في الغالب مختصون بلبسه، لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف^(١).

- وأغلب المحدثين من الباحثين في التصوف على هذا^(٢).
هذا، وهناك أقوال أخرى في نسبة التصوف لا تخلو من ضعفٍ في نواحٍ كثيرة لا يتسع المجال لذكرها.
وقد ذكر ابن الجوزي - رحمه الله - بعضاً من تلك الآراء^(٣).

وأيّاً ما كانت النسبة، فإنها ليست من الكتاب والسنة وهدى السلف. فإن النسبة الصحيحة والشرعية هي ما كان أصلها الألفاظ الشرعية. كما قال ابن الجوزي - رحمه الله -: (كانت النسبة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والإيمان، فيقال: مسلم ومؤمن)^(٤).

كما كان يقال: مهاجرون وأنصار نسبةً إلى الهجرة والنصرة، وهما من أعظم الأعمال الشرعية، كما كان يقال: بدري نسبةً إلى غزوة بدر، وهي من أعظم غزوات المسلمين. كما يقال: عابدٌ وحامدٌ وذاكرٌ كما قال تعالى { التَّائِبُونَ

(١) مقدمة ابن خلدون (١٠٩٧/٣).

(٢) انظر: في التصوف الإسلامي وتاريخه لنيكولسون (ص ٦٦-٦٧)، وتاريخ التصوف الإسلامي د. عبد الرحمن بدوي (ص ١٤)، والتصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق د. زكي مبارك (٤٢/١)، والتصوف: المنشأ والمصدر لإحسان إلهي ظهير (ص ٣٥)، ونشأة الفلسفة الصوفية د. عرفان فتاح (ص ١٢٤-١٢٧).

(٣) انظر: القسم المحقق (ص ٩٢١-٩٣٧). وقد ذكر الباحث علي المقوشي في «موقف ابن الجوزي من الصوفية» (رسالة ماجستير) ستة عشر رأياً في نسبة التصوف (ص ١٣٨-١٥٦)، وانظر: مدخل إلى التصوف الإسلامي د. السيد محمد المهدي (ص ٤٩-٦٢).

(٤) القسم المحقق (ص ٩٢١).

الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّكَعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ [التوبة- ١١٢].

ثم ظهر بعدهم اسم التابعين وتابعيهم؛ ولما اتسعت العلوم عُرف المحدثون
والفقهاء والمفسرون... وهي كلها ألقاب مستمدة من النصوص الشرعية أو العلوم
الشرعية التي تعلقت بتلك النصوص.

فالصوفية بهذا الاعتبار تُعدُّ غريبةً عن منهج الإسلام، لأن النسبة إليها لم
تظهر في رجال خير القرون من الصحابة وتابعيهم بإحسان.
يقول القشيري: (واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين
للهجرة)^(١).

وقال السهروردي: (هذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله . وقيل: كان
في زمن التابعين... وقيل: لم يعرف هذا الاسم إلى المائتين من الهجرة)^(٢).
وقال ابن الجوزي: (وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين)^(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكذلك في أثناء المائة الثانية صاروا يعبرون
عن ذلك -أي الزهد- بلفظ الصوفي؛ لأن لبس الصوف يكثر في الزهاد)^(٤).
وذكر ابن خلدون أنه (لما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده،
وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا؛ اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية

(١) الرسالة للقشيري (ص ٤٢).

(٢) عوارف المعارف للسهروردي (ص ٦٦).

(٣) القسم المحقق (ص ٩٣٨).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٩/١١).

والتصوفة^(١).

وقد غلا بعض شيوخ التصوف^(٢) حينما ادَّعوا أن هذا المذهب معروفٌ على زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: الأصل التاريخي للتصوف:

وهذا الحديث عن أول ظهور التسمية بالصوفيَّة أو المتصوِّفة يقودنا إلى البحث عن مصادر هذا المذهب المبتدع، الذي سمَّته الغالبة هي العلوُّ والمبالغة في السلوك على نحو تعبدي ويقصد القربة إلى الله تعالى.

فكما اختلف في اشتقاق مصطلح «التصوف» وأصله، كذلك اختلف في الأصل التاريخي للتصوف.

ففي حين يرى فريقٌ ممن اهتموا بالتصوف دراسةً وتحليلاً، أن أصل التصوف ومصدره إسلامي نشأ عن الزهد ثم امتزج بعقائد وآراء أجنبية عن الإسلام^(٣).

(١) مقدمة ابن خلدون (٣/١٩٠٧). وأيد هذا الرأي من المحدثين: نيكولسون في التصوف الإسلامي وتاريخه (ص ٣-٤)، ود. بدوي في تاريخ التصوف الإسلامي (ص ١١-١٢)، وإحسان إلهي ظهير في: التصوف: المنشأ والمصدر (ص ٤٠-٤٨).

(٢) هو الهجويري في كتابه: «كشف المحجوب» (ص ٢٢٧).

(٣) انظر: التصوف: المنشأ والمصدر، للشيخ إحسان إلهي ظهير (ص ٤٩)؛ والتصوف وتأثره بالنصرانية والفلسفات القديمة (رسالة دكتوراه) إعداد: إبراهيم بن خلف التركي (ص ٥٨ وما بعدها)؛ والكشف عن حقيقة التصوف، لمحمود القاسم (ص ٧٤٨)؛ والتصوف في الإسلام، د. فروخ (ص ٢٩)؛ وتاريخ التصوف الإسلامي، د. بدوي (ص ٣١)؛ وفي التصوف الإسلامي وتاريخه، لنيكولسون (ص ٦٩).

يرى فريق آخر أن مصدر التصوف أجنبي عن الإسلام من كل وجه؛ فيقرر أن أصل التصوف إما مصدر أجنبي واحد، أو هو مزيج من المصادر الأجنبية اجتمعت فيه.

فنجده على النقيض من مذهب الفريق الأول، إذ يرى أن التصوف مذهب غريب ودخيل على الإسلام، بعيد كل البعد عن مبادئه وتعاليمه.

يقول البيروني: (السوفية وهم الحكماء، فإن «سوف» باليونانية الحكمة، وبها سُمي الفيلسوف «فيلسوفاً» أي محب الحكمة.

ولما ذهب في الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم سُموا باسمهم، ولم يعرف اللقب بعضهم فنسبهم للتوكل إلى «الصفة»، وأنهم أصحابها في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، ثم صحف بعد ذلك فصير من صوف التيوس...^(١).

ثم نسب إلى التصوف بعض الآراء الفلسفية وعلل ذلك بقوله: (وهذه آراء يذهب إليها الصوفية لتشابه الموضوع)^(٢).

وهذا ما قرره بعض الباحثين المعاصرين؛ حيث يقول د. طلعت غنام: (التصوف في الإسلام من أوله المسمى بالزهد وآخره المعروف بالتصوف، إنما هو استيراد أجنبي من خارج الإسلام وليس من صميمه)^(٣).

وقال د. إبراهيم هلال: (التصوف في أصله وفي لفظه ومعناه متقدمه ومتأخره استيراد أجنبي وليس من الإسلام في شيء)^(٤).

ويقول الشيخ إحسان إلهي ظهير - رحمه الله -: (عندما تعمق في تعاليم

(١) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة (ص ٢٤-٢٥).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٥).

(٣) أضواء على التصوف د. طلعت الغنام (ص ٦٨).

(٤) التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة د. إبراهيم هلال (ص ٣٢).

الصوفيّة الأوائل والأواخر، وأقاويلهم المنقولة منهم، والمأثورة في كتب الصوفيّة القديمة والحديثة نفسها، نرى بوناً شاسعاً بينها وبين تعاليم القرآن والسنة، وكذلك لا نرى جذورها وبذورها في سيرة سيد الخلق محمد صلوات الله وسلامه عليه، وأصحابه الكرام... بل بعكس ذلك نراها مأخوذةً مقتبسةً من الرهينة المسيحية، والبرهمة الهندوكية، وتنسك اليهودية، وزهد البوذية... والغنوصيّة^(١) اليونانية والأفلاطونية الحديثة لدى الذين جاءوا من بعدهم^(٢).

أما الفريق الأول وهو الذي يرى في مذهب التصوف أنه نشأ إسلامياً ثم اختلط بمبادئ ومذاهب أجنبية؛ فقد تبني هذا الرأي كثيرون، منهم:

ابن الجوزي - رحمه الله - إذ يقول: (الصوفيّة من جملة الزهاد... إلا أن الصوفيّة انفردوا عن الزهاد بصفات وأحوال وترسموا بسمات.. والتصوف طريقة كان ابتداءها الزهد الكلي)^(٣).

ثم ذكر تطور المذهب الصوفي حتى صار منهم من يقول بالحلول، ومنهم من يقول بالاتحاد^(٤).

وهو ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -^(٥).

ومن المعاصرين الدكتور عبد الرحمن.....

(١) الغنوصية نزعة فلسفية دينية صوفية معاً، وسميت بهذا الاسم لأن شعارها هو أن بداية الكمال هي معرفة غنوص الإنسان، أما معرفة الله فهي الغاية والنهاية. الموسوعة الفلسفية د. عبد الرحمن بدوي (٢/٨٦-٨٩).

(٢) التصوف: المنشأ والمصدر، للشيخ إحسان إلهي ظهير (ص ٥٠). وانظر: الكشف عن حقيقة الصوفيّة لمحمود القاسم (ص ٧٤٧ وما بعدها) فهو يتبنى هذا الرأي.

(٣) القسم المحقق (ص ٩١٨-٩١٩).

(٤) انظر القسم المحقق (ص ٩١٨-٩١٩، ٩٤٤).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١١/١٦-١٨).

بدوي^(١)، والأستاذ عمر فروخ^(٢).

فلا شك بعد هذا العرض أن رأي الفريق القائل بأن التصوف نشأ عن الزهد ثم امتزج بأفكار وآراء أجنبية عن الإسلام وبخاصة في عصوره المتأخرة؛ لا شك أن هذا الرأي هو أعدل القولين.

المطلب الثالث: نقد بعض أصول التصوف وآرائه:

١- في مصدر التلقي والاستدلال:

عندما يتقرر أن مذهب التصوف امتزجت به آراء وأفكار أجنبية عن الإسلام، فإن ذلك يعني -لا محالة- أن هذا المذهب قد تأثر بتلك الآراء والأفكار والمذاهب.

وقد ظهر ذلك الأثر في جوانب متعددة من هذا المذهب؛ منها: أن المتصوفة اتخذوا لهم مصادر يتلقون منها الهداية غير الكتاب والسنة خلافاً لما كان يصرح به أكابر شيوخهم الذين لم يتدنسوا بالآراء الأجنبية، ولما كان حال المذهب في أول نشأته.

وقد نقل ابن الجوزي وغيره كلاماً لشيوخ المذهب الأوائل يفيد أنهم كانوا لا يرضون بغير الكتاب والسنة بديلاً؛ فقد قال ابن الجوزي: (كان أوائل الصوفية يقرون بأن التعويل على الكتاب والسنة)^(٣). ثم نقل بعض أقوال شيوخ الصوفية الدالة على ذلك، ومنها:

(١) تاريخ التصوف الإسلامي (ص ٤٤-٦٢).

(٢) التصوف في الإسلام (ص ٢٩-٣٠).

(٣) القسم المحقق (ص ٩٧٩).

— قول أبي سليمان الداراني^(١): (ربما يقع في قلبي النكته من نكت القوم أياماً فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة)^(٢).

— وقول الجنيد^(٣): (مذهبننا هذا مقيد بالأصول: الكتاب والسنة)^(٤).

— وقول أبي حفص النيسابوري الزاهد^(٥): (من لم يزن أفعاله وأحواله بالكتاب والسنة، ولم يهتمَّ خواطره فلا تعده في ديوان الرجال)^(٦).

لكن مذهب التصوف لم يلبث أن ينحرف عن هذا المنهج إلى غيره من المناهج الغربية عن الأصلين: الكتاب والسنة؛ ولذلك ظهرت فيهم الضلالات والشناعات الكثيرة، أبلغها الطعن في إفادة نصوص الكتاب والسنة للهدى والعلم.

يقول أبو الفضل الأحمدي^(٧): (لا تقطعوا بما علمتموه من الكتاب والسنة ولو كان حقاً في نفسه)^(٨).

وقال الغزالي: (حدّ الاقتصاد بين هذا الانحلال كله وبين جمود الحنابلة دقيقٌ غامضٌ، لا يطلع عليه إلا الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسماع، ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هي عليه، نظرُوا إلى السَّمع والألفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين، قرروه؛ وما خالف أولوه. فأما من يأخذ

(١) انظر ترجمته عند الأثر رقم [١٦٥].

(٢) انظر: تخريج هذا القول في القسم المحقق (ص ٩٨٠).

(٣) انظر ترجمته عند الأثر رقم [٢٨].

(٤) انظر: تخريج هذا القول في القسم المحقق (ص ٩٨٨).

(٥) انظر: ترجمته في القسم المحقق (ص ٩٩٦).

(٦) انظر: تخريج هذا القول في القسم المحقق (ص ٩٩٧).

(٧) له ترجمة في الطبقات الكبرى للشعراني (١٧٣/٢).

(٨) الطبقات الكبرى للشعراني (١٧٥/٢).

معرفة هذه الأمور من السَّمع المجرد، فلا يستقر له فيها قدمٌ، ولا يتعين له موقفٌ^(١).

وهذا كلامٌ خطيرٌ، وفيه طعنٌ واضحٌ في دلالة السمع وهي الوحي - وأنه يُحمل على المشاهدات والخواطر، وأن هذه الأخيرة قاضية عليه. ولذلك قال شيخ الإسلام رداً على هذه المقولة الشنيعة: (هذا الكلام مضمونه أنه لا يستفاد من خير الرسول صلى الله عليه وسلم شيءٌ من الأمور العلمية، بل إنما يُدرك ذلك كل إنسان بما حصل له من المشاهدة، والنور والمكاشفة^(٢)). وهذان أصلان للإلحاد، فإن كل ذي مكاشفةٍ، إن لم يزنها بالكتاب والسنة، وإلا دخل في الضلالات^(٣).

فلما طعن المتصوفة في هذه الأصول دعوا إلى مصادر أخرى واعتمدوا عليها في تحقيق الهدى، وسموها علوماً إلهاميةً في مقابل العلوم الشرعية التي سموها العلوم التعليمية، ولذلك لم يحرصوا على دراسة العلم الشرعي المستخرج من القرآن العظيم والسنة النبوية، بل نفروا منه^(٤).

وقد غلا بعضهم وبلغ مبلغاً ادعى معه الاستغناء عن التلقي من الكتاب والسنة، زعماً منه الأخذ عن الله تعالى.....

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (١٠٤/١).

(٢) انظر تعريفها في القسم المحقق (٩٥٩).

(٣) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٣٤٨/٥). وانظر شفاء السائل لابن خلدون (ص ١٠٣-١٠٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٩/٧).

(٤) انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي (٢١/٣-٢٦)، (٢٣٩/٤)، والرسالة اللدنية له أيضاً (ص ٢٣٠-٢٣٥)، والكواكب الدرية للمناوي (٤٤٧م١)، و تلبس إبليس (ط).

المنيرية) (ص ٣٢٠-٣٤١).

إلهاماً^(١)، أو مناماً، أو بعروج روحه إليه - عز وجل -، أو ادعى سماع خطاب الله تعالى كما سمعه موسى بن عمران كلیم الرحمن، أو ادعى أخذ الشريعة عن النبي يقظةً، أو مناماً^(٢).

قال أبو يزيد البسطامي^(٣): (أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت)^(٤).

بل لقد ذهبوا إلى أبعد من ذلك عندما ادعوا الأخذ عن الأموات في قبورهم، فقد نقل الشعراني -صاحب الطبقات- عن شيخه عن الخواص^(٥) قوله: (إنما كان مشايخ القوم يجيئون تلامذتهم من قبورهم دون مشايخ الفقهاء في الفقه، لصدق الفقراء في اعتقادهم في أشيائهم دون الفقهاء. فلو صدق الفقيه لأجابسه الإمام الشافعي رضي الله عنه وخطابه مشافهة)^(٦).

والخلاصة أن هذه المصادر وغيرها التي اعتمد عليها المتصوفة المقصود منها نبذ الكتاب والسنة وطرحهما، وعدم الاحتكام إليهما، كما ينطوي الأخذ بتلك المصادر الباطلة على فتح باب التلاعب بأحكام الشريعة، والتنصل من أوامرها

-
- (١) الإلهام هو ما وقع في القلب من علم، وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بأية ولا نظر في حجة. التعريفات للجرجاني (ص ٤٩)، واصطلاحات الصوفية للقاشاني (١٧٦-١٧٧)، معجم المصطلحات الصوفية د. أنور خزام (ص ٤٥)، والمعجم الصوفي للحفني (ص ٣٠)، والمعرفة الصوفية ناجية جواد (ص ١٩٨ وما بعدها).
- (٢) انظر: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، تأليف صادق سليم صادق (ص ١٨٣).
- (٣) انظر ترجمته في الصفحة (٩٧٥) من القسم المحقق.
- (٤) الفتوحات المكية لابن عربي (٣١/١)، والكواكب الدرية للمناوي (٤٤٦/١)، وتلبس إبليس (ط. المنيرية) (ص ٣٧٥)، الطبقات الكبرى للشعراني (٥/١).
- (٥) انظر: ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني (١٥٠/٢).
- (٦) الطبقات الكبرى، للشعراني (١٥٤/٢).

ونواهيها كما شاع عن هذه الطائفة الضالة.

٢- في العقائد:

لما اختلفت مصادر المتصوفة في التلقي والاستدلال وخالفت الكتاب والسنة، فإن كل ما قرروه بعد ذلك في مذهبهم غلب عليه الضلال والانحراف. وسأركز هنا على أهم القضايا العقديّة التي خالفت بها المتصوفة مذهب السلف مما دلّ عليه الشرع الحنيف.

أ/ ترك التوحيد:

أهمل المتصوفة أمر التوحيد الذي هو أصل الدين، وقرروا فيه أحكاماً وقواعد مناقضة لما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله، فدعوتهم أو دعوة مشايخهم صريحة في ترك التوحيد ومعرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته، بدعوى أن التوحيد أمر استأثر الله تعالى وحده بعلمه، كما بنوا على هذا القول كفر أو إلحاد من ادعى معرفة الله تعالى.

يقول الشبلي^(١) إجابةً على من سأله عن التوحيد: (ويحك من أجابك عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد، ومن أشار إليه فهو وثني، ومن أوماً إليه فهو عابد وثني، ومن نطق فيه فهو غافل، ومن سكت عنه فهو جاهل، ومن توهم أنه أصل فليس بمحصل)^(٢).

(١) انظر ترجمته في القسم المحقق (ص ١٠١٩).

(٢) ذكره الطوسي في اللمع (ص ٥٠)، والقشيري في الرسالة (ص ٤٩٦). وانظر: تاريخ

بغداد للخطيب (٣٩٤/١٤).

وقال أيضاً: (ما شَمَّ روائِح التوحيد من تصوُّر عنده التوحيد)^(١).
ونقل ابن الجوزي عن البسطامي قوله حين سُئل: (هل سألت الله تعالى
المعرفة؟) فقال: (عزت عليه أن يعرفها سواه)^(٢).

ثم تعقبه ابن الجوزي بقوله: (هذا إقرارٌ بالجهل، فإن كان يشير إلى معرفة
الله تعالى في الجملة وأنه موجودٌ وموصوفٌ بصفاتٍ وهذا لا يسع أحداً من
المسلمين جهله، وإن تخايل له أن معرفته هي اطلاع على حقيقة ذاته وكنهها فهذا
جهلٌ به)^(٣).

وقول المتصوفة هذا لا شك في ضلاله وانحرافه عن الإسلام، إذ إنه تكذيبٌ
ومضادة للغاية التي من أجلها خلق الله الثقلين إذ قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ
إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات-٥٦]. فالجهل بالخالق تعالى - كما يقرره المتصوفة -
يعطلُّ هذه الغاية العظيمة.

ولذلك نجد شيخ الإسلام ابن تيمية يعلق على قول: إنه لا تصح العبارة عن
التوحيد، قائلاً: (وقوله: "إنه لا تصح العبارة عن التوحيد" كفرٌ بإجماع المسلمين؛
فإن الله قد عبّر عن توحيده، ورسوله عبّر عن توحيده، والقرآن مملوءٌ من ذكر
التوحيد، بل إنما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب بالتوحيد)^(٤).

ب/ القول بالحلول والاتحاد:

حقيقة هذا القول هو اعتقاد حلول ذات الباري تعالى في بعض مخلوقاته، أو
اعتقاد اتحاد ذات الإله عز وجل بمخلوقاته، فيكون وجود الباري تعالى هو عيين

(١) ذكره الطوسي في اللمع (ص ٥٢)، والقشيري في الرسالة (ص ٤٩٧).

(٢) تلييس إبليس (ط. المنيرية) (ص ٤٨٠).

(٣) تلييس إبليس (ص ٤٨٠).

(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢/٣٥١).

وجود الكائنات المخلوقة جميعاً^(١).

وهذا القول بالحلل هو من شر الأقوال، لأن مؤداه هو اتصاف بعض المخلوقات بصفات الرب جلّ وعلا، وهذا شركٌ أكبر.

كما أن القول بالاتحاد هو شر الأقوال كلها حتى قول النصارى، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- وهو يعدد أنواع الخلول والاتحاد: (الاتحاد العام وهو قول هؤلاء الملاحدة، الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من وجهين:

من جهة أن أولئك قالوا: إن الرب يتحد بعبده الذي قرّبه واصطفاه، بعد أن يكونا متحدين، وهؤلاء يقولون: ما زال الرب هو العبد وغيره من المخلوقات ليس هو غيره.

والثاني: من جهة أن أولئك خصّوا ذلك بمن عظّموه كالمسيح، وهؤلاء جعلوا ذلك سارياً في الكلاب، والخنازير، والأقذار، والأوساخ. وإذا كان الله تعالى قد قال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة- ١٧، ٧٢] فكيف بمن قال: إن الله هو الكفار، والمنافقون والصبيان، والمجانين والأجناس، والأنتان وكل شيء^(٢)!

وهذه الزندقة قد أورد ابن الجوزي -رحمه الله- نصوصاً من كلامهم فيها، وهو مروى في مصادرهم، منها:

— ما تكلم به أبو حمزة الصوفي^(٣) في جامع طرسطس حين صاح غراباً

(١) انظر: تعريف المصطلحين في القسم المحقق (ص ٩٤٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧٢/٢-١٧٣). وانظر: مجموعة الرسائل والمسائل، لابن تيمية رسالة: (حقيقة مذهب الاتحاديين) (٢٩/٤-٣٠).

(٣) انظر ترجمته في القسم المحقق (ص ١٠٠٢).

على سطح الجامع فقال أبو حمزة: لبيك لبيك^(١).

— ومنها: أن أبا حمزة هذا كان كلما سمع صوتاً مثل هبوب الرياح، وخرير

الماء، وصياح الطيور، كان يصيح ويقول: لبيك^(٢).

وتجدر الإشارة إلى أن الذي جاهر بهذه الزندقة حتى قُتل، هو الحسين بن

منصور الحلاج^(٣). وله في ذلك كلامٌ منشورٌ ومنظومٌ.

من ذلك ما ذكره ابن الجوزي - رحمه الله - وغيره من أهل التاريخ، أنه كان

للحلاج كتابٌ فيه: (من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان)، وقد شهد على نفسه

بأنه كتبه فقال: (هذا خطي وأنا كتبته)، فقالوا له: كنت تدعي النبوة فصرت

تدعي الربوبية؟ فقال: (ما أدعي الربوبية، ولكن هذا عين الجمع عندنا، هل

الكاتب إلا الله واليد فيه آله؟)^(٤).

ومن أقوال الحلاج الاتحادية أيضاً:

— (دع الخليفة، لتكون أنت هو، وهو أنت من حيث الحقيقة)^(٥).

— (أنا الحق... وإن قتلت وقُطعت يداي ورجلاي، ما رجعت عن

دعواي)^(٦).

(١) القسم المحقق (ص ١٠٠٢).

(٢) القسم المحقق (ص ١٠٠٦).

(٣) انظر ترجمته في القسم المحقق (ص ١٠١٤).

(٤) القسم المحقق (١٠١٨). وانظر هذا الخبر في: تاريخ بغداد (١٢٧/٨-١٢٨)؛ والبداية

والنهاية، لابن كثير (١٤٨/١١-١٤٩)؛ والسير، للذهبي (٣٢٨/١٤).

(٥) الطواسين وبستان المعرفة، للحلاج (ص ٥٠).

(٦) المصدر السابق (ص ٦٢-٦٣).

— (ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه)^(١).

(يا إله الآلهة، ويا رب الأرباب، ويا من لا تأخذه سنة ولا نوم، ردّ عليّ نفسي لئلا يفتن بي عبادك، يا هو أنا، وأنا هو، لا فرق بين إنسي وهوتيسك إلا الحدث والقدم)^(٢).

ومن نظمه في ذلك:

— قوله:

سبحان من أظهر ناسوته	سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهرا	في صورة الأكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه	كلحظة الحاجب بالحاجب ^(٣) .

ومن هذه الزندقة كذلك ما صدر عن ابن الفارض^(٤) حيث يقول في تائيته

المشهوره بـ « نظم السلوك » :

وها أنا أبدي في اتحادي مبدئي	وأنهي انتهائي في تواضع رفعتي
جلت في تجليها الوجد لناظري	في كل مرئي أراها برؤية ^(٥)

(١) أخبار الحلاج، لابن أنجب الساعي (ص ٦٧).

(٢) المصدر السابق (ص ٦٩).

(٣) ديوان الحلاج (ص ١٤).

(٤) هو شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي، ثم المصري، من الشعراء البارزين، وهو من رؤوس القائلين بالوحدة والحلول، التي ملأ بها قصيدته المشهورة بالتائية. رماه غير واحد بالزندقة والضلال. مات سنة ٦٣٢هـ. انظر: (مجموع الفتاوى ١٢٣/٢ -

١٢٤، السير ٣٦٨/٢٢، لسان الميزان ٣١٧/٤، شذرات الذهب ١٤٩/٥).

(٥) ديوان ابن الفارض (ص ٤٧).

وقوله :

ولم أله باللاهوت عن حكم مظهري ولم أنس بالناسوت مظهر حكمتي
وقد جاءني مني رسول عليه ما عنت عزيز بي حريص لرأفة
ومن عهد عهدي قبل عصر عناصري إلى دار بعث قبل إنذار بعثة
إلى رسول كنت مني مرسلًا وذاتي بآياتي علي استدلت^(١)

وقوله :

وجاء حديث في اتحادي ثابت روايته في النقل غير ضعيفة
يشير بحب الحق بعد تقرب إليه بنقل أو أداء فريضة
وموضع تنبيه الإشارة ظاهر بكننت له سمعاً كنور الظهيرة^(٢)

ومن أقوال ابن عربي^(٣):

— (من عرف ما قررنا في الأعداد، وأن نفيها عين إثباتها، علم أن الحق المنزه هو الخلق المشبه، وإن كان قد تميز الخلق من الخالق ؛ فالأمر الخالق، والأمر المخلوق. كل ذلك من عين واحدة، لا، بل هو العين الواحد، وهو العيون الكثيرة)^(٤).

— (﴿ وخلق منها زوجها ﴾ فما نكح سوى نفسه، فمنه الصاحبة

(١) المصدر السابق (ص ٦٨-٦٩).

(٢) ديوان ابن الفارض (ص ٨٩). وانظر : ابن الفارض والحب الإلهي د. مصطفى حلمي

(ص ١٩٥-٢٠٥)

(٣) هو محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي، أبو بكر الأندلسي، الملقب محي الدين، والمعروف بابن عربي الصوفي. صاحب ضلالات، نادى بوحدة الوجود. هلك سنة

٦٣٨هـ. انظر : (المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ص ١١٥، السير ٤٨/٢٣)

(٤) فصوص الحكم (٧٨/١).

والولد^(١).

— (كل ما ندركه فهو وجود الحق في أعيان الممكنات، فمن حيث هوية

الحق هو وجوده، ومن حيث اختلاف الصور فيه هو أعيان الممكنات^(٢)
فهذا غيضٌ من فيضٍ ممن يعتقد عقيدة الحلول والاتحاد، وما زال أنصار هذه
العقيدة إلى يومنا هذا، يخرجون المؤلفات فيها، ويشرحون مصطلحاتها، ويفكِّون
رموزها تقريباً لها إلى أفهام الناس^(٣).

ج/ الولاية:

الولاية من الولي، وهو القرب والدين. والولي: الاسم منه، والمحبة والصدق
والنصير^(٤).

أما الولاية الشرعية فلا تبعد معناها عن معناها اللغوي، لأن أولياء الله هم
أهل طاعته ومحبته الذين يتقربون إليه بما يقربهم منه من الفرائض وسائر القرب^(٥).
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (أولياء الله تعالى هم الذين آمنوا به ووالوه،
فأحبوا ما يحب، وأبغضوا ما يبغض، ورضوا بما يرضى، وسخطوا بما سخط،

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق (١٠٣/١). وانظر: جزء فيه عقيدة ابن عربي وحياته لتقي الدين
الفاسي، وكتاب: ابن عربي في ميزان البحث لعبد القادر السندي، وتنبية الغبي إلى
تكفير ابن عربي (ص ٧٤-٧٥)، ورسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي، جمع
وتحقيق د. موسى الدويش.

(٣) انظر على سبيل المثال: الحلاج فيما وراء المعنى والخط واللون، لسامي مكارم،
ومقدمة كتاب أخبار الحلاج، لابن أنجب الساعي، كتبها موفق فوزي الجبر. الشيخ
الأكبر محي الدين بن عربي لمحمود محمد الغراب.

(٤) انظر: القاموس المحيط (ول ي).

(٥) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب (٢/٣٣٥).

وأمروا بما يأمر، ونهوا عما نهى، وأعطوا بما يمن يجب أن يُعطى، ومنعوا من يجب أن يمنح^(١).

لذلك كان أفضل أولياء الله تعالى هم الأنبياء والمرسلين، لأنهم أكمل طاعة وموافقة لأمر الله تعالى.

فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى، فمن كان أكمل إيماناً وتقوى، كان أكمل ولايةً لله؛ كذلك من كان مخالفاً لأمر الله ومُحادداً له، متبعاً لما يسخط الله تعالى، فهذا يكون عدواً لله بحسب محادثته وعصيانه.

أما الولاية عند الصوفية فلها معان ومصطلحات خالفت بها حقيقة الولاية الشرعية التي نصَّ عليها الكتاب العزيز والسنة المشرفة.
من ذلك^(٢):

- أن الولاية هي الغاية من المجاهدات والرياضات، وليست رغبة في وعد الله أو رهبة من وعيده تعالى.

- أن الغاية من الولاية هي الاتصال بالله أو بالملائم الأعلى، وتحصيل العلم اللدني، والتأييد بالكرامات والحوارِق.

- أن العصمة من لوازم الولاية، فالولي عند الصوفية معصومٌ عن الخطأ.

- أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء.

(١) مجموع الفتاوى (١١/١٦٠).

(٢) انظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي: محمد أحمد لوح (١/٦٢-٩٢)؛ ونظريّة

الاتصال عند الصوفية: سارة آل سعود (ص١١٩، ١٨٦-٢١١)؛ ومن قضايا التصوف

في ضوء الكتاب والسنة: محمد السيد الجليلند (ص٢٠٧ وما بعدها)؛ وابن تيمية

والتصوف: د. مصطفى حلمي (ص٣٩٦ وما بعدها)، وأولياء الله لعبد الرحمن

دمشقية (ص٩٠-١١٣)، (ص١٤٢-١٥٧).

وبناءً على تلك الخصائص التي ميزت الولاية عند المتصوفة، نجد لهم أقوالاً وقصصاً وحكايات مخالفة للشريعة ظاهراً وباطناً - وإن ادَّعوا موافقتها في الباطن - ما لا يقره مسلمٌ واثقٌ من دينه وعقله.

فهذه كتبهم ومصادرهم طافحةٌ بهذا الدَّجَل والقول على الله بغير علمٍ. وأدهى طامةً جاء بها مذهب التصوف في مسألة الولاية، هي القول بأن للولاية خاتماً كما للنبوة خاتم، وأن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء.

وأول من جاء بهذه المقالة الباطلة الحكيم الترمذي^(١)، فألف كتابه: «ختم الأولياء»^(٢)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولم يتكلم أحدٌ من المشايخ المتقدمين بخاتم الأولياء إلا محمد بن علي الحكيم الترمذي، فإنه صنَّف مصنفاً غلط فيه في مواضع، ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحدٍ منهم أنه خاتم الأولياء)^(٣). ومن قول الترمذي بختم الولاية أخذ ابن عربي القول بتفضيل خاتم الأولياء على خاتم الأنبياء؛ فمن أقواله في فصوصه :

(لما كانت الأنبياء صلوات الله عليهم لا تأخذ علومها إلا من الوحي الخاص الإلهي، فقلوبهم ساذجة من النظر العقلي لعلمهم بقصور العقل من حيث نظره الفكري عن إدراك الأمور على ما هي عليه، والإخبار أيضاً يقصر عن إدراك ما لا يُنال إلا بالذوق؛ فلم يبق العلم الكامل إلا في التحلي الإلهي وما يكشف الحق عن أعين البصائر)^(٤).

والتحلي الذي يتحدث عنه لا يكون إلا للأولياء، ومن ثم كانوا أفضل من

(١) انظر ترجمته في القسم المحقق (ص ١٢٨٣).

(٢) وهو مطبوع.

(٣) مجموع الفتاوى (١١/٢٢٣). وانظر: المصدر نفسه (١١/٤٤٤).

(٤) فصوص الحكم لابن عربي (١/١٣٣).

الأنبياء. ولذلك قال في موضع آخر : (إذا رأيت النبي يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث هو ولي وعارف، ولهذا مقامه من حيث هو عالم أتم وأكمل من حيث هو رسول أو ذو تشريع وشرع. فإذا سمعت أحداً من أهل الله يقول أو يُنقل إليك عنه أنه قال : الولاية أعلى من النبوة، فليس يريد ذلك القائل إلا ما ذكرناه، أو يقول : إن الولي فوق النبي والرسول ، فإنه يعني بذلك في شخص واحد، وهو أن الرسول عليه السلام من حيث هو ولي أتم من حيث هو نبي رسول^(١)).

قال الحكيم الترمذي عن خاتم الأولياء: (بأنه أُعطي ختم الولاية، فبالختم تقدمهم فصار حجة الله على أوليائه... وسبب الختم هو أن النبوة أُعطيت الأنبياء عليهم السلام ولم يُعطوا الختم)^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكذلك لفظ "خاتم الأولياء" لفظ باطل لا أصل له، وأول من ذكره محمد بن علي الحكيم الترمذي. وقد انتحله طائفة كسل منهم يدعي أنه خاتم الأولياء، كابن حمويه^(٣) وابن عربي، وبعض الشيوخ الضالين بدمشق وغيرها، وكلُّ منهم يدعي أنه أفضل من النبي عليه السلام من بعض الوجوه، إلى غير ذلك من الكفر والبهتان)^(٤).

(١) فصوص الحكم (١/١٣٥).

(٢) ختم الأولياء، للترمذي (ص ٤٢١).

(٣) هو: عبد الله بن عمر الجويني الصوفي، أبو محمد ابن حمويه الدمشقي، ولُـد بدمشق ورحل إلى المغرب، وزار مصر أيضاً، كتب في التاريخ والفقه والتصوف. توفي بدمشق سنة ٦٤٢هـ. انظر: شذرات الذهب (٥/٢١٤).

(٤) مجموع الفتاوى (١١/٤٤٤).

٣- في العبادات:

بدع الصوفيّة في العبادات كثيرةٌ جداً، وقد أتى ابن الجوزي -رحمه الله- في كتابه «تلبيس إبليس» -الذي أقوم بتحقيق شطره الأول- على كثيرٍ من مخالفاتهم^(١).

من أهم هذه المخالفات:

-الإسراف في استعمال الماء في الطهارة^(٢).

-ابتداع صلوات لم ترد في الشرع، كصلاة ركعتين بعد لبس الخرق^(٣).

-ابتداع صيام لم يرد في الكتاب والسنة، كصيام شهرين متتابعين للمبتدئ في أول سلوكه طريق التصوف، توبةً إلى الله^(٤).

-حجر المساجد واستبدالها بالأربطة، حتى إن أحدهم إذا رجع من سفره أول ما يفعله هو صلاة ركعتين في الرباط بدل المسجد^(٥).

-استبدالهم السَّماع المشروع للقرآن الكريم والمواعظ الشرعيّة، بالسَّماع المبتدع والمحرم المتضمن سماع الغناء المصحوب بالآلات، ويقع فيه كثيرٌ من المخطورات الأخرى، كاجتماع الرجال بالنساء، والاختلاط بالمردان، وسقوط بعضهم مغشياً عليه رجالاً ونساءً^(٦).

(١) انظر: القسم المحقق (ص ١٠٤٢ وما بعدها).

(٢) القسم المحقق (ص ١٠٤٢).

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر القسم المحقق (ص ١٢٨٤).

(٥) تلبيس إبليس (ط. المنيرية) (ص ٣١٧، ٣٧٢).

(٦) انظر: تلبيس إبليس (ط. المنيرية) (ص ٢٢٢، ٢٤٦-٢٥٠، ٢٥٧). ٩٩.

ولعلَّ بعد هذا العرض ندرك غرابة المذهب الصوفي عن هدي الإسلام الصحيح والصافي من كل كدرٍ، سببها اتباع سنن الذين ضلُّوا عن سواء السبيل من جميع النحل والمذاهب.

فاستقاء رجال التصوف من غير معين الإسلام هو الذي جعل من هذا المذهب مرتعاً لكل زنديقٍ يحاول إبطال شرائع الإسلام وعقائده، كما قد ساعد ذلك على إفساد عقائد كثيرٍ من الناس، وخاصة العوام منهم، فاعتقدوا النفع والضرر في الأموات فعبدوهم من دون الله بالدعاء والطواف على قبورهم، واستحدثوا البدع الكثيرة كالاحتفال بالمولد النبوي، واعتقاد أن النبي ﷺ يحضره.

كما شاع بين العوام المُتبعين لشيوخ التصوف، أن الشيوخ يطَّلعون على ظاهريهم وباطنهم، حضراً وسفراً، ليلاً ونهاراً؛ فراقبوهم في السر والعلن، وهذا من أعظم الشرك بالله العظيم.

ولا شك أن النجاة من هذا الضلال هو الاعتصام بالكتاب والسنة وهدي السلف الصالح، والحمد لله الذي قيض لكل مذهبٍ دخیلٍ ونحلةٍ خبيثةٍ من يدحضه ويكشف زيغهُ وضلاله، ولذلك كُتب عن مذهب التصوف الكثير من المؤلفات الطيبة والنافعة، من بداية ظهور هذا المذهب إلى عصرنا الحاضر، وهذا من أعظم الجهاد في سبيل الله.

ملحق ببيان السقوط في

الطبعة المنيرية

ملحق بيان السقط في الطبعة المنيرية

<u>القسم الخقق</u>	<u>الطبعة المنيرية</u>
ص ١٢٥	ص ١٤
ص ١٢٨	ص ١٤
ص ١٢٩	ص ١٤
ص ١٣٠	ص ١٤
ص ١٣٢	ص ١٦
ص ١٤١	ص ٢٦
ص ٢٢٦	ص ٣٤
ص ٢٥٧	ص ٥٩
ص ٧٢٤	ص ١٢٥
ص ٧٢٨	ص ١٢٥
ص ٧٣٤	ص ١٢٦
ص ٧٤٨	ص ١٢٧
ص ٧٥٥	ص ١٣١
ص ٧٥٨	ص ١٣٣
ص ٧٦٢	ص ١٣٤
ص ٧٧٠	ص ١٣٤
ص ٧٧٢	ص ١٣٦
ص ٧٧٤	ص ١٣٦
ص ٧٧٦	ص ١٣٦
ص ٧٧٩	ص ١٣٦
ص ٧٧٩	ص ١٣٦

القسم المحققالطبعة المنيرة

ص ٧٩٢

ص ١٣٩

ص ٨٠٠

ص ١٤٠

ص ٨٠٥

ص ١٤١

ص ٨١٠

ص ١٤١

ص ٨١٢

ص ١٤١

ص ٨١٥

ص ١٤٢

ص ٨١٩

ص ١٤٢

ص ٨٢٥

ص ١٤٣

ص ٨٣٤

ص ١٤٦

ص ٨٣٦

ص ١٤٦

ص ٨٣٦

ص ١٤٦

ص ٨٣٩

ص ١٤٦

ص ٨٤٥

ص ١٤٧

ص ٨٤٨

ص ١٤٨

ص ٨٦٩

ص ١٥٢

ص ٨٧١

ص ١٥٢

ص ٨٧٥

ص ١٥٣

ص ٨٧٨

ص ١٥٤

ص ٨٨٤

ص ١٥٥

ص ٨٩٠

ص ١٥٦

ص ٨٩٢

ص ١٥٨

ص ٩٠٦

ص ١٥٨

ص ٩١٥

ص ١٦٠

ص ٩١٦

ص ١٦٠

القسم المحققالطبعة المنيرية

ص ٩٢٤

ص ١٦٠

ص ٩٣١

ص ١٦٢

ص ٩٣٣

ص ١٦٢

ص ٩٣٩

ص ١٦٣

ص ٩٤٠

ص ١٦٣

ص ٩٦٩

ص ١٦٦

ص ٩٧١

ص ١٦٦

ص ٩٨٠

ص ١٦٨

ص ٩٨١

ص ١٦٨

ص ٩٨٣

ص ١٦٨

ص ٩٨٥

ص ١٦٨

ص ٩٨٧

ص ١٦٨

ص ٩٨٩

ص ١٦٨

ص ٩٩٠

ص ١٦٨

ص ٩٩٢

ص ١٦٨

ص ٩٩٣

ص ١٦٨

ص ٩٩٥

ص ١٦٨

ص ٩٩٦

ص ١٦٨

ص ١٠٠٠

ص ١٦٩

ص ١٠٠٢

ص ١٦٩

ص ١٠٠٤

ص ١٧٠

ص ١٠٠٦

ص ١٧٠

ص ١٠١٤

ص ١٧١

ص ١٠١٦

ص ١٧١

القسم المحقق

ص ١٠١٨

ص ١٠٢١

ص ١٠٢٣

ص ١٠٢٧

ص ١٠٣٠

ص ١٠٣٢

ص ١٠٣٤

ص ١٠٣٦

ص ١٠٣٩

ص ١٠٥١

ص ١٠٦١

ص ١٠٦٣

ص ١٠٦٦

ص ١٠٦٩

ص ١٠٧٣

ص ١٠٧٩

ص ١٠٨٣

ص ١٠٩١

ص ١٠٩٩

ص ١١٠٤

الطبعة المنقوية

ص ١٧١

ص ١٧١

ص ١٧٢

ص ١٧٢

ص ١٧٢

ص ١٧٢

ص ١٧٢

ص ١٧٣

ص ١٧٣

ص ١٧٦

ص ١٧٨

ص ١٧٨

ص ١٧٨

ص ١٧٩

ص ١٨٠

ص ١٨٠

ص ١٨١

ص ١٨٢

ص ١٨٤

ص ١٨٥

نماذج من المخطوطات

صورة الورقة الأخيرة من الجزء الحقيق في المسخة الأصل

انور من غير عار به بل على ما اجاز في اصطحابها بل استبرز بها منقصة
طبيعا هو ما في غيرها بل انما رسا ودرجتها بها رسا ووزن انما قارنا بها حال
اماني عانا واوليا الصبر بها حيا وبعثنا على اهل العلم بالادب والحق صبرا صبر
في نفس و لا ابر الصبر ابر من سئلته وبعثه في ابحاثه انما في حاله على
و انما عليه حالها في انما في الصبر

والاصح... فانه من انما في الصبر... في قوله بالاصح
احسان الكمال في ما لا يكتفي به في انما في الصبر... ولا في انما في الصبر
وغير ذلك... في انما في الصبر... في انما في الصبر

في كركب من اهل المسخ على
الضرورة في الشاع والرض والرض

والاصح اعلم ان شاع المصاحف سفي حوزة انما في الصبر... في انما في الصبر
في انما في الصبر... في انما في الصبر... في انما في الصبر
في انما في الصبر... في انما في الصبر... في انما في الصبر
في انما في الصبر... في انما في الصبر... في انما في الصبر

والاصح... وما الورقة الأخيرة من الورقة الأخيرة من
في صفة و ما انما في الصبر... في انما في الصبر
في انما في الصبر... في انما في الصبر... في انما في الصبر
في انما في الصبر... في انما في الصبر... في انما في الصبر

في انما في الصبر... في انما في الصبر... في انما في الصبر
في انما في الصبر... في انما في الصبر... في انما في الصبر
في انما في الصبر... في انما في الصبر... في انما في الصبر
في انما في الصبر... في انما في الصبر... في انما في الصبر

في انما في الصبر... في انما في الصبر... في انما في الصبر
في انما في الصبر... في انما في الصبر... في انما في الصبر
في انما في الصبر... في انما في الصبر... في انما في الصبر
في انما في الصبر... في انما في الصبر... في انما في الصبر

صورة من الورقة الأخيرة من النسخة الأصل



صورة غلاف المصحف الأحمدية (1)

كتاب المصحف الشريف



١٤١٤



صورة من غلاف النسخة التركية الناقصة (ك) [الجزء الثاني]

الجزء الثاني من كتاب

؛ تفتيش المذنبين لعنه الله

تصنيف الشيخ الامام العالم الازهر العابد

الوزع جمال الدين نجف الاشرف زين العابدين

الامام محمد باقر عليه السلام في تصحيح نسخة

الشيخ محمد باقر بن علي بن محمد بن علي بن

الجزري تفتيحه الله بالرحمة والرضوان استكنه

عليه روح الجنان آمين

142-149



مركز
701

صورة من الورقة الأولى من النسخة البركية الناقصة (ك)

فلان يتلى بكذا وامتنع من هذا فعوى
بأنه والحجزان تقصته ابا الريحان
والشفقة عليه حبه فقصته بالريحان عند
إخوانه وتقول انا ابدى بكه في ذلك التلث
في عاصم له ونعوى بالله من الغيبة فعرضنا
وتصيحنا فاقول الغيبة فقد نطق القرائن
وكراهتها فقال تعالي ايتيت اجد لمران
يا لرحم الغيبة ميتا فلته هو وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الخبر
كثيره ذكر تلبس اليتيم على ابا الجراحين
رواية الحديث الموضع من غير ان يتغير
انه موضع وهذه حقا نه منهم على الشرح
ومقصودهم تنفيق لخاصتهم وكثرة
رواياتهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
من روى عني حديثا يري انه كذب هو اهل

لست حسرت الله الرحمن الرحيم
وهو تلبس اليتيم على اصحاب الجراحين
قال المصنف قد خرج لبعضهم في بعض
ظلمة اللذة في فخر جوف ذلك محجج
الخرج والتعريف الذي استعمله قد ما
هناك الامه للزيت عن الشرح والله اعلم
بالتا صد ولا ايتيت مقصد هو لذي
سبحه وقصم عن من يجابونه وما كان المذنب
هكذا فقد كان من المذنبين يخرق
عن ابيه وكما سمعنا في قوله وفي
حديث الشيخ ^{بأهوه} اخيبنا ابوبكر
ابن جيمب ^{بأهوه} قال اخبرنا ابو سعد
ابن ابي صالح قال سمعنا ابا عبد الله بن
باكوته قال سمعنا ابن ابي عمير الجليلي
قال سمعنا يوسف بن الحسين يقول

صورة من الورقة الأخيرة من المصحفة البركية الناقصة (ك)

غارها قال يا اخواني ارموا الدنيا بخارجها فاني
بذلك المنكر فاني فيها ثم اقبل الزمر حور علي
اخوانه فقال يا اخواني كيف صحبت الدنيا قالوا
مشرق لوميا مبيضة سمنها وقل اجري فيها انهارها
وقدمت فيها بالسجارها وقد تدلي لنا ثارها
قال يا اخواني ما لنا وللدنيا اضربوا فيها برحمتها
قال نجعل الجمل يضرب فيها برحمتها ويدفعه بالحسن
قال ابو الفضل احمد بن تطله رضيته لابي جاتم
الرازي فقال امله علي فامليته عليه قال هذا
شان الصوفية قال المصنف قلت وقد رايتهم
من ذا حضرة يعنى بالخروج لا كل امرئ احسان من
الطعام فورا مالا اكتسبه من غير ذن صا حش
الارز و ذالك حرام بل اجاع ولقد رايت شيخنا
منهم قال صدق شيئا من الطعام ليجاه معه فويش
صاحب الارز فاحض منه اخرا الجوز الثاني

امرأه فوطعت في السن فميتت عن
خالها فقالت كت في خال الشيا بل حزين
ثم اجولوا اظن انها قوة الجال فلما كتب
واكت عني فعلمت ان ذلك كان قوة الشيا
فتوهمتها اجولوا قال فسمعت ابا علي
الترقا يقول فما سمع احدهم الخاضه
من الشيوخ اوراق هذه العجوز وقال
انها كانت مصنفه فانز قس كيف
تمعون من القائل وقد رويتم ان عمر
كان كل كل يوم اجهر عشره لغيره وان
ابن ابي بكر كان يبي اسبوعا لا ياكل
وان برهمه الميعني يعني شهريز قال
فان تجري اللانتان من هذا الفرج
بعين لا وفات غير انه لا يلهو ولا يقبل
الترقي اليه وقد كان في السلف من